

الإمام محمد أبو زهرة

محاضرات في

النصرتين

تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد الصائين  
وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدية وقررتهم

ملتزم الطبع والنشر  
دار الفكر العربيكا  
الشارع هواردسى - القاهرة  
ص ١٣٠ ١٣٠٥٢٣ - ٧٦٠١٦٧



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## افتتاحية الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين ، الذى بعث رسله ليكونوا حجة على الناس يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، والصلاة والسلام على النبى الامى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبى الرحمة الذى بعث على فترة من الرسل ، بعد أن ضلت الامم ، وحرفت الحقائق وسيطرت الأوهام ، وعلى آله واصحابه الذين كانوا كالنجوم بين العالمين .

أما بعد .. فهذه محاضراتى فى النصرانية أعيد طبعها ، بعد أن ألح الكثيرون فى طلب الاعادة ، اذ تعذر على مريدى قراءتها الحصول عليها ، حتى أنها عندما قررت دراستها على طلبة معهد الدراسات الاسلامية لم يجد الدارسون ما يراجعون فيه ، فلم يكن بد من أن يعيد المعهد طبعها ليعين الدارسين ، ولينشر تلك الحقائق ، من غير تهجم على متدين ، ولا مضايقة لغير مسلم ، لأن البحث الذى يتبع فيه المنهاج العلمى السليم ، لا يصح أن تضيق به الصدور ، ولا أن تنزوى عنه العقول . واذا كانت فيه ثغرات يربأها النقد المنطقى المستقيم ، ويعالجها البحث العلمى القويم من غير عوج فى القول ، ولا التواء فى القصد .

لقد كتبنا تلك المحاضرات بروح المحقق الذى يجمع الحقائق ، ويعرضها ، وقد تماسك بعضها ببعض ، ليتكون من ذلك مجموعة علمية نهدي ولا تضل . وما كنا نجهد التاريخ لنسره ، ولكننا خضعنا له ، وهو الذى كان يسيرنا .. وكنا فى ذلك كالقاضى العادل خضع للبيانات التى تكون بين يديه ، وهى التى تحكم فى الحكم الذى نسجله . لا نغير ولا نبذل ، ولا ننحرف بها عن النتائج التى تؤدى اليها مقدماتها . فنفسر حيث يسير بنا الدليل من غير انحراف ولا تحريف .

وما كانت البيانات التى بين أيدينا من مصادر اسلامية ، أو من اعداء المسيحية . بل كانت من كتاب المسيحيين أنفسهم التى سجلوها فى

تاريخها ، كتبها المتقدمون ، ورددها المتأخرون ، فهي شهادات من أهلها استنطقناها ، فنطقت ، واستهدينها ، فهبت ، واسترشدنا بها فأرشدت ، وما ضنت .

وإذا كان من اخواننا وعشرائنا من تلمل من محاضراتنا . أو تيرم من مخالفتنا لما يؤمن به ، فأنا — علم الله — ما قصدنا بكلامنا احراجا ولا ايلاما ، انما امانة العلم هي التي جعلتنا لا نقدم لتلاميذنا الذين نلقاهم ، والذين لا نلقاهم بالخطاب ، بل نلقاهم بالكتاب ، الا ما نعتقد انه الحق الناصح ، وقد وجه الينا نقد من بعض المخلصين من اخواننا المسيحيين في مقالات متتابعة نشرتها احدى المجلات المسيحية ، فما ضاقت صدورنا ، بل ذهبنا الى الناقد في داره ، وطلبنا اليه ان يطلعنا على كل الأعداد التي تشتتل على نقد لنا ، لنصح خطأ وقعنا فيه ، او لنبدل حكما ما انصفنا فيه ، عملا بقوله تعالى : « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا انا بالذي انزل الينا وانزل اليكم ، واللهما والهكم واحد ، ونحن له مسلمون » .

وانا لنحسب انه ليس من بين اخواننا اقباط مصر من ظلموا ، فما كان لنا الا ان نتقبل النقد بقبول حسن ، ونقبه في كل ما وجه الينا مستطيين ذلك ، حتى ما كان منه تهجم علينا . فان المخلص يستمع ، ولو كان في كلام مخالفه هجوم ، أو تهجم بغير الحق .

وما وجدنا في النقد ما يغير حكما ، ولقد ارسل الينا بعض ابنائنا المسيحيين رسائل نقد قدرناها ، فقرانها ، وكان كتابها يخرجون عن حد النقد أو الدفاع الى ما لا يحسن من قول ، فما ضاقت صدورنا ، وحاولنا ان ننفع منها ، ولكنا ما وجدنا فيها أيضا ما يبرر لنا تغيير حكم حكمنا به ، والى هؤلاء وأولئك نعتذر .

ولا يصح ان يتيرم أحد من اخواننا وابنائنا من كلام نسوقه لطلابنا ، معتقدين انه الحق الذي لا ريب فيه ، فلو كان اهل كل دين تضيق صدورهم بالبحث والدرس ، لكان حقا علينا معشر المشتغلين بالدراسات الاسلامية ان نذهب نفوسنا جسرات مما يكتبه بعض علماء أوروبا عن الاسلام ، يفترون على حقائقه ولا يدرسونه دراسة موضوعية ، بل يدرسونه دراسة

عائية محرفين الكلم عن مواضعه ، ومع ذلك ندرس كلامهم ، ونضع الصواب منه في موضعه ، ونضع الباطل في مكانه سحيق ، نأخذهم إلى المنطق ولا نتحرف معهم عن قصد السبيل .

وأخيرا نقول لآخواننا أننا نؤمن بالمسيح عليه السلام ، ونؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر النبيين « قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .

محمد أبو زهرة

٢٧ من ذى القعدة سنة ١٣٨١

١٩ من مارس سنة ١٩٦٦

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## افتتاحية الطبعة الثانية

الحمد لله الذي خلق نقدر ، وخلق آدم من طين ، وعيسى ابن مريم من غير اب ليكون حجة على العالمين . فثبتت أن الخلق بالارادة لا بالعلية ، فبإذن الله أحسن الخالقين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وسائر النبيين ، المبعوثين رحمة للناس أجمعين .

أما بعد ، فقد جاء في صحيح البخارى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال :

« ثلاثة لهم أجران : رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ، والعبد المملوك اذا ادى حق الله وحق مواليه . ورجل كانت عنده أمة فأديبها فأحسن تأديبها ، وعلّمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران» .

ويقتبس من هذا الروح السمع كتبنا كتاب محاضرات فى النصرانية ، نرجو به مع احقاق الحق الهداية ، لا نهاجم اعتقادا ، ولا نبطل عقيدة ، بل نثير السبيل ونضع المصباح أمام الجادة فيسلكها من يريد الرشاد ، ومن يرجو السداد ، ولكننا فى عصر فهم الناس فيه الدين منزعا جنسيا ، ولم يفهموه حقا اعتقاديا ، ولا تهذبا نفسيا ، ولا خلاصا روحيا ، فكان ذلك حاجزا دون أن تصل الهداية الى القلوب ، وأن تشرق النفوس بنور الحق .

وقد كان الناس فى الماضى يوجد من بينهم من يقول « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » أما الآن فالناس جميعا غلقوا على انفسهم باب النور باعتبارهم الدين جنسا ، والاستمسك به من القومية أو ما يشابهها ، فيكون العار على من خالف ، وان كانوا يعلمون ان فيما يعتقدون ما ليس بمفهوم .

وبسبب هذه النزعة الجنسية فى التدين ظهر نقد لكتابى هذا من بعض بنى وطنى غير المسلمين ، وكنت ( علم الله ) مستريحا لظهوره ، فجمعت

النقد ، وشكرت الناقد ، وتفاضيت عن عبارات نلني بها ، لأنها من غلطات القلم ، ولقد أخذت أدرس ذلك النقد حرفا حرفا ، لأصحح به خطأ جرى في الكتاب ، أو سوء تفسير فسرناه ، أو تخريجا بعيدا عن المعنى خرجناه .

ولكنى وجدت النقد خاليا من ذلك في جملته ، بل هو مهاجمة لمقصد الكتاب ، يثير اعتبار الدين جنسا ، ويدفعه التعصب الشديد ، ويحاول توهين المكتوب ، حتى انه في سبيل ذلك يعتبر الكلام المقيد بوصفه متناقضا ، والمعلق على شرط متضاربا ، لأن صدر الكلام غير الوصف ، ومقدم القضية الشرطية غير تاليها . وان كان في النقد ما يفيد انه اثبت ان بعض أخواننا تألم من عبارات جاءت في كتابنا . فغيرناها ان لم يكن في التغيير ما يمس الجوهر ، ويفسد المعنى .

وقد كنا بسبب التألم نحجم عن إعادة طبع الكتاب ، مع الإلحاف من الكثيرين وبعضهم من أخواننا المسيحيين ، وأحجنا عن ذلك نحو ست سنوات ، ولكن اشتد الطلب من البلاد الشرقية والمصرية ، وزكوا الطلب بأنه لا يليق أن تحول الاعتبارات النفسية دون ظهور ثمرات الفكر ، وان عند أخواننا من سعة الصدر ما يتسع لذلك . وخصوصا أن الكتاب معروف في أمريكا وأوربا والهند . فقد ترجم الى الانجليزية . ولخصته بعض المجلات الأمريكية تلخيصا كاملا ، وترجم الى الفرنسية والاربية .

فإذا كانت هذه الأمم المسيحية تطوع بعض المسيحيين فيها بترجمته تسجيلا للأثار العلمية . وان خالفوها — فانه من نقص الحرية الفكرية في مصر أن يضيق صدر بعض ابنائها حرجا بإعادة طبع كتاب سجله المسيحيون في لغاتهم .

لهذا أقدمت على إعادة طبع الكتاب بعد طول الأحجام ، راجيا من المولى جلت قدرته الهداية والتوفيق والسداد ، أنه نعم المولى ونعم النصير .

محمد أبو زهرة

٩ من رجب المحرم سنة ١٣٦٨

الموافق ٤ من مايو سنة ١٩٤٩

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## افتتاحية الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم ، أشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى ابن مريم من النبيين الصديقين ، ومن عباد الله الصالحين وأولى العزم من الرسل .

أما بعد . فقد عهد الى تدريس تاريخ الديانات بقسم الدعوة والارشاد من كلية أصول الدين فألقيت محاضرات في النصرانية ، هذه خلاصتها ، وتلك لبابها ، ولقد عنيت ببيانها في أدوارها المختلفة متبعاً في بيان المسيحية الحاضرة سلسلة أسنادها المتصلة . فكان أول السلسلة مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ ، وتنتهي بعصرنا الحاضر ، هذا مبدأ السند وهذا منتهاه ، فالسند إذن ينقطع بين المسيح عليه السلام ، والمجمع الأول من الجامع المقدسة ، وان انقطاع السند في هذه الفترة الطويلة سببه الاضطهاد الذي لحق النصارى فيها ، حتى كانوا يستخفون ويتعبدون في السر . فلا يعلنون دينهم الذي ارتضوا ، ويفرون به فراراً ان كشف أمرهم ، وقد ينطقون بكلمة الكفر يتقون بها حد السيف أو نار العذاب ، وقد اعترف بقطع السند مجادلوهم واختاروا ذلك السبب علة لهذا القطع .

وانا ازاء ذلك العجز او عدم توافر أسباب العلم ابتدأنا بحثنا في دينهم بكتبهم التي ألزم المسيحيون بها بعد قرار الجامع بالالزام ، ثم تتبعنا في البحث سير الجامع . نسير في مسارها ، ونتجه في اتجاهاتها ، ولكننا لا نكتفي بدراسة قرارات مجمع من الجامع ، بل ندرس البواعث التي بعثت الى انعقاده ونفصل بعض التفاصيل الخلاف الذي سبقه ، والذي جاء المجمع لحسمه ، ثم انتهى الى تشعبه وتوسيع زاويته .

وان عنايتنا بتفصيل البواعث التي أدت الى انعقاد المجمع الأول ، وبيان قراراته ، وكيف تلقى جمهور المسيحيين ، وخاصة رجال الدين تلك القرارات ، قد أزيلت السقار عما أكلته غياهب التأريخ في الفترة التي



كانت بين المسيح وهذا المجمع ، بل ان تلك العناية جعلتنا نخترق حجب الظلام التاريخي لنصل الى ضوء نعشو اليه لنعرف حقيقة دعوة المسيح في عصر الاستخفاء أو عصر الاضطهاد ، ولقد ساعدنا على الاستضاءة بذلك الضوء موازنات تصدينا لها وازنا فيها بين المسيحية الحاضرة وفلسفة الرومان واليونان في تلك الفترة ، وما حاولنا ان نفرض ما استنبطنا على القارئ أو نسبته الى الاستنباط ، بل القينا اليه بالمقدمات ، وتركنا له استخراج نتائجها ، ليشاركنا فيها وصلنا اليه بامتناعه ، ولكيلا نهمل عقله ، وهو خال ، فينقص تقديره للدليل ويضعف وزنه للبرهان .

ولقد كانت عنايتنا متجهة الى بيان العقيدة ، فجلينا ادوارها ، وبيننا ما قام حولها من مناقشات وخلافات . وبيننا كل فرقة ومنبعثها ، والمجمع الذي انبعثت من بعده . وما احصينا فرقتهم عدا ، ولا فصلنا آراء كل فرقة تفصيلا ، بل عنينا بالفرق الكبرى ، وعنينا بتفصيل العقيدة دون سواها .

وعلم الله انى لبست زداء الباحث المنصف وتظرت بالنظر غير المتحيز ، وتخلت عن كل شيء سواه ، لأصل الى الحق وصول المجتهد الحر ، لا المقلد التابع المأسور بسابق فكره ، والمأخوذ بسابق اعتقاده ، ولكنى انتهيت كما ابتدأت ، مؤمنا بالله الواحد الأحد ، الذى ليس له والد ولا ولد .

وانى لأهدى كتابى هذا الى كل مسيحي طالب للحقيقة يسير في مسالكها لا أبغى به غلبا في جدال ، ولا سبقا في نزال ، ولكن أبغى به الحق المجرد « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » .

مهمد أبو زهرة

١ - عسير على المرء أن يكتب في رأى يخالف رأيه ، ويتحرى مع هذه المخلفة أن يصور الرأى ، كما يجول بخاطر صاحبه ، وينبعث في نفسه ، فيبين دوافعه وغاياته ، وإذا كان ذلك وأضحاً في رأى مخالف يرتأى ، فكيف تكون الحال إذا كانت المخالفة في عقيدة تعتق ، وتتغلغل في أعماق النفس ، وتستكن في أطوائها !! أن الطريق حينئذ يكون أوعث ، ومسالكه أضيق ، لذلك كان الطريق غير معبد أمام الباحث الذى يريد أن يكتب في النصرانية كما يعتقد النصارى ، ويصورها أمام القارئ كما تجول بخاطر معتنقيها ، ويفرض من نفسه نظراً غير متحيز ، يبين العقيدة ، كما هي في نفس أصحابها ، لا كما ينبغي أن تكون ، أو كما يعتقد هو ، لأن الباحث خلع نفسه مما تعتق وتؤمن به . ويجردها تجرداً تاماً مما قد صار منها بمنزلة الملكات ، وخلط الإحساس والشاعر ، واستولى على كل مسالك الآراء اليها ، وتصوير المسيحية كما يعتقد أصحابها ليس فقط عسيراً على الكاتب غير المسيحي ، بل أنه عسير على الكتاب المسيحيين أنفسهم ، يستوى في ذلك المختصون بالدراسات الدينية وغير المختصين ، ولذلك يستعينون في تصويرها ، وادنائها الى العقول بضرب الأمثال . والتشبيهات الكثيرة ، لتأنيس غريبها بالقرب المألوف ، والمشاهد المحسوس ولادخالها في العقل من الباب الذى يألوه ويعرفه . ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً .

٢ - ولكن البحث العلمى يتقاضى الباحث الحر المنصف أن يدرس المسيحية أن أراد أن يعلنها كما يعتقد أهلها مجرداً من نزعاته السابقة على الدراسة ، غير جاعل لعقيدته سلطاناً على حكمه ، حتى لا تسيره في دراسته ، وتتحكم في اتجاهاته ، لأن ذلك قد يدفعه لأن يتزيد على القوم ، والتزيد ليس من شيمة العلماء ، أو يدفعه لأن يتناول كلامهم بغير ما يريدون ، وذلك لا يجعل العقل يترك الأمور كما هي في ذاتها ، بل يدركها كما انعكست في نفسه ، وكما رسمت على قلبه ، وقد يباعد ذلك الأمر في ذاته .

ولذلك سنحاول داعين الله - مبتهلين اليه ان يلهمنا التوفيق -  
دراسة المسيحية ، مجردين من انفسنا ناظرا غير متحيز عليها ، لتصورها  
كما هي ، وكما يعتقد أهلها ، ولنتمكن من أن نكتبها بروح الانصاف ، ولتقد  
نضطر في سبيل ذلك الانصاف ان ننقل عبارات كتبهم المقدسة عندهم وغير  
المقدسة من غير أن نتصرف بأى تصرف ، حتى ما يتعلق بالأعراب وأساليب  
البيان ، لكيلا يدفعنا التصرف في التعبير الى تغيير الفكرة ، أو تحريف القول  
عن مواضعه . وسنجهد ما استطعنا في تصوير تفكيرهم بضرب الأمثال ،  
ان لم نجد بدا من ذلك .

ولكن مع عنايتنا الشديدة بتفهم ما عند القوم ، وتعرف غاياته ومراميها  
لا نترك النقد العلمى النزيه ، الذى يستمد قوائمه من بدائه العقول واحكام  
المنطق ، وخصوصا ما يتعلق بكتبهم ، لانه اذا كان الانصاف قد طالبنا  
بالأنتزيع على ما عندهم ، أو نحرفه عن مراده ومرماه ، فالانصاف أيضا  
يطالبنا بالأ نهمل العقل ، والا خرج بحثنا عن معناه العلمى التاريخى ،  
وصار بحثا لاهوتيا صرفا ، وذلك ما لا نريد ، فلا يصح ان يدفعنا حرصنا  
على انصافهم الى ظلم العلم والحق والعقل .

## المسيحية : كما جاء بها المسيح عليه السلام

### المسيحية في القرآن :

٣ - قبل أن نخوض في المسيحية كما هي عند المسيحيين نتكلم في المسيحية التي جاء بها المسيح عليه السلام ، وانا اذا تصدينا للمسيحية التي جاء بها المسيح نجد التاريخ لا يسعفنا بها ، اذ بعد العهد ، واضطربت روايات التاريخ بالأحداث التي نزلت بالمسيحيين ، ويجوز أن تكون قد عملت يد الحو والاثبات عملها ، حتى اخطط الحابل بالنابل . وصار من العسير ان نميز الطيب من الخبيث ، والحق من الباطل ، وللصحيح من غير الصحيح ، وانا معشر المسلمين لا نعرف مصدرا صحيحا جديرا بالاعتماد والثقة من المسلم غير القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، فهما المصدران المعتمدان للمسلم في هذا ، وما نكتب هذا لتلزم به المسيحيين ، ولا على انه هو المعتمد عندهم ، ولكن نكتبه ، ليتسق البحث ، ولنتم السلسلة .

ينص القرآن الكريم على ان عقيدة المسيح هي التوحيد الكامل ، التوحيد بكل شعبه ، التوحيد في العبادة ، فلا يعبد الا الله ، والتوحيد في التكوين ، فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له ، والتوحيد في الذات والصفات فليست ذاته بمركبة ، وهي منزهة عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى . فالقرآن الكريم يثبت أن عيسى ما دعا الا الى التوحيد الكامل ، وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى يوم القيامة من مجاوبة بينه وبين ربه : « **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انك قلت للناس اتخذوني وامى الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى ان ان اقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ، ولا اعلم ما فى نفسك ، انك أنت عالم الغيوب ، ما قلت لهم الا ما امرتنى به ، ان اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وانت على كل شيء شهيد » .**

فهذا نص يفيد بصريحه أن عيسى ما دعا الا الى التوحيد ، غير التوحيد اذن دخل النصرانية من بعده ، وما كان عيسى الا رسولا لله رب العالمين .

ولقد نزل على السيد المسيح عليه السلام كتاب هو الانجيل ، وهو مصدق للتوراة ، ومحى لشريعتها ، ومؤيد للصحيح من احكامها ، وهو مبشر برسول يأتى من بعده اسمه أحمد ، وهو مشتمل على هدى ونور وهو عظة للمتقين ، وانه كان على أهل الانجيل أن يحكموا بما انزل فيه ، ولذلك قال الله تعالى : « وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

### دعوة المسيح :

ع — ولقد كانت دعوة المسيح عليه السلام تقوم على اساس أنه لا توسط بين الخالق والمخلوق ، ولا توسط بين العابد والمعبود ، فالأخبار والرهبان لم تكن لهم الوساطة بين الله والناس ، بل كل مسيحي يتصل بالله في عبادته بنفسه ، من غير حاجة الى توسط كاهن أو قسيس أو غيرها ، وليس شخص — مهما تكن منزلته أو قداسته أو تقواه — وسيطا بين العبد والرب في عبادته ، وتعرف أحكام شرعه مما انزل الله على عيسى من كتاب ، وما أثر عنه من وصايا ، وما اقتترنت به بعثته من أقوال ومواعظ .

ودعوة عيسى عليه السلام — كما ورد في بعض الآثار ، وكما تضافرت عليه أقوال المؤرخين — تقوم على الزهادة والأخذ من اسباب الحياة بأقل تسط يكفى لأن تقوم عليه الحياة ، وكان يحدث على الايمان باليوم الآخر ، واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبنى الانسان في الدنيا ، إذ الدنيا ليست الا طريقا غايته الآخرة ، وأبتداء نهايته تلك الحياة الأبدية .

ولماذا كانت دعاية المسيح عليه السلام الى الزهادة في الدنيا ، والابتعاد عن أسباب النزاع والمعكوف على الحياة الروحية ؟ الجواب عن ذلك أن اليهود الذين جاء المسيح مبشرا بهذه الديانة بينهم كان يغلب عليهم النزعات المادية ، وكان منهم من يفهم أن الحياة الدنيا هي غاية بنى الانسان ، بل أن التوراة التى بأيديهم اليوم خلت من نكر اليوم الآخر ، ونعيمه أو جحيمه ، ومن فرقهم من كان يعتقد أن عقاب الله الذى أوعد به العاصين ، وثوابه الذى وعد به المتقين ، إنما زملنه في الدنيا لا في الآخرة ، وقد قال رينان الفيلسوف الفرنسى في كتابه حياة المسيح : « الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها السلطة الفعلية في نفس هذا العالم ، فانه يؤخذ من أقوال

شيوعهم ان الصالحين يعيشون في ذاكرة الله والناس الى الأبد ، وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله ، ويكونون معروفين عند الله ، اما الأشرار فلا ، هذا كان جزاء أولئك ، وعقاب هؤلاء ، ويزيد الفريسيون على ذلك ان الصالحين ينشرون في هذه الأرض يوم القيامة ليشتركوا في ملك المسيح الذي يأتي لينقذ الناس ، ويصبحوا ملوك العالم وقضاته ، وهكذا يتنعمون بانتصارهم ، وانخزال الأشرار أعدائهم ، وعلى ذلك تكون مملكتهم في هذا العالم نفسه « ا ه ف جاء المسيح عليه السلام مبشرا بالحياة الآخرة ، وانها الغاية السامية لهذا العالم بين أولئك الذين أنكروها ، ومن لم ينكرها بقوله منهم أنكروها بفعله ، فكانوا في ذلك الإنكار سواء .

### مريم والمسيح في القرآن الكريم :

٥ - واذا كانت شخصية المسيح هي اللب في المسيحية الحاضرة ، و أساس الاعتقاد فيها ، وجب أن نبينها كما جاءت في القرآن ، كما سنبينها كما جاءت في المسيحية ، ليستطيع القارئ أن يوازن بين الشخصيتين ، ويعرف أيها اقرب الى التصور ، والعقل يتقبلها بقبول حسن ، ولنبدأ بآيه .

يذكر القرآن الكريم مريم أم عيسى عليه السلام ، فيقص خبر الحمل بها وولادتها وتربيتها في سورة آل عمران . فيقول تعالت كلماته : « اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا ، فتقبل منى انك انت السميع العليم \* فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها اثنى ، والله اعلم بها وضعت ، وليس الذكر كالأثنى ، وانى سويتها مريم ، وانى اعيدتها بك ونزيتها من الشيطان الرجيم \* فتقبلها ربها بقبول حسن ، وانبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

هذه هي الاحوال التى اکتفت الحمل بالبنت مريم ، وولادتها ، وتربيتها ، ويلاحظ القارئ ان العبادة والنسك اظلاها ، وهى جنين فى بطن أمها الى أن بلغت مبلغ النساء ، واصطفاه الله لأمر جليل خطير ، فأبها وهى حبل بها نذرت أن يكون ما فى بطنها محررا خالصا لخدمة بيت الله

وسدائنه ، والقيام بشئونه ، واستمرت مصممة على الوفاء بنذرها ، فلما وضعت ، وكان نذرها على فرض الذكورة ، كما يبدو من اشارات النصوص القرآنية ، جددت العزم على الوفاء بالنذر ، وقد وجدت ما تسوغه النفس للتخلل من النذر ، فكان ذلك الاصرار عبادة أخرى ، اذ وجدت في النفس داعيات التردد ، والرجوع والتخلل من الوفاء فكان كنهها هذه الداعيات والقضاء عليها عبادة أخرى ، ثم انصرفت الفتاة الناشئة منذ طراوة الصبا الى النسك والعبادة ، وقام على تنشئتها وهدايتها وتعليمها نبي من انبياء الله الصديقين الصالحين ، فكلها زكريا ، ووجهها الى العبادة الصحيحة ، وتنزيه القلب من كل ادران الشر والاثم ، وكان الله سبحانه وتعالى يدر عليها اخلاف الرزق من حيث لا تقدر ولا تحسب ، ومن غير جهد ولا عنت ، حتى اثار ذلك عجب نبي الله كافلها فكان « **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** » .

٦ — ولقد كانت تلك التنشئة الطاهرة التي تكونت في ظلها بريئة من دنس الرذيلة — لا يجد الشيطان سبيلا او منفذا ينفذ الى النفس منها — تمهيدا لامر جليل قد اصطفاه الله تعالى له دون العالمين ، ولذا خاطبتها الملائكة وهي الأرواح الطاهرة باجتماع الله لها : « **اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين \* يا مريم اقنتي لربك واسجدى واركعى مع الراكعين** » . ولقد كان ذلك الاصطفاء هو اختيار الله لها لان تكون اما لمن يولد من غير نطفة آدمية . وكان ذلك لكي تكون آية الله مشهورة ، تحمل فيها حفا بها من احوال القرآئن التي تنقطع ريب المرتب ، والسنة كل انك ، وتنير السبيل امام المؤمنين اذ ان ولادته من غير اب من ام كانت حياتها للنسك والعبادة . والعكوف على التقوى . وتحت ظل نبي من انبياء الله تعالى لم تزن بريئة قط — يجعل المؤمن يؤمن بآية الله الكبرى في هذا الكون ، ولا يجعل شيئا يقف امام مرید الهداية من نظن بالأم أو ربية فيها ، فحياتها كلها من قبل ومن بعد تنفى هذه الريبة ، وتبعدها عن موطن الشبهة .

## الحمل بالمسيح وولادته :

٧ - حملت العذراء البتول مريم بالسيد المسيح عليه السلام ، وهو الأمر الذي اجتباها الله له ، واختارها لأجله ، ولقد فوجئت به ، إذ لم تكن به عليمه . فبينما هي قد انتبخت من أهلها مكانا شرقيا ، أرسل الله اليها ملكا تمثل لها بشرا سويا « قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا \* قال انها انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا \* قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا \* قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا \* فحملته فانتبخت به مكانا قصيا \* فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » . حملت السيدة مريم البتول بعيسى من غير أب ، ثم ولدته . ولم تبين الآثار النبوية مدة الحمل . فلم يرد فى الصحاح آثار تبين تلك المدة ، ولو كانت مدة الحمل قريبة لفكرت ، فليس لنا اذن الا ان نفرض ان مدة الحمل كانت المدة الغالبة الشائعة بين الناس . وهى مدة تسعة اشهر هلالية .

ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم ، سواء فى ذلك من يعرف نسكها وعبادتها ، ومن لا يعرف ، لانها فاجأتهم بأمر غريب ، وهى المعروفة بينهم بأنها عذراء ليس لها بعل ، فكانت المفاجأة داعية الاتهام ، لانه عند المفاجأة تذهب الروية ، ولا يستطيع المرء ان يقابل بين الماضى والحاضر ، وخصوصا ان دليل الاتهام قائم ، وقرينته امر عادى لا مجال للريب فيه عادة ، ولكن الله سبحانه وتعالى رحبها من هذه المفاجأة . فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام لينقض الاتهام من أصله ، ويأتى على قواعدهم ويفاجئهم بالبراءة وبرهانها الذى لا يأتيه الريب ، ليعيد الى ذاكرتهم ما عرفوه فى نسكها وعبادتها ، ولذلك نطق الغلام ، وهو قريب عهد بالولادة ، أشارت اليه « قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا \* قال انى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا \* وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا \* وبرأ بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا \* والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا » .

٨ - نطق السيد المسيح فى المهد ، ليكون كغلامه اعلاما صريحا ببراءة امه وانه لم يكن الا عبد الله ، ولد من غير أب . ويروى ابن كثير : « عن ابن



عباس أن عيسى ابن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلا ، حتى بلغ ما يبلغ الفلمان ثم أنطقه الله بعد ذلك بالحكمة والبيان ، فأكثر اليهود فيه ، وفي أمه من القول ، وكانوا يسمونه ابن البقيعة ، وذلك قوله تعالى : « **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً** » ، ولم يذكر في الآثار الصحاح عن النبي عليه الصلاة والسلام حال عيسى عليه السلام في مرباه ونشأته ، وكيف كان منه مما يكون أرهاصا بنبوته ، فليس لنا الا أن نقول انه قد تربى بما كان يتربى به أمثاله الذين ينشئون على التقى والمعرفة في بنى اسرائيل ، ويغلب على الظن أن يكون قد ظهر منه وهو غلام ، ما يدل على روحانيته ، وما يدعو اليه بعد ذلك من حياة روحية ، وسط قوم سيطرت عليهم المادة ، وغلبت عليهم نزعاتهم ، والاتجاه اليها .

### الحكمة في كون المسيح ولد من غير أب :

٩ — لابد من أن نشر هنا قبل أن ننتقل الى بعثته عليه السلام الى السبب الذى من أجله ولد عيسى عليه السلام من غير أب . فانه لابد أن يكون ذلك لحكمة يعلمها الله جلّت قدرته ، وقد أشار اليها سبحانه في قوله تعالت كلماته : « **ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا** » .

وانا نتلمس تلك الآية الدالة في ولادة عيسى عليه السلام من غير أب ، فنجد أنه يبدو أمام أنظارنا امران جليان : أحدهما . ان ولادة عيسى عليه السلام من غير أب تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى ، وانه الفاعل المختار المريد ، وانه سبحانه لا يتقيد في تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسببات التى نرى العالم يسير عليها في نظامه الذى أبدعه الله والذى خلقه ، فالأسباب الجارية لا تقيد ارادة الله ، لأنه خالقها ، وهو مبدعها ومريدها ، فان الأشياء لم تصدر عن الله جلّت قدرته ، كما يصدر الشيء عن علته ، والمسبب عن سببيه ، من غير أن يكون للعلة ارادة في معلولها ، بل كانت بفعله سبحانه وبارادته التى لا يقيدها شيء مهما يكن شأنه ، وخلق عيسى من غير أب هو بلا ريب اعلان لهذه الارادة الأزلية . بين قوم غلبت عليهم الأسباب المادية ، وفي عصر سواده نوع من الفلسفة ، أساسها أن خلق الكون كان من مصدره الأول ، كالعلة عن معلولها ، فكان عيسى آية

الله على أنه سبحانه لا يتقيد بالأسباب الكونية ، وإن العالم كله بإرادته ، ولم يكن سبحانه بمنزلة العلة من العلول : **« تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا »** .

الأمر الثانى : ان ولادة المسيح عليه السلام من غير أب اعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها ، حتى لقد زعموا أن الانسان جسم لا روح فيه ، وانه ليس الا تلك الأعضاء والعناصر التى يتكون منها ، فلقد قيل عن اليهود أنهم كانوا لا يعرفون الانسان الا جسما عضويا ، ولا يقرون أنه جسم وروح ، فقد قال رينان فى سبب الحقد الذى تغلغل فى النفس اليهودية : « لو كان الشعب الاسرائيلى يعرف التعاليم اليونانية التى كان من مقتضاها اعتبار الانسان عنصرين مستقلين : أحدهما الروح ، والآخر الجسد ، وانه تعذبت الروح فى هذه الحياة لانها تستريح فى الحياة الثانية ، لسرى عنه شيء كثير من عذاب النفس ، واضطراب الفكر ، بسبب ذله وخضوعه ، مع ما كان يراه فى نفسه من الامتياز الأدبى والدينى عن الشعوب التى كانت تذله » .

يقرر رينان فى هذا أن اليهود ما كانوا يقولون كاليونان أن الانسان جسم وروح ، ولقد يؤيد هذا ما جاء فى التوراة التى بأيديهم فى تفسير النفس بأنها الدم ، فقد جاء فيها : « لا تأكلوا دم جسم ما ، لأن نفس كل جسد هى دمه » ، اذن لم يكن اليهود يعرفون الروح على أنها شيء غير الجسم . فلما جاء عيسى من غير أب . وكان ايجاده بروح من خلق الله ، كما قال تعالى **« والذى احصنت فرجها ، فننفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين »** كان ذلك اليجاد الذى لم يكن العامل فيه سوى ملك من الأرواح تنفخ فى جيب مريم . فكان الانسان من غير بذرة الانسان وجرثومته . كان ذلك اعلانا لعالم الروح بين قوم أنكروها ، ولم يعرفوها ، فكان هذا قارعة قرعت حسهم ليدركوا الروح ، وكان آية معلمة لمن لم يعرف الانسان الا أنه جسم لا روح فيه ، وهذه آية الله فى عيسى وأمه عليهما السلام .

### بعثة عيسى عليه السلام ومعجزاته :

١ . — بعث عيسى عليه السلام ، ولم يرد فى القرآن الكريم ، ولا فى الآثار الصحاح بيان السن التى بعث عند بلوغها عليه السلام . ولكن ورد فى بعض الآثار أنه بعث فى سن الثلاثين ، وهى السن التى تذكر الإنجيل

المعتبرة عند النصارى أنه بعث على رأسها ، ويصح لنا أن نفرض أنه بعث في هذه السن على هذا الأساس .

بعث عيسى عليه السلام يبشر بالروح ، وهجر الملاذ التي استغرقت النفوس في تلك الأيام ، واستولت عليها ، ويبشر بعالم الآخرة ، ولقد أیده الله بمعجزات ، وان ولادته نفسها معجزة ، كما جاء في الملل والنحل للشهرستاني ، فقد قال رحمه الله في ذلك : « كانت له آيات ظاهرة . وبينات زاهرة ، مثل احياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه ، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ، ونطقه من غير تعليم سابق » .

ومعجزاته التي ذكرها القرآن الكريم تتلخص في خمسة أمور ، جاء ذكر أربعة منها في سورة المائدة في قوله تعالى : « اذ قال الله يا عيسى ابن مريم انكر نعمتي عليك وعلى والدتك ، اذ اينتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى ، فتنفخ فيها ، فتكون طيرا باذنى ، وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى » . الى قوله تعالت كلماته : « اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين \* قالوا نريد ان ناكل منها ، ونطمئن قلوبنا ، ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين \* قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا ، وانت خير الرازقين \* قال الله انى منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم ، فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين » .

ويستبين من هذه الآيات الكريمة أربع معجزات :

الأولى : انه يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا باذن الله ، أى أن الله سبحانه وتعالى خلق على يديه طيرا من الطين ، فالخالق هو الله سبحانه وتعالى . ولكن جرى الخلق على يد عيسى ، وينفخ من بروحه عليه السلام باذن الله تعالى .

الثانية : احيائه عليه السلام الموتى باذن الله جلّت قدرته ، والمحيى في الحقيقة هو الله العلىّ القدير ، ولكن أجرى الاحياء على يد المسيح عليه السلام ، ليكون ذلك برهان نبوته ، ودليل رسالته .

الثالثة : ابراؤه عليه السلام الاكمه والابرص ، وهما مرضان تعذر على العالم قديمه وحديثه العثور على دواء لهما ، والتمكن من اسباب الشفاء منهما ، ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما ، وبرىء المريضان برقيته ، فكان ذلك دليلا قائما على رسالته عليه السلام .

الرابعة : انزال المائدة من السماء بطلب الحواريين ، لتطمئن قلوبهم ، وليعلموا ان قد صدقهم .

وهناك خامسة ذكرت في سورة آل عمران ، وهى انباؤه عليه السلام بأمور غائبة عن حسه ، ولم يعاينها ، فقد كان ينبئ أصحابه وتلاميذه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم . وقد ذكر الله تعالى في قوله تعالى حاكيا عنه « **وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ، أن في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين** » .

### الحكمة من كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع :

١١ — هذه معجزات عيسى عليه السلام ، وهنا يتساءل القارىء : لماذا كانت معجزاته عليه السلام من ذلك النوع ؟ يجيب عن ذلك ابن كثير في كتابه البداية والنهاية بقوله : « كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان فذكروا ان موسى عليه السلام كانت معجزاته مما يناسب أهل زمانه ، وكانوا سحرة اذكاء ، فبعث آيات بهرت الأبصار ، وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهى اليه . وعينوا ما عينوا من الأمر الباهر الهائل الذى لا يمكن صدوره الا ممن أيدته الله ، وأجرى الخارق على يديه تصديقا له أسلموا سراعا ، ولم يتلعثموا : وهكذا عيسى ابن مريم بعث في زمن طبائعية الحكماء ، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون اليها ، وانى لحكيم ابراء الأكمه الذى هو أسوأ حالا من الأعمى والابرص والمجنون ومن به مرض مزمن ، وكيف يتوصل أحد من الخلق الى أن يقيم الميت من قبره ، وغير هذا مما يعلم كل أحد أنه معجزة دالة على صدق من قامت به ، وعلى قدرة من أرسله ،

وهكذا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين بعث في زمن الفصحاء البلفاء ، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . فلفظه معجزة تحدى به الانس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة ، وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون لا فى الحال ، ولا فى الاستقبال ، فلم يفعلوا ، ولن يفعلوا ، وما ذلك الا لأنه كلام الخالق عز وجل ، والله لا يشبهه شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

### ما نراه حكمة صريحة :

١٢ - من هذا الكلام يستفاد أن معجزة المسيح كانت من نوع ابراء المرضى الذين يتعذر شفاؤهم واحياء الموتى ، لأن القوم كانوا على علم بالطب الطبيعى وكانوا فلاسفة فى ذلك ، فجاءت المعجزة من جنس ما يعرفون ، ليكون عجزهم حجة عليهم ، وعلى غيرهم ممن هم دونهم فى الطب ، ولكن رينان الفيلسوف المؤرخ الفرنسى يقرر أن اليهود ماكانوا على علم بالطب الطبيعى فيقول : « كانت صناعة الطب فى المشرق فى ذلك الزمان كما هى اليوم ، فان اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التى وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ ، وكان قد ظهر قبل ذلك بأربعة قرون ونصف كتاب لأبقراط أبى الطب موضوعه العلة المقدسة يعنى الهستيريا ، وفيه وصف هذه العلة ، وذكر دوائها ، الا أن اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب ، وكان فى اليهودية فى ذلك الزمان كثيرون من المجانين ، وربما كان ذلك ناشئا من شدة الحماسة الدينية .

فاليهود الذين بعث المسيح بين ظهرانيهم لم يكونوا على علم اذن بالطب ، أو الطب الطبيعى على رأى ذلك الفيلسوف المؤرخ .

وفى الحق أن الذى نراه تعليلا مستقيما لكون معجزات السيد المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه ، لا لانهم أطباء ، فناسبهم أن تكون المعجزة ما يتصل بالشفاء والادواء ، بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح فى أقوال بعضهم ، وأفعال جميعهم ، فجاء عليه السلام بمعجزة هى فى ذاتها أمر خارق للعادة .

مصديق لما يأتي به الرسول وهى فى الوقت ذاته اعلان صادق للروح وبرهان قاطع على وجودها ، فهذا طين مصور على شكل طير ، ثم ينفخ فيه فيكون حيا ، ما ذاك الا لان شيئا غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه ، فكانت معه الحياة ، وهذا ميت قد اكله البلى ، واخذت أشلاؤه فى التحلل ، واوشكت أن تصير رميما ، أو صارت . يناديه المسيح عليه السلام ، فاذا هو حى يجيبنداء من ناداه ، وما ذاك الا لان روحا غير الجسم الذى غيره البلى حلت فيه بذلك النداء ، ففاضت عليه بالحياة ، وهكذا . فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته ، وتناسب اخص رسالته ، وهو الدعوة الى تربية الروح ، والايان بالبعث والنشور ، وأن هناك حياة أخرى يجازى فيها المحسن باحسانه والمسيء باساءته ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . وهل ترى أن معجزة احياء الموتى تسمح لمنكر الآخرة بالاستمرار فى انكاره أو تسمح لجاحد البعث والنشور أن يستمر فى جحوده . وقد أسلفنا لك القول أن اليهود كان يسود تفكيرهم عدم الاعتراف بوجود الآخرة . وعدم الايمان باليوم الآخر . ان لم يكن بالقول بالعمل . فكان احياء الموتى صوتا قويا يحملهم على الايمان حملا . ولكنهم كانوا بآيات الله يجحدون .

### تلقى اليهود لدعوته :

١٣ — بعث عيسى عليه السلام بتلك البيئات ، وأيد رسالته بتلك المعجزات وانها باهرة تخرس الألسنة ، وتقطع الطريق على منكرى رسالته . لو كان الدليل وحده هو الذى يهدى النفوس الضالة ، والقلوب الشاردة ، ولكن القوم الذين بعث فيهم كانوا غلاظ الرقاب ، قساة القلوب فكانت مهمته شاقة ، اذ حاول هدايتهم ، لان منهم من علم الديانة رسوما وتقاليد يتجهون الى الاشكال والمظاهر منها . دون الاتجاه الى لبها وغايتها . حتى لقد كان منهم من يحجم عن عمل الخير فى يوم السبت زاعما أنه داخل فى عموم النهى عن العمل فيه ، فاذا جاء المسيح داعيا الى أن ينظروا الى اصلاح القلب ، بدل الاخذ بالمظاهر والاشكال فانه لا شك يصدم هؤلاء فيما يألون وفيما وجدوا عليه سابقهم .

واليهود قوم عكفوا على المادة ، واستفرقتهم ، واستنوتت على أهوائهم ومشاعرهم حتى لقد كان نساكهم وسدنة الهياكل عندهم ، وقد

فاتهم العمل على كسب المال من أبوابه الدنيوية — يجمعون المال من نذور الهياكل . والقرايين التي يتقرب بها الناس . ويحرصون على ذلك أشد الحرص . فكانوا يأخذون القرايين من أشد الناس حاجة وأفقرهم . فجاء المسيح وندد بهذا .

ولقد اتخذ بنو اسرائيل من تدينهم المزعوم بدين موسى والانبياء من بعده . وزعمهم أن لهم منزلة دينية لا يسامهم فيها أحد — اتخذوا من هذا ما يصح أن يسمى ارسقراطية دينية ؟ فزعموا أن لهم المكانة السامية . ولغيرهم المنزل الدون ، ولو اعتنقوا الديانة اليهودية ، وآمنوا برسالة موسى . فكانت هناك طائفة يقال لها السامرة ، وكان الاسرائيليون يعاملون آحادها ، كأنهم المثبوثون . فلما جاء عيسى عليه السلام . وسوى بين بنى البشر في دعايته أنكروا عليه ذلك وناصبوه العدا .

ولقد كانوا يجعلون لاجبارهم وعلماء الدين فيهم المنزلة السامية والمكانة العالية دون الناس . فجاء المسيح وجعل الناس جميعا سواء أمام ملكوت الله .

### مناوأة اليهود له :

١٤ — لكل هذا تقدم اليهود لمناوأة المسيح . وقليل منهم من اعتنق دينه وآمن به . وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعايته ، فلما أعيتهم الحيلة . ورأوا أن الضعاف والفقراء يجيبون نداءه ، ويلتفتون حوله مقتنعين بقوله — أخذوا يكيدون له . ويوسوسون للحكام بثأته ، ويحرصون الرومان عليه ، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون الى المسائل الدينية . والخلافات المذهبية بين اليهود ، بل تركوا هذه الامور لهم يسوونها فيما بينهم ، واليهود يريدون أن يفروا الرومان بعيسى كيما كان الثمن . فبثوا حوله العيون يرصدونه ، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحكام . عساهم يجدون كلمة له يتعلقون بها وينقلون بها للحاكم الرومانى ، فلم يجدوا لأن المسيح ما كان يدعو الا الى اصلاح الجانب النفسى الخلقى ولم يكن قد اتجه الى اصلاح الحكومة بعد . ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه ، وانتهى الامر الى أن تمكنوا من حمل الحاكم الرومانى على أن يصدر الامر بالقبض عليه ، والحكم عليه بالاعدام صلبا .

### نهية المسيح في الدنيا :

١٥ — وهنا نجد القرآن الكريم يقرر أن الله لم يمكنهم من رقبته ، بل نجاه الله من أيديهم : « فما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم » ، وبعض الآثار تقول أن الله ألقى شبهه على يهوذا ، ويهوذا هنا هو يهوذا الاسخريوطى الذى تقول الأناجيل عنه أنه هو الذى دس عليه ، ليرشد القابضين اليه ، إذ كانوا لا يعرفونه ، وقد كان أحد تلاميذه المختارين فى زعمهم .

ولقد وافق هذا إنجيل برنابا موافقة تامة ، ففيه : « ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع — سمع يسوع دنو جم غفير ، فلذلك انسحب الى البيت خائفاً ، وكان الاحد عشر نياما ، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل وروفائيل وأدرييل (١) سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الاطهار ، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح الله الى الأبد .. ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التى أصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياما ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه ، فصار شبيهاً بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع ، أما هو فبعد أن استيقظ أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ، لذلك تمجبنا ، وأجبنا أنت يا سيدى معلمنا ، أنسيتنا الآن .. الخ » .

والأناجيل المعتبرة عند المسيحيين لم تختلف فى شيء كاختلافهم فى قصة الصلب ، فلكل رواية بشأنها .

### المسيح بعد نجاته :

١٦ — لم يصلب المسيح بنص القرآن ، ولكن شبه على القوم ، لقوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم » وقوله تعالى : « وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه » وإذا كان المسيح عليه السلام لم يصلب ، فما هى حاله بعد ذلك ؟ اختلف فى هذا الشأن مفسرو القرآن ، فجلهم على أن الله سبحانه وتعالى رفعه بجسده وروحه اليه ، وأخذوا

(١) يريد اسرافيل ، وعزرائيل .



يظاھر قوله تعالى في مقابل القتل ، بل رفعه الله اليه ، و ببعض آثار قد وردت في ذلك ، و فريقي آخر من المفسرين ، وهم الأئمة عددا ، قالوا : انه عاش حتى توفاه الله تعالى كما يتوفى أنبياءه ، و رفع روحه اليه كما ترفع ارواح الأنبياء و الصديقين و الشهداء ، و أخذوا في ذلك بظاھر قوله تعالى : « انى متوفيك ورافعك الى و مطهرك من الذين كفروا ، و جعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » و من ظاھر قوله تعالى : « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، و أنت على كل شئ شهيد » و لكل من المختلفين وجهة هو موليا ، و لا نريد أن ندخل في تفصيل حجج الفريقين و ترجيح احدهما على الأخرى ، فلذلك موضع ليس هذا مقامه .

١٧ — و يزعم بعض الناس أن المسيح عليه السلام قد هاجر الى الهند ، و أنه عاش فيها . حتى استوفى أجله ، و مات هناك ، و له قبر ، و لقد جاء في تفسير المنار ما نصه : « وجد في بلدة سرى نكرا مقبرة فيها مقام عظيم يقال انه مقام نبي جاء بلاد كشمير من زهاء ألف و تسعمائة سنة ، و يسمى يوز آسف و يقال ان اسمه الأصلى عيسى ، و انه نبي من بنى اسرائيل ، و انه ابن ملك ، و ان هذه الأتوال مما يتناقله أهل تلك الديار عن سلفهم ، و تذكر في كتبهم ، و ان دعاة النصرانية الذين راوا ذلك المكان لم يسمعهم الا أن قالوا ان ذلك القبر لأحد تلاميذ المسيح أو رسله » هذا ما جاء في تفسير المنار ، و قد ذكر أن نقله عن غلام أحمد القديانى الهندي ، و هو راو يشك في صدقه .

هذا . و ان القرآن الكريم لم يبين ماذا كان من عيسى بين صلب الشبيه و وفاة عيسى أو رفعه على الخراف في ذلك ، و لا الى أين ذهب ، و ليس عندنا مصدر صحيح يعتمد عليه ، فلنترك المسألة : و نكتفى باعتقادنا اعتقادا جازما أن المسيح لم يصلب ، و لكن شبه لهم .

موازنة بين المسيح في القرآن الكريم و المسيح في المسيحية الحاضرة :

١٨ — « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون \* ما كان لله أن ينخذ من ولد ، سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون » . و تلك ديانته كما جاء بها ، و دعا اليها ، فما الذى عرض لها من بعده ، و ما الذى ادخل عليها بعد أن رفع الى ربه ؟ .. أول ما ادخل على هذه الديانة

هو ما يتعلق بشخص المسيح عليه السلام ، ولنسارع في بيان اعتقادهم في المسيح بايجاز ، ثم بعد ذلك نبين الأدوار التاريخية التي مرت بتاريخ المسيحيين ، محاولين ما استطعنا أن نبين مصادر هذه الاعتقادات التي تتعلق بالمسيح ، ثم بقوانينهم الكنسية .

يعتقد المسيحيون ان الله سبحانه وتعالى أوصى آدم بالأكل من الشجرة ، فأكل منها باغواء ابليس ، فاستحق هو وذريته العذاب ، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمة منه بعباده جسد كلمته ، وهى ابنه الأزلى تجسدا ظاهرا ، ورضى بموته على الصليب ، وهو غير مستحق لذلك ، لكى يكون ذلك فداء الخطيئة الأولى ، ولم يكن فى استطاعة أحد أن يقوم بذلك الفداء سوى ابن الله وابن الانسان معا ، وكان ذلك الابن ، وهذا الفداء هو المسيح عيسى ولد مريم العذراء .

أرسل الله اليها ملاكه جبريل ، وبشرها بأن المسيح مخلص الدنيا يولد منها ، وان الروح القدس يحل فيها ، فتلد الكلمة الأزلية ، وتصير والدة الاله . وقد ولد بيت لحم ، اذ كان قد ذهب اليها يوسف النجار خطيب مريم الذى لم يتركها بعد أن حملت : لرؤيا رآها فى منامه تمنعه من ذلك ، لأن بيت لحم بلده ، فذهب اليها ومعه مريم ليقيد اسمه فى الاحصاء العام الذى أمر به الرومان .

ولد المسيح فى خان قد نزل فيه يوسف ومريم ، ولفترهما لم يجدا مأوى لهما فى الخان سوى مكان الدواب . ولقد قمطته واضجعتة فى مذود البقر .

وفى ليلة ميلاده ظهر ملاك لجماعة من الرعاة كانوا يحرسون قطعانهم فى الحقول المجاورة لبيت لحم ، فراوا بفتة جمهورا من الملائكة مسبحين تاتلين « المجد لله فى الاعالى ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة » فترك الرعاة القطعان ، وذهبوا الى المكان الذى دلهم عليه الملائكة ، فراوا الطفل فى المذود ، وعادوا وهم يمجدون الله ، ويسبحونه على كل ما سمعوا ورأوا . كما قيل لهم .

وقد ختن المسيح لما مرت ثمانية أيام من وقت ولادته ، وسمى يسوع . أى المخلص فى زعمهم كما سماه الملاك عند التبشير به .

ولقد حدث بعد ولادته بأيام أن وفد الى اورشليم جماعة من حكماء  
المجوس وعلماهم ، قالوا انه لاح لهم في السماء نجم عرفوا من مرآه بملء  
أوتوا من علمهم وما عندهم من آثار ونبوات أنه نجم مولود جديد هو ملك  
اليهود المنبأ به فعزموا على الرحيل اليه ، ليسجدوا له ، وحملوا معهم  
هدايا من الذهب واللبان والمر . وكانوا في مسيرهم يسرون والنجم الذي  
رأوه يهديهم الى الطريق هم ومن معهم من خدم . حتى جاؤوا الى المدينة ،  
وسألوا عن مكان الملك المولود ، فلما علم هيرودس ملك اليهود بأمرهم  
دعاهم اليه ، واستطلع طلعمهم ، وتعرف أمرهم فقصوا عليه قصصهم وما  
ابتعثهم الى الضرب في الأرض . والمجىء الى اورشليم ، فسرى الى نفسه  
الخوف على ملكه من هذا الوليد ، ثم دعا اليه كهنة اليهود وكتبتهم ،  
وسألهم أين يولد المسيح . فقالوا : في بيت لحم اليهودية حسب النبوءات .  
فقال للمجوس . اذهبوا الى بيت لحم ، ومتى وجدتم الصبى فأخبروني  
لأسجد له ، قال ذلك ، وأخفى في نفسه أمرا لم يبده ، فذهبوا والنجم  
يتقدمهم ، ووجدوا الصبى يسوع وأمه ، فسجدوا له ، وقدموا هداياهم ،  
وفي هذا الوقت ظهر ملاك الرب في الحلم ليوستف ، وقال له قم وخذ الصبى  
وأمه ، واهرب الى مصر ، لأن هيرودس يطلب الصبى ليقطله ، ففعل كما  
أمر ، وخرجت الأسرة المقدسة الى مصر وسائر المجوس الى بلادهم من غير  
أن يعرجوا على هيرودس لأنهم نهوا عن العودة اليه بوحي أوحى اليهم في  
حلم ، فأخذة الفيظ ، واندفع فأمر بقتل جميع اطفال بيت لحم والبلاد التي  
تجاوزه ممن لا تتجاوز سنه سنتين . زاعبا أن يسوع لابد أن يكون أحدهم .

رحلت الأسرة المقدسة الى مصر ونزلوا حيث يوجد الدير المحرق ، كما  
يعتقدون ، وبعد أن قاموا بضعة أشهر واعتزموا الرحيل ، لأن ملك الرب  
ظهر ليوستف في الحلم ، وقال له : قم وخذ الصبى وأمه وعد الى اليهودية ،  
لأن هيرودس الذي كان يطلب نفس الصبى قد مات ، فقاموا واتجهوا الى  
فلسطين ، ومروا في طريقهم بالطرية ، واستظلوا بشجرة هناك تسمى  
شجرة العذراء . وفي بعض الآثار أنه لما فخلت مريم وابنها ويوسف  
أرض مصر ، انكثأت أصنامها وتحطمت ، وكان ذلك اتماما لنبوة أشعيا  
القائلة ، « هو ذا الرب راكب على سحابة وقادم الى مصر ، فترتجف أوثان  
مصر من وجهه . ويذوب قلب مصر داخلها » سفر أشعيا — ١٩ : ١ .

ولما عادوا الى فلسطين اتهموا في الناصرة . ولما بلغ يسوع الثلاثين من عمره عمد في نهر الاردن ، عمده يوحنا المعمدان ، ثم صام اربعين يوما ، ولما شرع في التبشير ظهر له الشيطان يجربه . وقال له : أعطيك هذه الدنيا ان خرت وسجدت لى : فأجاب يسوع وقال : اذهب يا شيطان . ثم تركه ابليس ، واذا ملائكة قد جاءت وصارت تخدمه ، وبعد هذه التجربة صار في طريق التبشير . فلزمه حواريوه الاثنا عشر ، واختار معهم سبعين ارسلهم مثنى مثنى الى قرى اليهود والجليل للتبشير . ثم اقام ثلاث سنوات يبشر ، ويأتى بالمعجزات المثبتة لالهيته في زعمهم ، يشفى المريض ويفتح أعين العميان ، ويخرج الأرواح النجسة .. وينهر الرياح اذا ثارت ، والبحر اذا اضطخب بالأذى ، وقذف بالزبد ، فيهدآن .

ولما رأى اليهود أن الأمر يكاد يفلت من أيديهم تشاوروا لكي يصطادوه ، وتآمروا عليه ، وشكوه ظلما ، وكذبوا عليه ، ثم أمسكوا به وأسلموه الى بيلاطس حاكم فلسطين من قبل الرومان . فقتضى عليه بالموت صلبا ، فصلب في زعمهم ودفن . وبعد ان مكث في القبر ثلاثة أيام قام في الفصح ، ومكث اربعين يوما ارتفع بعدها الى السماء أمام تلاميذه الذين عينهم لنشر ديانته ، اذ قال لهم : « اذهبوا الى العالم ، وكرزوا بالانجيل للخليفة كلها ، وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس » .

## المسيحية بعد المسيح

### ما نزل بالمسيحيين من اضطهاد :

١٩ - هذا هو المسيح كما جاء في كتبهم وتعاليمهم ، ولا نريد أن نخوض في بيان خلافاتهم حوله ، ولا بيان اختلافهم في تفسير هذه العقيدة ، ولا في تفصيل مجملها قبل ان نبين ما نزل بالمسيحيين بعد المسيح ، ولكنه سارعنا الى بيان اعتقادهم الذى استقروا عليه في المسيح ليوازن القارئ بين ما جاء في القرآن الكريم ، وما جاء في انجيلهم وتعاليمهم .

ونعود بعد ذلك الى ما يوجبه البحث العلمى ، وهو تتبع العقيدة في نموها ، وفي استقامتها أو انحرافها بعد صاحبها ، وتمهيدا لذلك نبين ما نزل بالمسيحيين بعده ، لكى يستبين القارئ مقدار قوة السند بين الديانة وصاحبها مع هذه الاحداث ، وليعرف الفلسفة التى عاصرت المسيحية . ومقدار اتصالهما .

اتفقت المصادر شرقية وغربية ، دينية وغير دينية : على ان المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث ، جعلتهم يستخفون بديانتهم ، ويفرون بها أحيانا ويصمدون للمضطهدين مستشهدين أحيانا أخرى ، وهم في كلتا الحالين لا شوكة لهم ، ولا قوة تحميهم ، وتحمى ديانتهم وكتبهم ، وانه في وسط هذه الاضطهادات يذكرون انه دونت انجيلهم الأربعة التى يؤمنون بها ، ودونت رسائلهم !!

وأول اضطهاد نزل بالمسيحيين كان في عهد المسيح ، وانتهى بالخاتمة التى بناها ، ولقد نزلت من بعده الشدائد بالمسيحيين بما يتفق مع هذا الابتداء . فلقد جاء قيصران بعد طياروس الذى عاصر المسيح ، كانا شديدين على تلاميذه ، وقتلا منهم قتلا ذريعا ، وفي زمن ثانيهما دون متى أنجيله بالعبرية . وترجمه يوحنا صاحب الانجيل الى اليونانية ، على رواية ابن البطريق كما سنتبين ، ولم يكن الاضطهاد في عهد هذين التيصرين من الرومان فقط ، بل كان من اليهود أيضا ، وأذاهم أمكن ، وتثقيبهم عن

العقيدة ادخل . لانهم من الشعب ومخالطوهم ومعاشروهم ، فهم بداخلهم اعرف .

واشد ما نزل من اذى كان في عهد نبيرون ( سنة ٦٤ م ) وتراجان سنة ١٠٦ م وديسيون ( ٢٤٩ — ٢٥١ م ) ودقلديانوس ( سنة ٢٨٠ م ) ، فنيرون هاج الشر عليهم ، وانزل البلاء والعذاب بهم . واتهمهم بانهم الذين احرقوا روما ، فاخذهم بجريرتها . وكانت السنوات الأربع الأخيرة عذابا اليها لهم . فقد تفنن هو واشياعه في هذا العذاب ، حتى لقد كانوا يضعون بعضهم في جلود الحيوانات ويطرحونهم للكلاب فتنهشهم ، وصلبوا بعضهم ، والبسوا بعضهم ثيابا مطلية بالقار ، وجعلوهم مشاعل يستضاء بها ، وكان هو نفسه يسير في ضوء تلك المشاعل الانسانية .

وفي عصر نبيرون هذا دون انجيل مرقس سنة ٦١ على رواية ، وكان مبصر وقد كتبه عنه بطرس وهو برومة وكتب ايضا لوقا انجيله في عهد هذا القيصر ، وفي ابتداء هذا الانجيل ينص على انه يرسل به تاوفيلس ، ليؤكد له صحة الكلام ، وتاوفيلس هذا رجل من عظماء الروم واثرائهم ، وفي عصر هذا القيصر او بعده دون يوحنا انجيله .

وفي عهد تراجان نزلت بهم الام ، لانهم قد جرت عادتهم بالصلاة في الخفاء وهربا من الاضطهاد ، وقد امر تراجان بمنع الاجتماعات السرية ، فانزل بهم الذل والعذاب لذلك ، ولانهم مسيحيون لا يدينون بدين القيصر .

جاء في كتاب تاريخ الحضارة « لقد كتب بلين — وكان واليا في آسيا — الى الامبراطور تراجان كتابا يدل على الطريقة التي كان بها المسيحيون ، قال : « جريت مع من اتهموا بانهم نصارى على الطريقة الآتية وهو انى اسألهم اذا كانوا مسيحيين فاذا اقرروا اعيد عليهم السؤال ثانية وثالثا مهددا بالقتل ، فان اصرروا انفذت عقوبة الاعدام فيهم ، مقتنعا بان غلظهم الشنيع ، وعنادهم الشديد ، يستحقان هذه العقوبة ، وقد وجهت التهمة الى كثيرين يكتب لم تذييل بأسماء اصحابها ، فانكروا انهم نصارى ، وكرروا الصلاة على الارباب الذين ذكرت اسماءهم امامهم ، وتقدموا الخمر والبخور لتمثال اتيت به عمدا مع تماثيل الارباب ، بل انهم شتموا المسيح ، ويقال ان من الصعب اكرامه النصارى الحقيقيين ، ومنهم من اعترفوا بانهم نصارى ،

ولكنهم كانوا يثبتون بأن جريمتهم في أنهم اجتمعوا في بعض الأيام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على أنه رب ، وعلى انشاد الأناشيد اكراما له ، وتعاهدوا بينهم لا على ارتكاب جرم ، بل على الا يسرقوا ، ولا يقتلوا ، ولا يزناوا ، وأن يوفوا بعهدهم ، ورأيت من الضروري لمعرفة الحقيقة أن أعذب امرأتين ذكروا أنهما خادمتا الكنيسة ، بيد أنى لم أفد على شيء سوى خرافة سخيفة مبالغ فيها .

وهذا الكتاب كاشف كل الكشف عما كان يحدث للنصارى في عهد ذلك القيص من اضطهاد وتعذيب ، وتنقيب عن القلب وخبينة النفس .

ولم ينقطع الاضطهاد بعد موت تراجان ، بل استمر ، وان أخذت الرافة بعض القياصرة ، خلف من بعده خلف ينزلون عذابا مرا يزيل أثر كل رحمة سابقة كانت نسبية حتى جاء ديسيوس فأنزل بهم من البلاء ما تتشعر من هوله الأبدان ، ولترك القلم لبطريك الاسكندرية ، يصف بعض ما عين من ديسيوس بعد أن ذاق بعض الرحمة من سابقه ، فهو يقول : « لم نكد نتنفس الصعداء ، حتى خلق بنا الخوف ، وحفنا الخطر ، عندما بدل ذلك الملك الذى كان أرق جانبا ، وأقل شرا من غيره ، وجاء مكانه ملك آخر ، ربما لا يجلس على كرسى المملكة حتى يوجه أنظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا . وقد تحقق حدسنا ، عندما أصدر أمرا شديدا الوطاة ، نعم الخوف الجميع ، وفر بعضهم ، وقد أبعد كل مسيحي من خدمة الدولة ، مهما يكن ذكاؤه ، وكل مسيحي يرشد عنه يؤتى به على عجل ويقدم الى هيكل الأوثان ، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم ، وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة أن يكون هو الذبيحة . بعد ان يجتهدوا في حمله بالترهيب . . . ومن ضعاف الايمان من أنكروا مسيحيته . واقتدى به البعض ، ومنهم من تمسك بأذيال الفرار ، أو من زج به في غيابات السجون » .

وهكذا يقص ذلك القسيس ما نزل بهم مما انتهى به الأمر الى فراره هو ، وقد كتب يعتر (١) عن ذلك الى بعض من أبلوا بلاء حسنا ، ولم يلوذوا بالفرار .

(١) راجع في هذا الكتاب تاريخ الأمة القبطية الجزء الأول ص ١٠٤ ،

ولم يكن البلاء مقصورا على مصر ، بل كان يتتبع المسيحيين في الدولة الرومانية حيثما ثقفوا ، وأيضا كانوا .

ولى بعد ديسيوس من أوقع البلاء وأنزله بالمسيحيين ، ولكن كان أشد هؤلاء وبلغهم أذى وأنكاهم بطشاً — دقلديانوس الذى جاء اليهم ، بعد أن خف العذاب عنهم قليلا ، وقد رجوا فيه خيرا ، وأملوا منه أن يكون عوناً ، لأن مدير خاصته مسيحي ، ولكنه كان أشد من غيره على المسيحيين ، وخصوصا المصريين ، وذلك لأن المصريين رأوا أمما تحلت من حكم الرومان ، وفكوا أغلاله ، فاققدوا بهم ، ونزعوا الى السير في طريق الحرية والاستقلال ، وساروا فيه ، وعقدوا الامرة لواحد منهم ، فجاء دقلديانوس الى مصر ، وأنزل بها البلاء ، وأزال استقلالها ، وأعاد فتحها ، وكانت كثرتها في ذلك الابان مسيحية ، وقد أمر بهدم الكنائس ، واحراق الكتب ، واصدر أمرا بالقبض على الأساقفة والرعاة ، وزجهم في غيابات السجن ، وقهر المسيحيين وحملهم على انكار دينهم ، وقد استشهد في هذا الوقت عدد كبير من الأقباط تجاوزت عدتهم أربعين ومائة ألف ، وعدم بعض المؤرخين ثلاثمائة ألف ، ولكنة ما استشهد من شهداء وما نزل من بلاء كانت ولاية دقلديانوس حادثا ذا خطر في شأن مصر فجعلوه مبدأ تقويهم ، وذلك في سنة ٢٨٤ ميلادية .

وقد استمر البلاء ينزل من قياصرة الروم حتى جاء عهد قسطنطين ، يمينا وبركة على المسيحيين ، لا على المسيحية كما سنبين .

### أثر الاضطهادات في الديانة :

٢٠ — هذه هي الاضطهادات التى قارنت المسيحية في نشأتها وفي تكوينها وليدا وفي تدرجها ، وفي عصر تدوينها ورواية كتبها ، وهى مع اسباب أخرى جعلت بعض العلماء يبحثون عن قيمة هذه الكتب ، وجعلت بعض علماء المسيحيين أنفسهم يعتذرون عن بعض الاضطراب في الأناجيل بأنها دونت في عصور اضطهاد المسيحية الأولى ، بل ان مناظرهم يقررون بأن تلك الاضطهادات كانت سببا في فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة . يقول الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه أظهار الحق : « طلبنا مرارا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين



في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم ، فقال : ان سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين الى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة ، وتفحصنا كتب الاسناد لهم ، فما رأينا فيها شيئا غير الظن ، يقولون بالظن ، ويتمسكون ببعض القرائن . وقد قلت ان الظن في هذا الباب لا يفنى شيئا ، فما داموا لم يأتوا بدليل شاف ، وسند متصل فمجرد المنع يكفي . وايراد الدليل في ذمتهم لا في ذمتنا . وفي الحق ان تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به في شئونهم الدينية — وخاصة ما كان متصلا ببيان الشريعة يقومون به سرا لا جهرا ، وفي خفية من العيون المتربصة ، والاعداء المتربصين ، والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن الى ما يحكى عما يحدث فيها ، فيتظنن في كل ما يروى عنها ، ولا مانع من ان يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها ، وينقل عن اشخاصهم ما لم يقولوه ، ويتسامع الجمهور امورا ما حدثت في تلك الاجتماعات ، ولا قالها حاضرها ، فاذا جرى الشك والريب فيما دون من كتب المسيحية التي فقدت سندها بسبب هذا الاضطهاد ، والتي كتبت في ظلمة السرية ، يكون قد وقع حيث وجدت دواعيه ، وقامت شواهد .

### الفلسفة الرومانية والمسيحية :

٢١ — ولقد كان من المسيحيين من يفرون بدينهم ، ومنهم من يظهر الوثنية ويبطن المسيحية ، ومنهم من دخل النصرانية وفي رأسه تصاليم الوثنية لم تخلع منه ولم تزايله ، وان زابلها بعقله المدرك فعقله الباطن ما زال مستقرا لها ومكنا تكمن فيه ، واهؤلاء لا شك اثر تفكيرهم في المسيحية التي لم يكن لها قوة تحميها ولا شكيمة تعقل النفوس الى حظيرتها .

وان التاريخ يروى لنا انه في القرن الثاني ، والثالث ، والرابع الميلادي قد دخل الرومان والمصريون افواجا افواجا في المسيحية . فمن حق العلم ان نحكى ما كان يسيطر على هذه الأمم من أفكار ، وما كان يسود تفكيرها من منازع عقلية ودينية ، ولا نعتد في ذلك الا على ما اثبتته تاريخ العلم والفلسفة ، وما اجمع عليه المؤرخون .

يحكى التاريخ ان مدينة الرومان لم تكن متناسقة تناسقا اجتماعيا ، فلم يكن توزيع الثروة فيها توزيعا يتحقق معه العدل الاجتماعى ، فبينما ( م ٣ — محاضرات في النصرانية )

ترى ترفا ورخاء لمن أمانت عليهم الدولة بالفئء والغنائم والأسلاب من الفتوح الرومانية ، ترى ألوف الألوؑ من الناس قد حرموا ما يتبلغون به في حياتهم ، لمستولى عليهم الأحساس بالظلم ، والسخط على الحياة ، والتململ بها ، والناس لا يشقون لآلامهم وحرمانهم بمقدار ما يشقون لسعادة غيرهم التي امتنعت عليهم ، وكذلك كانت آلام سواد الرومان ، ولولا الأيمان بحياة مستقبلية ، يستمتعون فيها بما حرموا منه في هذه الحياة ، لضاقت الصدور بما يجعل في القلوب ، ولانفجرت في ثورة اجتماعية ، لكن توجهت هذه النفوس الى الأيمان بعالم علوى ، واعترف الإنسان بعجزه التام عن معرفة نفسه واسعادها ، إذا اعتمد على تفكيره فقط ، لذلك رجعوا الى الدين .

وفي هذا الوقت أراد الفلاسفة أن يطوا فلسفتهم محل الأديان ، إذ أخذت التماثيل والأوثان تفقد قوة تأثيرها ، ولم يعد لها سلطان في تصريف سلوك الإنسان ، وفقدت معابدها ما كان لها من روعة وقوة ، فاعتور النفس الرومانية حينئذ عاملان ، كلاهما فيه قوة وبأس ، فشعورهم بالباسء والآلام يجعلهم في حاجة الى عزاء من الدين ، وسلوى باليوم الآخر ، وملاذ الى حياة روحية ، والفلسفة — بما لها من سلطان العقل — لما وجدت الأوثان تسقط قيمتها أرادت أن تحل محلها ، حينئذ التحمت الفلسفة بالشعور الدينى ، أو التقت الفلسفة والدين ، ولم يكن التقاؤهما عداوة وخصاما ، بل كان محبة وسلاما ، فكانت تلك الحال داعية اتصال بينهما ، لا داعية افتراق .

قال فندلبنء في ذلك : « ان الفلسفة استخدمت نظريات علوم اليونان لتهذيب الآراء الدينية ، وترتيبها ولتقدم بالشعور الدينى اللجوج فكرة في العالم تنفعه . فأوجدت نظما دينية من قبيل ما وراء المادة تتفق مع الأديان المتضادة اثناثا يختلف قلة وكثرة » .

هذه كلمة ذلك الفيلسوف نقلها عنه صاحب كتاب المبادئ الفلسفية، فيها هذه الأديان المتضادة التى ألقت بينها الفلسفة ، وجعلت من نعماتها المخطئة نعمة واحدة مؤتلفة ؟

ان التاريخ يقص علينا أن الأديان التي كانت في بلاد الرومان ثلاثة : الوثنية الرومانية ، واليهودية ، والمسيحية الناشئة ، فهل عملت الفلسفة على إيجاد ديانة تجمع بين المسيحية واليهودية ، وفيها وثنية ؟ وهل المسيحية التي تؤمن بالتوراة التي عند اليهود على اختلاف هين ، وتؤمن بالتثليث والهوية المسيح وتقديس الصليب ، هي النظام الدينى الجامع بين الأديان الثلاثة !! لنترك ذلك الآن . وقد وضعنا أمام القارئ المصباح الذى يرى به الطريق .

### الأفلاطونية الحديثة وأثرها في النصرانية :

٢٢ - ولنتجاوز رومة الرومان ولنعبّر البحر الأبيض ، ولننيم شواطئه الجنوبية ، فهناك تجد مدينة الاسكندرية ومدرستها ، وفلسفتها التي كانت تشع على العالم كله بنور العلم ، وقد آوى إليها فلاسفة اليونان ، وتابعوا الفلسفة اليونانية ، والتي تراها تتجه اتجاهها واضحا الى النواحي الدينية ، والبحث في منشاء الكون .

كان شيخ هذه المدرسة أمنيوس المتوفى سنة ٢٤٢ ، اعتنق في صدر حياته الديانة المسيحية . ثم ارتد عنها الى وثنية اليونان الأقدمين ، وجاء من بعده تلميذه أفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠ وقد تعلم في مدرسة الاسكندرية أولا ، ثم رحل الى فارس والهند ، وهناك استقى ينباع الصوفية الهندية ، وأطلع على تعاليم بوذا وديانته ، وبراهمة الهند وديانتهم . وعرف آراء البوذيين في بوذا ، والبراهمة في كرشننة ، وقد عاد بعد ذلك الى الاسكندرية ، وأخذ يلقي بأرائه على تلاميذه ، وجلها يتجه الى تعسفها وراء الطبيعة ، ومنشاء الكون ..

ويلخص اعتقاده في منشاء الكون في ثلاثة أمور :

( أولها ) ان الكون قد صدر عن منشاء أزلى دائم لا تدركه الأبصار ، ولا تحده الأفكار ، ولا تصل الى معرفة كنهه الأفهام .

( ثانيها ) ان جميع الأرواح شـعب لروح واحد وتصل بالمشيء الأول بواسطة العقل .

( ثالثها ) ان العالم في تدبيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة ، وهو تحت سلطانتها ، فالله منشاء الأشياء وهو مصدر كل شيء ، واليه معاده لا يتصف

بوصف من أوصاف الحوادث . فليس بجوهر ولا عرض ، وليس فكرا  
كحكرنا .. ولا ارادة كرادتنا ولا وصف له ، الا انه واجب الوجود ،  
يتصف بكل كمال يليق به ، يفيض على كل الاشياء بنعمة الوجود ،  
ولا يحتاج هو الى موجود ، وأول شيء صدر عن هذا المنشاء في نظر  
أفلوطين هو العقل المصدر عنه كأنه يتولد منه ، ولهذا العقل قوة الانتاج ،  
ولكن ليس كمن تولد عنه ، ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح ،  
وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه يتولد كل شيء .

٢٣ — هذه هي فلسفة المعاصرين لنشأة الديانة المسيحية عندما  
أريد تحويلها ، وترى أن فلسفة الرومان ترمى الى ايجاد الفة بين الوثنية  
واليهودية ومسيحية المسيح عليه السلام ، كما ترى أن فلسفة الاسكندرية  
ترجع العالم في تكوينه وتدبيره الى ثلاثة عناصر او الى ثالوث مقدس هو  
المنشاء الأول ، والعقل الذي تولد منه كما يتولد الولد من ابيه ، والروح  
الذي يتصل بكل حي ومنه الحياة . فاذا عبرنا عن المنشاء الأول بالآب ،  
وعن العقل المتولد عنه بالابن ، وعن الروح بروح القدس ، كما هو ثالوث  
النصارى الذي أخذ ببعضه مجمع نيقية ، وبكلمة المجامع التي جاءت من  
بعده ، لما خرجنا في التسمية عن الصواب ، وما كان فيها أى تسامح ،  
فذلك الثالوث في معناه هو ثالوث النصارى ، واذا لم يختلف المسمى ،  
فلماذا يختلف الاسم ؟ .

وهنا يرد على النفس سؤال : أيهما استقر ، وأيها كان ينبوع ؟  
هل أخذت الأنطاطونية الحديثة من النصرانية ، أم النصرانية الحاضرة هي التي  
أخذت عن الفلسفة ؟ ان الجواب عن هذا يقتضى تعرف السابق منهما ،  
فالسابق بلا ريب استاذ اللاحق ، والزمن هو الذى يحكم ويفصل ، وسنجد  
فيما يلي من البحث أن مجمع نيقية هو الذى سار في تقرير هذا الثالوث ،  
ووضع الأساس لمن بعده ، أو بعبارة أدق قرر الوهية الابن ، وأن جوهره  
هو جوهر الآب ، وقد جاء في قراره « ان الجامعة المقدسة ، والكنيسة  
الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه ، وأنه  
لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شيء ، أو من يقول أن الابن وجد

من مادة أو جوهر غير جوهر الآب ، وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول أنه قابل للتغيير (١) .

(١) اطلع زميلنا المرحوم الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى الأستاذ بكلية أصول الدين سابقا على هذا الاستنباط التاريخي فقال : انه يوافق ما استنبطه بعض المستشرقين ، ثم ترجمه ، وتفضل فأرسل إلينا نص الترجمة وهامى ذى ، فنشرها مع بحثنا شاكرين له رحمه الله فضل تعاونه:

**التثليث ليس من المسيحية بل من الفلسفة الإغريقية**

١ — كانت المشكلة الفلسفية التي واجهت أولا الإغريق هي : « ما مبدأ كل شيء ؟ » « وباجتهاد الفلسفة في الإجابة عن هذا السؤال اجابة محدودة ومقنعة شيئا فشيئا كان لنا تلك المذاهب الفلسفية التي تتابعت في تاريخ الفلسفة الإغريقية . هذه فلسفة بدأت طبيعية مع الفلاسفة الأيونيين ، ثم أخذت فكرة التوحيد في الظهور على أيدي سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، بحيث رأى هؤلاء أن المبدأ الذى صدر عنه العالم هو الله الواحد الذى لم يتغير ، على غموض فى تعيين هذه الصفات ونحوها مما يصح أن يتصف بها .

ولكن بمقدار تبين هذه المعارف والمعلومات عن الله كانت تكبر الصعوبة الأساسية التى اصطدمت بها المذاهب التى سبقت سقراط : كيف تصدر الأشياء عن مبدئها ؟ كيف يمكن أن يخرج الكثير — أى العام — من الواحد ، والتغير من الذى لا يتغير ؟ وأنه كلما قرب المبدأ الأول من الوحدة الحق بصيرورته روحيا ، ومن عدم التغير الحق بصيرورته كاملا ، تتسع الهوة التى يفصله عن العالم وكثرته وتصبح أكبر عمقا ، كما يصبح عسيرا فهم كيف يبرز الله العالم للوجود ويحركه .

٢ — اذا كان الله واحدا وحدة مطلقة كيف يمكن أن يخلق الكثرة المختلفة دون أن يقبل فى ذاته كثرة بأى وجه من الوجوه ؟ واذا كان كماله المطلق يقتضى عدم التغير ، كيف تفهم أنه فى وقت ما اوجد العالم دون ان يلحقه تغير ، مع أنه انتقل من حالة عدم العمل الى حالة العمل ؟ هنا تظهر عبقرية العقل الأرى ! الواحد البرىء من التغير لا يمكن أن يصدر عنه العالم المتكرر المتغير مباشرة ، يجب إذن أن تتوسط بينهما وسائط أجزئية متدرجة حسب نظام ميثافيزيقى .

٣ — كان أفلاطون أول من أدرك تلك المشكلة وأول من أدرك هذا الحل الذى وجب على العقل الإغريقى فيها بعد — بعد انضاجه طويلا — أن يجتمع نهائيا عليه ، اعنى عقيدة ثلاثة أقانيم أو عقيدة التثليث —

ص ٧٠ — ٧١ .

٤ — هذا المذهب أو هذه العقيدة التى تمثلها عقل أفلاطون ، وان أدركها ادراكا فيه نوع غموض ، ليس الا عقيدة التثليث المشهورة =

وهذا المجمع كان في سنة ٣٢٥ بعد الميلاد ، والمسيحيون قبله كانوا على اختلاف كبير جدا ، ويكفى للدلالة على هذا الاختلاف ان الذين حضروا المجمع نيف وأربعون بعد الالفين ، وهم على آراء مختلفة ، ولم يجمع أعضاء هذا المجمع على نطة واحدة ، أما عقيدتهم في الابن وقولهم أنه تولد عن المنشئ من غير زمن بينهما كما يقول الفلاسفة ، وأنه من جوهر ابيه ، كما يقولون لم تسد الا بعد ذلك المجمع ، وسيأتى لذلك فضل بيان ان شاء الله تعالى ، وعلى ذلك يكون تثليث المسيحية كحقيقة مقررة متأخرا عن أفلوطين لأن أفلوطين توفي سنة ٢٧٠ بعد الميلاد كما علمت ، والتثليث

= ومن السهل ادراك الغرض منها : الاحتفاظ لله بالكمال المطلق والبراءة من التنفير ، جعله يضع بينه وبين العالم وسيطين يعتبران دونه خارجين عنه ، وعلى نحو ما داخلين فيه ، أى تتضمنها ذاته — صادرين عنه ، دونه في الكمال ، ويجعلانه ممكنا ان يصدر عن الله العالم الكبير المنفرد ، اول هذين الوسيطين العقل ، وثانيهما الروح الالهية — ص ٧٣ — ٧٤ .

٥ — وهكذا كان التزاوج بين العقيدة اليهودية والفلسفة الاغريقية لم ينتج فلسفة فقط ، بل أنتج معها دينا أيضا ، أعنى المسيحية التي تشتربت كثيرا من الآراء والأفكار الفلسفية عن اليونان . ذلك أن اللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الذى كانت فيه الأفلاطونية الحديثة ( يريد فلسفة أفلاطون التي كانت المعين الأصلى للفلسفة الأفلاطونية الحديثة ) ولذا نجد بينهما ( أى اللاهوت المسيحي والأفلاطونية الحديثة ) مشابهاة كبيرة ، وان افرقا أحيانا في بعض التفاصيل ، فانهما يرتكزان على عقيدة التثليث ، والثلاثة الأقانيم واحدة فيهما — ص ٩٣ .

٦ — اول هذه الأقانيم هو مصدر كل كمال ، والذى يحوى في وحدته كل الكمالات ، وهو الذى دعاه المسيحيون الآب . والثانى أو الابن هو الكلمة . والثالث هو دائما الروح القدس — ص ٩٢ — ٩٤ .

وعلى أنه يجب ان يلاحظ ( وهذا بعض ما يفرق اللاهوت المسيحي عن الأفلاطونية الحديثة ) ان الأقانيم الثلاثة ليست في نظر هذا المذهب متساوية في الجوهر والرتبة . بينما هى متساوية عند المسيحية . فالابن الذى يتولد من الآب لا يمكن ان يكون أدنى منه كمالا . والا صار من طبيعة الكلل ان يصدر اضطرارا عنه غير الكلل . وهذا حط من رتبته . وكذلك الروح القدس مساو للآب والابن — ص ٤٩ .

كل هذه النقول من كتاب : « مقدمة ( او المدخل لدراسة ) الفلسفة الاسلامية » تأليف المستشرق المعروف ليون جوتيه طبع باريس عام ١٩٢٣ .

لم يتكامل الا في آخر القرن الرابع ، والمتقدم استاذ المتأخر كما يرجح العقول  
وكما يوجهه الظن الذي لا يعد من الاثم .

ولقد ترى ذلك الظن عند بعض علماء أوروبا ، حتى شك بعضهم  
في حياة المسيح وقتلوا انه شخص خرافي لم يوجد ، أراد بعض فلاسفة  
الانثلاثونية الحديثة أن يفرضوه ، ليجعلوا من آرائهم ديانة يعتنقها العامة ،  
وتسود الكافة ، وقد تم لهم ما أرادوا ، ولكننا نحن المسلمين لا نقر ذلك  
كله ، لما فيه من انكار وجود المسيح الذي نؤمن به ، ونزل بخبره الوحي  
الأمين وان كنا نصدق ليه .

## مصادر المسيحية بعد عيسى

٢٤ — الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والأنجيل ،  
ورسائل الرسل ، وتسمى التوراة ( أسفارها الموسوية وغيرها ) كتب  
العهد القديم ، وتسمى الأنجيل ، ورسائل الرسل كتب العهد الجديد ،  
فمن العهد القديم يعرفون أخبار العالم في عصوره الأولى ، وأجياله  
القديمة ، وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية ، وتاريخ نشأتهم ،  
وحكوماتهم وحوادثهم ، والنبوءات السابقة منذ هبوط الانسان على هذه  
الأرض ، والبشارات بالنبيين اللاحقين ، وبالمسيح ، وفيها يجدون أدعية  
متوارثة تعين على اداء العبادات ، والقيام بالطقوس الدينية كزمير  
داود ، ولترك الكلام في التوراة وأسفارها فلذلك موضعه من الدراسة  
للديانة اليهودية ، بيد أنه يجب أن يلاحظ أن بعض الأسفار المعتمدة عند  
اليهود مرفوضة عند المسيحيين ، لعدم اعتقادهم بصحة الوحي فيها .

### الأنجيل :

٢٥ — أما كتب العهد الجديد فهي التي تعيننا في هذا البحث ،  
ويهمنا أن نجلى أمرها ، ونعرف حقيقتها ، وأولها الأنجيل .  
والأنجيل المعتمدة عندهم أربعة : أنجيل متى ، وأنجيل مرقس ،  
وأنجيل لوقا ، وأنجيل يوحنا .

ومكان الأنجيل في النصرانية مكان القطب والعماد ، وإذا كانت  
شخصية المسيح وما حاطوها به من أفكار هي شعار المسيحية ، فان هذه  
الأنجيل هي المشتلة على أخبار تلك الشخصية ، من وقت الحمل الى  
وقت صلبه في اعتقادهم وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال ، ثم رفعه بعد  
أربعين ليلة ، وهي بهذا تشتمل على عقيدة الوهية المسيح في زعمهم ،  
والصلب والفداء ، أى أنها تشتمل على لب المسيحية في نظرهم بعد المسيح  
ومعناها .

وهذه الأنجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس ، وتقرها الفرق  
المسيحية وتأخذ بها ، ولكن التاريخ يروى لنا أنه كانت في العصور الغابرة  
لأنجيل أخرى ، قد أخذت بها فرق قديمة ، وراجت عندها ، ولم تعتنق  
كل فرقة إلا أنجيلها ، فعند كل من أصحاب مرقيون ، وأصحاب ديسان



أنجيل يخالف بعضه هذه الأنجيل ، ولأصحاب ماني أنجيل يخالف هذه الأربعة ، وهو الصحيح في زعمهم ، وهناك أنجيل يقال له أنجيل السبعين ينسب الى تلامس ، والنصارى ينكرونه ، وهناك أنجيل اشتهر باسم التذكرة ، وأنجيل سرن تهس ، ولقد كثرت الأنجيل كثيرة عظيمة ، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي ، أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأنجيل الصادقة - في اعتقادها - فاخترت هذه الأنجيل الأربعة من الأنجيل الراجحة إبان ذلك .

ولقد يذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير الى وجود أنجيل منى ومرقس ولوقا ويوحنا قبل آخر القرن الثالث . وأول من ذكر هذه الأنجيل الأربعة ارينيوس في سنة ٢٠٩ . ثم جاء من بعده كليمينس اسكندريانوس في سنة ٢١٦ ، وأظهر أن هذه الأنجيل الأربعة واجبة التسليم ، ولم تكف الكنيسة باختيار هذه الأنجيل الأربعة ، بل أرادت الناس على قبولها لاعتقادها صحتها ، ورفض غيرها ، وتم لها ما أرادت فصارت هذه الأنجيل هي المعتبرة دون سواها .

ولقد كنا نود ونحن ندرس المسيحية وأدوارها في التاريخ أن نعرف هذه الأنجيل التي أهملت ، وما كانت تشتمل عليه . مما كان سببا في رفضها ، وحمل الناس على تركها ، وخصوصا أنها كانت رائججة . ويأخذ بها طوائف من المسيحيين ويتدينون هذه الديانة على مقتضاها ، فإن الاطلاع عليها يمكننا من معرفة اعتقاد الناس في المسيح ، وكيف كان خصوصا بين أولئك الذين تاربوا عصره ، وأدركوا زمانه ، ولقوا تلاميذه ، ونزلوا من منازلهم ، وأدخن التاريخ بحفظ نسخ منها ، فقد كنا نود أن نطلعنا الكنيسة على ما اشتملت عليه مما يخالفها ، وما كان من سبب رفضها ، وترينا حجة الرفض ، لتكون دليلا منيرا لها على أنها بهذا أقامت ديانة المسيح ولم تغيرها ، ولكن ضمن التاريخ علينا ، فطوى تلك الأنجيل ، وضنت الكنيسة فطوت تلك البيانات ، فلم يبق لنا الا أن نكتفى من الدراسة بما بين أيدينا ، لعل فيه غناء أن أنعمنا النظر وأمعنا في الاستنباط ، وجعلنا لفضية العقل سلطانا ، ومن بدهياته برهانا .

### الانجيل لم يملها المسيح ولم تنزل عليه :

٢٦ — وهذه الانجيل الاربعة لم يملها المسيح ، ولم تنزل عليه هو يوحى اوحى اليه، ولكنها كتبت من بعده — كما رايت — وتشتمل على اخبار يحيى ( يوحنا المعمدان ) والمسيح ، وما كان منه ، وما أحاط بولادته من عجائب وغرائب ، وما كان يحدث منه من امور خارقة للعادة، ولا تحدث من سواه من البشر ، وما كان يحدث له من احداث ، وما كان يجرى بينه وبين اليهود ، وما كان يلقيه من اقوال وخطب واحاديث وأمثال ومواعظ ، وفيها قليل من الشرائع التى تتعلق بالزواج والطلاق ، ثم اخبار المؤامرة عليه ، واتهامه والقبض عليه ، ومحاكمته ، سواء اكانت تلك المحاكمة امام اليهود ، ام امام الرومان ، ثم فيها الحكم عليه بالموت صلبا، وصلبه بالفعل فيما يعتقدون ، وفيها ايضا قيامته من قبره ، ومكوته أربعين يوما ، ثم رفعه الى السماء . وفي الجملة هى تشتمل على اخبار المسيح وصلواته . واقواله وعجائبه ، من بدايته الى نهايته فى هذا العالم . وهذا — كما قلنا — لب المسيحية ومعناها ، لأن فيها النواة الاولى لالوهية المسيح ، وعقيدة النصارى فيه ، ولنتكلم على كل انجيل من هذه الانجيل بكلمة تبين تاريخ تدوينه ، وتعرف بمؤلفه ، ومكانته من المسيح .

### انجيل متى :

٢٧ — وقد كتبه متى، وهو احد تلاميذ المسيح الاثنى عشر، ويسميهم المسيحيون رسلا ، وقد كان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب، وكانوا يسمون فى ذلك العهد عشارين ، ولقد كان جابيا للرومان فى كفر ناحصوم من أعمال الجليل بفلسطين ، وكان اليهود ينظرون للجباية نظر ازدراء ، لانها تحمل صاحبها على الظلم ، أو على الأقل تحمله على العنف ، والعمل فيها معين للدولة الرومانية المفتتحة التى تحكم البلاد بغير رضا اهلهما ، ولكن السيد المسيح اختاره تلميذا من تلاميذه كما جاء فى انجيله . ففى الاصحاح التاسع منه : « وفيما يسوع يجتاز من هناك رأى انسانا جالسا عند مكان الجباية ، واسمه متى ، فقال له : اتبعنى ، فقام وتبعه ، وبينما هو متكئ فى البيت اذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا ، واتكئوا مع يسوع وتلاميذه .

لما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه : لماذا ياكل معلمكم مع العشارين  
والخطاة ؟ فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الاصحاء الى طبيب ،  
بل المرضى ، فاذهبوا وتعلموا ما هو ، انى اريد رحمة لا ذبيحة ، لاني لم  
آت لادعو ابرارا ، بل خطاة الى التوبة » .

ولما صعد المسيح الى ربه جال متى للتبشير بالمسيحية في بلاد كثيرة .  
ومات في سنة ٧٠ ببلاد الحبشة على اثر ضرب مبرح انزله به احد  
اعوان ملك الحبشة . وفي رواية أخرى انه طعن برمح في سنة ٦٢ بالحبشة .  
بعد ان قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة داعيا للمسيحية مبشرا بها ،  
فموطن دعايته كما يروى مؤرخو المسيحية هو الحبشة .

### انجيل متى كتب بالعبرية ولم يعرف الا باليونانية وجعل المترجم :

٢٨ — وقد اتفق جمهورهم على انه كتب انجيله بالعبرية او السريانية،  
كما اتفقوا على ان اقدم نسخة عرفت شائعة رائجة كانت باليونانية، ولكن  
موضع الخلاف في تاريخ تدوينه، ومن الذى ترجمه الى اليونانية، فمن المتفق  
عليه عند اكثرهم ان متى كتب انجيله بالعبرانية . وذلك لانه كتبه لليهود  
يمشرون بالمسيحية بينهم ، وليقرأه مؤمنوهم بها ، قال جيروم : « ان متى كتب  
الانجيل باللسان العبرى في ارض يهودية للمؤمنين من اليهود » وقال غيره :  
« ان متى كتب الانجيل باللسان العبرى . وهو الذى انفرد باستعمال هذا  
في تحرير العهد الجديد » .

واذا انتقلنا الى تاريخ تدوين هذا الانجيل وترجمته نرى ميدان الخلاف  
نسيحا ، فنجد ابن البطريق يذكر انه دون في عهد قلوديوس قيصر الرومان  
من غير ان يعين السنة التى كتب فيها .

ويذكر ان الذى ترجمه يوحنا ، فيقول في ذلك : « في عصر قلوديوس  
كتب متاوس ( متى ) انجيله بالعبرانية في بيت المقدس . وفسره من العبرانية  
الى اليونانية يوحنا صاحب الانجيل » .

وهنا نجد لم يعين السنة التى كتب فيها الانجيل ، بل عين الملك  
الذى كتب في عهده ، وهذا الملك لم يكن هو الذى عاصر المسيح ، ولا الذى  
عليه . بل الذى عاصر المسيح وصلب — على زعمهم — في عهده طيباريوس .

وولى من بعده غابوريوس ، وملك أربع سنين وثلاثة أشهر ، ثم جاء من بعده قلوديوس وملك أربع عشرة سنة ، فيحتل تدوين هذا الانجيل أن يكون في آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح ، ويحتل أن يكون في أول أو آخر العشرة الخامسة أو أوائل السادسة . فكلام ابن البطريق يحتل كل هذا ، وقال جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه عن الفرنسية : « ان متى كتب بشارته في اورشليم في سنة ٣٩ للمسيح على ما ذهب اليه القديس ايرنيموس ، والسبب في ذلك على ماذهب اليه القديس ابيفانيوس أنه كتبه اما اجابة لليهود الذين آمنوا بالمسيح ، أو اجابة لأمر الرسل ، ولم يكتب انجيله باليونانية بل بالعبرانية على زعم اوسيبوس في تاريخه ، وقد وافق اسيبيوس القديس ايرنيموس ، اذ أن بانتيوس قد ذهب ليكرز بالايمان المسيحي في الهند ، فوجد انجيلا لمتى الرسول مكتوبا بالعبرانية ، ف جاء به الى الاسكندرية ، وبقي محفوظا في مكتبة قيصرية الى أيامه ، لكن هذه النسخة العبرانية قد فقدت ، وبعد فقدتها ظهرت ترجمتها في اليونانية» ا هـ . وفي هذا يعين الكاتب تاريخ السنة الذي دون فيها الانجيل ، ولكن لا يعين المترجم . بل يذكر أنه غير معروف ، بينما نرى ابن البطريق يعين أنه يوحنا صاحب الانجيل المسمى باسمه .

ويقول بالنسبة لتاريخ التدوين صاحب كتاب ( مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين ) : « أن متى بموجب اعتقاد جمهور المسيحيين كتب انجيله قبل مرقس ولوقا ويوحنا ، ومرقس ولوقا كتبا انجيلهما قبل خراب اورشليم . ولكن لا يمكن الجزم في اية سنة كتب كل منهم بعد صعود المخلص ، لانه ليس عندنا نص الهى على ذلك » .

وقال صاحب ذخيرة الالباب : « ان القديس متى كتب انجيله في السنة ٤١ للمسيح باللفة المتعارفة يومئذ في فلسطين ، وهى العبرانية او السىروكلدانية .. ثم ما عتم هذا الانجيل أن ترجم الى اليونانية . ثم تغلب استعمال الترجمة على الاصل الذى لعبت به ايدى النساخ الايونيين ومسخته بحيث اضحى ذلك الاصل خاملا ، بل فقيدا ، وذلك منذ القرن الحادى عشر » .

وقال الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس ، مخالفا جمهور المتقدمين في أنه كتب بالعبرانية او السريانية : « ان هناك من يقول أنه كتب

باليونانية ، ثم يرجح انه الف باليونانية مخالفا بذلك اجماع مؤرخيهم .  
ثم يقول بالنسبة لتاريخ تدوينه : « ولا بد ان يكون هذا الانجيل قد كتب  
قبل خراب اورشليم » ويظن البعض « ان الانجيل الحالي كتب ما بين سنة ٦٠  
وسنة ٦٥ » . والحق ان باب الاختلاف في شأن التاريخ لا يمكن سده ،  
ولا يمكن ترجيح رواية ، ولا جعل تاريخ اولى من تاريخ بالاتباع ، وذلك يقول  
هورن : « ألف الانجيل الأول سنة ٣٧ أو سنة ٣٨ أو سنة ٤١ أو سنة ٤٣ ،  
أو سنة ٤٨ أو سنة ٦١ أو سنة ٦٢ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ من الميلاد » .  
ونقول نحن : « يجوز غير ذلك ، والجمهور على انه كتب بغير اليونانية ،  
ولكن لم يعرف غيرها ، ولم يصرف جمهرة المؤرخين من يكون المترجم ،  
وفي أى عصر ترجم ، وقد علمت ان ابن البطريق يذكر ان يوحنا هو الذى  
ترجمه الى اليونانية ، ولكن لا نجد أحدا من المؤرخين أيده ، بل ان الكثيرين  
منهم يقولون : « انه لم يعرف المترجم » .

### أثر جهل تاريخ التدوين والمترجم :

٢٩ - لاشك ان جهل تاريخ التدوين ، وجهل النسخة الأصلية  
التي كانت بالعبرية ، وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره ، وعلم بالدين  
واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم اليها ، كل هذا يؤدي الى فقد حلقات  
في البحث العلمى ، ولئن تسامح الباحث في تاريخ التدوين ، وتاريخ الترجمة  
وملابساتها ، ليمنعنه العلم من الاسترسال في التسامح ، حتى لا يرى  
ان المسئلة تكون كاملة اذا لم يعرف الأصل الذى ترجم ، فلقد وجدنا  
ان نعرف ذلك الأصل ، لنعرف آكانت الترجمة طبق الأصل ، أم فيها  
انحراف ، ولنعرف أفهم المترجم مرامى العبارات ومعانيها ، سواء آكانت  
هذه المعانى تفهم بظاهر القول أو بإشارات ، أم بلحن القول وتلويحاته ،  
أم بروح المؤلف وغرضه ، ومرماه الكلى من الكلام . ولكن عز علينا العلم  
بالاصل ، ولقد كنا نتعزى عن ذلك لو عرفنا المترجم ، وانه ثبت ثقة أمين  
في النقل ، عالم لايتزيد على العلماء ، فقيه في المسيحية حجة فيها ، عارف  
للغتين فاهم لهما ، مجيد في التعبير بهما ، فعندئذ كما نقول : ثقة روى عن  
ثقة بترجمته ، ونسند الخلة بتلك الرواية ، ونراب الظمة بتلك النظرة ، ولكن  
قد امتنع هذا أيضا ، فتال جمهرة علمائهم : ان المترجم لم يعرف ، فبقيت  
الظمة من غير ما يراها .

## انجيل مرقس :

٣٠ — يقول المؤرخون ان اسمه يوحنا ويلقب بمرقس ، ولم يكن من الحواريين الاثنى عشر الذين تلمذوا للمسيح ، واختصهم بالزلفى اليه ، واصله من اليهود ، وكانت أسرته بأورشليم في وقت ظهور السيد المسيح ، وهو من أوائل الذين اجابوا دعوته ، فاختره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس في اعتقادهم من بعد رفعه ، وآلهموا بالتبشير بالمسيحية ، كما لهموا مبادئها . ويقول صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية : «وقد أجمعت تقاليد الطوائف المسيحية على ان الرب يسوع كان يتردد على بيته ، وأنه في هذا البيت أكل الفصح مع تلاميذه ، وفي إحدى غرفه حل الروح القدس على التلاميذ » . وجاء في سفر الأعمال : « ان الرسل بعد صعود السيد المسيح كانوا يجتمعون في بيته » ولتعد لازم مرقس خاله برنابا ( وهو من الرسل ) وبولس الرسول في رحلتها الى انطاكية وتبشيرها بالمسيحية فيها ، ثم تركها بعد ذلك ، وعاد الى اورشليم ، ثم التقى مرة أخرى بخاله ، واصطحبه الى قبرص ، ثم افترقا ، فذهب الى شمال افريقية ودخل مصر في منتصف القرن الاول ، فاقام بها وأخذ يدعو الى المسيحية التي كانت أخبارها قد سبقته اليها ، وقد وجد في مصر أرضا خصبة لقبول دعوته ، فدخل فيها عند كبر من المصريين ، وكان يسافر من مصر أحيانا الى رومة وأحيانا الى شمال افريقية ، ولكن مصر كانت المستقر الأمين له ، فاستمر بها الى أن انتهر به الوثنيون ، فقتلوه بعد أن سجنوه وعذبوه ، وكان ذلك سنة ٦٢ من الميلاد ، وقد جاء في كتاب مروج الاخبار في تزامن الأبرار أن مرقس كان ينكر الوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحواري ، وقد جاء في ذلك الكتاب عن مرقس : « صنف انجيله بطلب من أهالي رومية ، وكان ينكر الوهية المسيح » .

اللغة التي كتب بها انجيل مرقس وتاريخ تدوينه والاختلاف فيه  
وفي الكاتب :

٣١ — وقد كتب هذا الانجيل باللغة اليونانية ، ولم نر أحدا من كتّاب المسيحيين ناقض ذلك ، وقد ذكر الدكتور بوست في كتابه ( قاموس الكتاب المقدس ) انه كتب الانجيل باليونانية ، وشرح فيه بعض الكلمات اللاتينية . واخذ من ذلك انه كتب في رومة . ويجيء مثله في تاريخ ابن البطريق ،

فيه : « وفي عصر تارون قيصر كتب بطرس رئيس الحواريين انجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية ، ونسبه الى مرقس » .

ونوجه نظر القارئ الى ما قاله ابن البطريق من ان الذي كتب الانجيل هو بطرس عن مرقس ، ونسبه اليه ، فكان بطرس راوى مرقس . مع ان الاول رئيس الحواريين — كما يقول ابن البطريق — والثانى من تلاميذه ، كما جاء في كتاب مروج الأخبار في تراجم الابرار . واذا كان ذلك الانجيل خلاصة علمه بالمسيحية ، فاذا رواه عنه أستاذه ، فقد روى هذا عن مرقس ما اتقاه عليه وعلمه ، وان ذلك لغريب ، ولقد ذكر هذا الامر صاحب مرشد الطالبين : « قد زعم ان انجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١ لتنعف الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته » . وقد ذكر الأمر بلفظ الزعم ، كأنه لا يصدقه ، وانه لا يراه مقبولا ، كما نراه غريبا ، ولكن هكذا يذكر الرواة . ويجوز هؤلاء الذين يقولون او يزعمون ان انجيل مرقس كتب بتدبير من بطرس ، وبولس ، فقد قرر الكاتب القديم ارينيوس : « ان مرقس كتب انجيله بعد موت بطرس وبولس » .

وفي الحق ان ذلك الاختلاف ، وان كان زمنيا في ظاهره ، هو في معناه ولبه ، اختلاف في شخص المحرر لهذا الانجيل . فابن البطريق ، وهو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين يقرر ان الذي كتبه هو بطرس عن مرقس ، ونسبه اليه ، وارينوس يقرر ان الذي كتبه هو مرقس من غير تدبير بطرس ، لانه كتبه بعد موته . فمن الكاتب اذن ؟ ليس بين ايدينا ما يرجع به احدى الروايتين على الأخرى ! . ولنتجاوز هذا الى تاريخ كتابة ذلك الانجيل ، فنجدهم أيضا قد اختلفوا في زمان تأليفه . وقد قال في ذلك هورن : « ألف الانجيل الثانى سنة ٥٦ وما بعدها الى سنة ٦٥ والأغلب انه ألف سنة ٦٠ او سنة ٦٣ » ، ويقول صاحب كتاب مرشد الطالبين : انه كتب سنة ٦١ .

### انجيل لوقا :

٣٢ — يقولون : ان لوقا ولد في انطاكية ، ودرس الطب ، ونجح في ممارسته ولم يكن من اصل يهودى ، ولقد رافق بولس في أسفاره وأعماله ،

وجاء في رسائل بولس ما يشير الى هذه الرقعة ، وتلك الملازمة .  
ففى الاصحاح الرابع من رسالته الى كولوسى يقول : « ويسلم عليكم لوقا  
الطبيب الحبيب » ، وفى الاصحاح الرابع من رسالته الثانية الى اهل  
تيموتاوس يقول : « لوقا وحده معى » ، وفى رسالته الى اهل فلبيون يقول :  
« مرقس وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معى » . من هذا كله يفهم  
ان لوقا هذا هو الانطاكى ، الطبيب ، ومثل هذا جاء فى تاريخ ابن البطريق ،  
ويستنبط القس ابراهيم سعيد من كون لوقا طبيبا معانى كثيرة تسمو  
باتجيله ، فيقول : « وكان لوقا طبيبا ، وهذه المهنة لها قيمتها الخاصة  
لأنها تلقى على حياة لوقا نورا ساطعا ، فترينا اياه الرجل العلمى العظمى  
المدقق المحقق ، الرقيق الأسلوب ، الجليل الديباجة ، لان الرومان  
لم يسمحوا فى وقتهم لأحد أن يتعاطى مهنة الطب ، الا لمن جاز امتحانات  
عدة على جانب عظيم من الصعوبة والدقة والخطورة » ، ثم يبين :  
« أن كونه طبيبا قد سرد ولادة المسيح من غير أب سردا طبيعيا هادئا  
من غير محاولة التذليل على جوازه ، يؤخذ منه أن ذلك ليس ضد العلم ،  
وان كان فوق تناول العالم ، وليس ضد الطبيعة ، وأنه فوق مجرى  
الطبيعة » . ويرجح — كما قال كثيرون — أنه ولد بانطاكية ، ولكن  
الدكتور بوست يقرر أنه لم يكن انطاكيا ، ويبين أن الذين يقولون انه انطاكى  
وهوا ذلك أو ظنوه من اشتباهه بلوكيوس ، فيقول : ظن بعضهم أنه  
( لوقا ) مولود فى انطاكية الا أن ذلك ناتج من اشتباهه بلوكيوس . وزعم  
بوست أنه كان رومانيا نشأ بايطاليا . ومهنة الطب التى نسب اليها ليست  
أيضا موضع اتفاق ، لأن بين المؤرخين المسيحيين من يقررون أنه كان مصورا .

ومن هذا يتبين أن الباحثين ليسوا على علم يقينى بمولد وصناعة  
كاتب هذا الانجيل ، فمن قائل انه انطاكى ولد بانطاكية ، ومن قائل انه  
رومانى ولد بايطاليا ، ومن قائل انه كان طبيبا ، ومن قائل انه كان مصورا ،  
وكلهم يتفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ،  
ولا من تلاميذ حورابيه . ولبولس هذا شأن خطير فى المسيحية كما سنبين .

**من كتب لهم انجيل لوقا ، ولفته ، واختلفهم حوله :**

ويختلفون أيضا فى القوم الذين كتب لهم اولا هذا الانجيل . فالقس  
ابراهيم سعيد يقول : « أنه كتب لليونان ، وانجيل متى كتب لليهود . وانجيل



مرقس يقول كتب للرومن ، وانجيل يوحنا كتب للكنيسة العامة .  
وانا نجد انجيل لوقا يبتدىء بهذه الجملة : « اذا كان كثيرون قد أخذوا  
بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا . كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء  
معانين ، رأيت أيضا ، اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب  
على التوالى اليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي  
علمت به » . وثاوفيلس هذا يقول عنه ابن البطريق أنه من عظماء الروم ،  
فيقول في ذلك : « وكتب لوقا انجيله الى رجل شريف من علماء الروم يقال  
له توافيلا . وكتب اليه أيضا الأبركسيس الذي هو اخبار التلاميذ »  
وهي الرسالة المسماة أعمال الرسل ، وهناك من يقول ان ثاوفيلس هذا  
كان مصريا ، لا يونانيا ، فهو قد كتب للمصريين لا لليونانيين .

ويقول الدكتور بوست في تاريخه : « قد كتب هذا الانجيل قبل خراب  
اورشليم وقبل الأعمال ، ويرجح انه كتب في قيصرية في فلسطين مدة أسر  
بولس سنة ٥٨ — ٦٠ من الميلاد غير أن البعض يظنون انه كتب قبل ذلك » .  
ومن هذا يفهم أن بوست يرجح أنه ألفه وبولس حى في الأسر ، ولكن يحقق  
العلامة لارون أنه حرر انجيله بعد أن حرر مرقس انجيله ، وذلك بعد  
موت بطرس ، وبولس . والواقع أن باب الخلف في تاريخ تدوين هذا  
الانجيل أوسع من ذلك ، فقد قال هورن : ألف الانجيل الثالث سنة ٥٣  
او سنة ٦٣ او سنة ٦٤ .

ولا نترك هذا الانجيل من غير أن نقول أن الباحثين قد اختلفوا  
في شخصية كاتبه وفي صناعته ، وفي القوم الذين كتب لهم ، وفي تاريخ  
تأليفه ، ولم يتفقوا الا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا تلميذ تلاميذه .  
والا على أنه كتب باليونانية .

### انجيل يوحنا :

٣٣ — لهذا الانجيل خطر وشان أكثر من غيره في نظر الباحث ،  
لأنه الانجيل الذي تضمنت فقراته ذكرنا صريحا لالهية المسيح ، فهذه  
الالهية يعتبر هو نص اثباتها وركن الاستدلال فيها . ولذلك كان لابد  
من العناية به ، اذ كان التثليث هو شعار المسيحية ، وهو موضع مخالفتها  
لديانات التوحيد ، واساس التباين بين هذه الديانة وتلك الديانات .  
( م ٤ — محاضرات في النصرانية )

ويقول جمهور النصارى : ان كاتب هذا الانجيل هو يوحنا الحواري ابن زبدي الصياد الذى كان يحبه السيد المسيح ، حتى انه استودعه والدته وهو فوق الصليب ، كما يعتقدون ، وقد نفى في ايام الاضطهاد الاولى ، ثم عاد الى افسس ، ولبث يبشر فيها ، حتى توفي شيخا هرما .

هذه خلاصة ما جاء بكتاب مرشد الطالبين ، ولكن بجوار هؤلاء من محققى المسيحيين من انكر ان يكون كاتب هذا الانجيل هو يوحنا الحواري ، بل كتبه يوحنا آخر لا يمت الى الاول بصلة روحية ، وان ذلك الانكار لم يكن من ثمرات هذه الاجيال ، بل ابتدا في القرن الثانى الميلادى ، فان العلماء بالمسيحية في القرن الثانى الميلادى انكروا نسبة هذا الانجيل الى يوحنا الحواري ، وكان بين ظهرانيهم ارينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحواري ، ولم يرد عليهم بأنه سمع من استاذه صحة تلك النسبة ، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتما تلميذه بوليكارب ، ولاعلم هذا تلميذه ارينيوس ، ولاعلن هذا تلك النسبة عندما شاع انكارها . ولقد قال استادلين في العصور المتأخرة : « ان كافة انجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية ، ولقد كانت فرقة الوجين في القرن الثانى تنكر هذا الانجيل وجميع ما اسند الى يوحنا ، ولقد جاء في دائرة المعارف البريطانية التى اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه : « اما انجيل يوحنا فانه لا مربة ولا شك كتاب مزور اراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض . وهما القديسان يوحنا و متى ، وقد ادعى هذا الكاتب الممرور في متن الكتاب انه هو الحواري الذى يحبه المسيح ، فاخذت الكنيسة هذه الجملة على علانها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ، ووضعت اسمه على الكتاب نصا ، مع ان صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت اليه ، وانا لثراف ونشفق على الذين يبدلون منتهى جهدهم ليربطوا ، ولو بأوهى رابطة ، ذلك الرجل الفيلسفى الذى الف هذا الكتاب في الجيل الثانى — بالحواري يوحنا الصياد الجليل ، فان اعمالهم تضيع عليهم سدى لخطبهم على غير هدى » .

هذا قول بعض الباحثين من كتابهم : « ومن البدهى ان يعد المتعصبون ذلك القول خروجا على وجه المسيحية ، ولذلك قال أحد هؤلاء المتعصبين ،

وهو الدكتور بوست رادا على هؤلاء : وقد انكر بعض الكفار قانونية هذا الانجيل ، لكرهتهم تعليمه الروحي ، ولا سيما تصريحه الواضح بلاهوت المسيح ، غير أن الشهادة بصحته كافية ، فإن بطرس يشير الى آية منه ( ٢ بط ١ : ١٤ ) قال يو ٢١ ، ١٨ ، واغناطيوس وبوليكرس يقتطفان من روحه وفحواه . وكذلك الرسالة الى ديو كنيثس وباسيلوس وجوستينس الشهيد وتانياس ، وهذه الشواهد يرجع بنا زمانها الى منتصف القرن الثاني ، وبناء على هذه الشهادات ، وعلى نفس كتابه الذي يوافق ما نعلمه من سيرة يوحنا نحكم بأنه من قلمه ، والا فكاتبه من المكر والغش على جانب عظيم ، وهذا الأمر يعسر تصديقه ، لأن الذي يقصد أن يغش العالم لا يكون روحيا ، ولا يتصل الى علم وعمق الأفكار والصلوات الموجود فيه ، وإذا قابلناه بمؤلفات الآباء رأينا بينه وبينها بونا عظيما ، حتى نضطر للحكم بأنه لم يكن منهم من كان قادرا على تأليف كذا ، بل لم يكن بين التلاميذ من يقدر عليه الا يوحنا ، ويوحنا ذاته لا يستطيع تأليفه بدون الهام من ربه .

وإذا نظرنا الى هذا القول نظرة فاحصة كاشفة نقسمه قسمين ، نقسم يعلن به الكاتب شدة إيمانه وتعصبه لما يشتمل عليه هذا الكتاب وتقديسه . وهو القسم الذي ذكره في عجز قوله ، وهو انه لا يستطيع أحد من الآباء ، بل لا يستطيعه أحد من الحواريين ، بل لا يستطيعه الكاتب نفسه الا بالهام من ربه ، ويلحق بهذا الجزء ما سبقه مما يماثله ، فإن من الخطأ أن يعد ذلك برهنة واحتجاجا ، فإنه ليس فيه أية محاولة لها ، أما القسم الثاني فهو ما يصحح أن يعتبر محاولة للاستدلال وهو ما ذكر في صدر قوله ، فإنه يقرر الاتفاق بين نص جاء فيه : ونص جاء في رسالة بطرس الثانية ، فهو يقول : أن الفقرة الرابعة عشرة من الاصحاح الأول ونصها مع الفقرة التي قبلها : « ١٣ - ولكي أحسبه حقا ما دمت في هذا المسكن أن انهضكم بالتذكرة - ١٤ - عالما أن خلع مسكني قريب ، كما أعلن ربنا يسوع المسيح ايضا » موافقة للفقرة الثامنة عشرة من الاصحاح الحادي والعشرين من انجيل يوحنا ونصها : « الحق الحق أقول لك لما كنت أكثر حداثة كنت تنطق ذلك ، وتمشى حيث تشاء ، ولكن متى شئت فأتك تمد يدك ، وآخر يمد يده ، ويحملك حيث لا تشاء » .

ونحن لا نجد موافقة بين الفقرتين لا في اللفظ ولا في المعنى ، واستولى علينا العجب من ادعاء الموافقة ، ولا جامع بينهما ، فظننا أن هناك خطأ فيها كتبه الدكتور بوست ، وقلنا لعله يريد الرسالة الأولى لا الرسالة الثانية ، فرجعنا الى الفقرة الرابعة عشرة من الاصحاح الاول من الرسالة الأولى ، فوجدنا نصها هي وما قبلها هكذا : « لذلك منقطوا احقاء ذهنكم صاحين فثلقوا رجاعكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها اليكم عند استعلان يسوع المسيح كأولاد الطاعة، ولا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم» . وهنا نجد بعضا من الموافقة في اللفظ ، والموافقة في المعنى ، فرجحنا أنه اراد هذه الرسالة ، وسبق قلبه فدون الثانية بدل الأولى ، وعلى ذلك نناقش القول على أساسها ، واساس المناقشة ما نعرفه من ان المتأخر ان وافق قوله من سبقه يكون قوله شهادة للسابق ، ولا يكون قول السابق شهادة له ، وايهما اسبق تدوينا رسالة بطرس أم انجيل يوحنا ، وقد اتفق مؤرخو النصرانية على ان بطرس قتله نيرون ، ويقول في ذلك ابن البطريق : « وأخذ نارون قيصر لبطرس فصلبه منكسا وقتله ، لأن بطرس قال له : ان اردت أن تصلبني فاصلبني منكسا لئلا اتشبه بسيدى المسيح ، فانه صلب قائما » .. وعاش بطرس بعد السيد المسيح اثنتين وثلاثين سنة ، فكان بطرس قتل بعد ميلاد المسيح بنحو ٦٥ ، لأن المسيح صلب في اعتقادهم ، وله ثلاث وثلاثون سنة ، يضاف اليها اثنتان وثلاثون سنة عاشها بعده بطرس . ومن المؤكد ان انجيل يوحنا كتب بعد ذلك ، فقد كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨ على ما اعتمد الدكتور بوست ، فاذا وجدنا اتفاقا بين ما كتب في هذا الانجيل ، وما جاء في رسالة بطرس يجب أن يكون كاتب هذا الانجيل شاهدا لبطرس ، لا ان بطرس شاهد له، وشهادة انجيل يوحنا لا قيمة لها، لانها شهادة انجيل في نظر من أنكروه مجهول غير معروف يحتاج الى دليل ، فلا حجة في هذا الأمر ، وعلى ذلك يكون الأمر في غيره من الشهادات ، وسنبين عند مناقشة كتبهم كثيرا من أوجه النقد فيها .

### تاريخ تدوين هذا الانجيل وسبب تدوينه :

٣٤ - ولقد اختلف المسيحيون في تاريخ تدوين هذا الانجيل اختلافا بينا . فالدكتور بوست يرجح أنه كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨ وقيل سنة ٩٦ ، ويقول هورن في تاريخ تدوين ذلك الانجيل : الف الانجيل الرابع سنة ٦٨

أو سنة ٦٩ أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ من الميلاد « إذن فليس هناك تاريخ محرز لتدوين هذا الانجيل ، كما أنه ليس هناك بيان قد خلص من الشك بحقيقة كتابته ، وقد علمت ما في ذلك .

ولقد قالوا انه كتب لغرض خاص ، وهو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس لها ، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة ، فطلب الى يوحنا أن يكتب انجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية ، فكتب هذا الانجيل ، وقد قاله جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه : « ان شيرينطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس الا انسانا . وانه لم يكن قبل أمه مريم فلذلك في سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح ، وينادى بانجيل مما لم يكتبه الانجيليون الآخرون ، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح » قال يوسف الدبس الخورى في مقدمة تفسيره : ( من تحفة الجبل ) أن يوحنا صنف انجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها ، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح ، فطلبوا منه اثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس ، ولوقا في اناجيلهم ، وقال صاحب مرشد الطالبين : انه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التي فيها كتب يوحنا انجيله ، فان بعضهم يزعم أنه كتبه في سنة ٦٥ قبل خراب اورشليم ، وآخرون ممن يوجد فيهم بعض الاقدمين يرون بكتابته في سنة ٩٨ ، وذلك بعد رجوعه من المنفى ، فالقصد بكتابته ابقاء بعض مساهرات المسيح الضرورية ذات التروى مما لم يذكره باقى الانجيليين . واقناء لبعض هرطقات مفسدة ، أشهرها معلمون كذبة في شأن ناسوت المسيح وموته ، وخاصة ترسيخ النصرى الأوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديتهم ومخلصهم ، وقد قيل أن يوحنا لم يؤلف انجيله الا بعد صلاة عامة قلبية مع التبعية لأجل أن يوحيه الروح القدس بذلك .

ما يستنبط من سبب كتابته :

٣٥ - من هذه النقول يستفاد أن كتاب النصرى يجمعون أويكادون على أن الانجيل المنسوب الى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها ، لعدم وجود نص في الانجيل الثلاثة يعينها . وهنا لايسع القارىء لتلك النقول الا أن يستنبط أمرين : ( أحدهما ) صريح وهو أن الاناجيل

الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على الوهية المسيح ، أو هي كانت كذلك قبل تدوين الانجيل الرابع على الأقل ، وهذه حقيقة يجب تسجيلها ، وهي أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على الوهية المسيح ، (وثانيهما) أن الاساقفة اعتنقوا الوهية المسيح قبل وجود الانجيل الذي يدل عليها ، ويصرح بها ، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم ، ويدفعوا هرطقتهم في زعمهم لم يجدوا مناصا من أن يلتمسوا دليلا ناطقا يثبت ذلك ، فأتجهوا الى يوحنا ، فكتب كما يقولون انجيله الذي يشتمل على الحجة ، وبرهان القضية ، والبينة فيها على زعمهم ، وهذا ينبيء عن أن الاعتقاد بالوهية المسيح سابق لوجود نص في الكتب عليه ، والا ما اضطروا اضطرابا الى انجيل جديد طلبوه افتقدوه ، فلما لم يجدوا طلبوا من يوحنا أن يكتبه . ولكن الواقع أن رسائل الرسل التي كتبت في قولهم قبل هذا الانجيل ، فيها ما ينبيء عن الوهية المسيح ، ويعلمنا ، فلم تكن فيها حجة لا تجعلهم في حاجة ماسة الى انجيل جديد ، وفيها غناء من البيان يغنيهم عن سواه ام لعل تلك الرسائل المشتتة على هذه الالوهية كتبت بعد هذا الانجيل ليؤيدوه بها ، وليثبت ما أتى به ، ويرسخ في نفوس المسيحيين ، ثم نسبت الى السابقين .

هذا تنبيه مجمل اضطرنا سياق البحث لبيانه قبل أوامه ، وفي غير مكانه ، وله في البحث موضع ، يفنى فيه الاجمال عن التفصيل .

### هذه الاناجيل لم تنزل على عيسى عليه السلام :

٣٦ — هذه هي الاناجيل التي ذكرناها كما كتب النصارى ، لا كما يعتقد غيرهم ، وسنلتقي عليها نظرة علمية بعد الكلام في بقية الكتب ، ولكن يجدر بنا هنا أن ننبه الى أن هذه الاناجيل ليست نازلة على عيسى عليه السلام في نظرهم ، وليست منسوبة له . ولكنها منسوبة لبعض تلاميذه ، ومن ينتمي اليهم ، وهي تشتمل على اخبار المسيح وقصصه ، ومحاوراته ، وخطبه ، وابتدائه ونهايته في الدنيا كما يعتقدون هم .

### انجيل عيسى :

ولكن هل هناك انجيل غير ما بعد انجيل عيسى ؟ وهل في كتابات الباحثين من النصارى ما يدل على ثبوت هذا الانجيل ، وان كنا لا نجده ؟

نجد في هذه الأناجيل عبارات تذكر كلمة انجيل أو بشارة ( وهي ترجمة لكلمة انجيل باليونانية ) مضافة أحيانا الى المسيح على انه ابن الله ، وأحيانا الى الله ، وأحيانا الى ملكوت الله ، فنرى مثلا في انجيل متى في الاصحاح الرابع منه ما نصه : « وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ، ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض ، وكل ضعف في الشعب » ، وبشارة الملكوت هي ترجمة كلمة انجيل باليونانية ، ونرى في انجيل مرقس في الاصحاح الاول منه : « وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل » وجاء في رسالة بولس الى اهل رومية في الاصحاح الاول منها : « اولا أشكر الهى يسوع المسيح من جهة جميعكم ، ان ايمانكم ينادى به في كل العالم ، فان الله الذى أعبدته بروحى في انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم . . . » ويجيء في رسالته الاولى الى اهل كورنثوس في اصحاحها التاسع : « بصرت الضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء ، صرت لكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما ، وهذا أنا أفعله لأجل الانجيل ، لأكون شريكا فيه » ففي هذا كله نجد كلمة انجيل أو كلمة بشارة (وهي ترجمة كلمة انجيل باليونانية ) مضافة الى ملكوت الله ، كما في انجيل متى ومرقس ، وانجيل الابن كما في رسالة بولس الى اهل رومية ، وكلمة الانجيل من غير اضافة كما في انجيل مرقس ، ورسالة بولس الى اهل كورنثوس الاولى ، ولا شك ان الانجيل المذكور في كل هذا ليس واحدا من هذه الأناجيل لانها لا تضاف الا الى أصحابها باتفاق النصارى ، ولأن المسيح قد وعظ بهذا الانجيل ، كما جاء في عبارة متى التى نقلناها ، ولم يكن واحد من هذه الأناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق ، وليس من المعقول ان يعظ بأقواله تلاميذه ، وهم بعد لا يزالون في دور التعلم ، ولأن هذا الانجيل قد ذكر في هذه الأناجيل على انه كان قائما في عهد عيسى ، ولانه ذكر من غير نسبة كما في انجيل مرقس ورسالة بولس الاولى الى اهل كورنثوس ، وليس واحدا من هذه الأربعة تنصرف اليه كلمة انجيل من غير نسبته الى صاحبه ، ولانه ذكر في رسالة بولس الى اهل رومية منسوباً الى المسيح الابن . وليس واحد من هذه الأناجيل يستحق هذا الاسم . لهذا كله نقول : ليس هذا الانجيل واحدا منها كما تقضى بذلك طبيعة السياق ، وكما يقضى بذلك

العقل ، واذا كان الأمر كذلك ، فهل لنا أن نفهم أن هناك أنجيلا أصيلا نزل على عيسى وكرز به على حد تعبيرهم ووعظ . ويعتبر الأصل لهذه الديانة؟

### أقوال علماء النصرانية في انجيل عيسى :

ولقد يمهّد لذلك الراى ، ويرشح له - اننا وجدنا من مؤرخى المسيحية الاحرار الذين لم يقيدهم فى بحثهم الا العلم والحقائق التاريخية من يصرحون بأنه كانت فى القرن الاول رسالة تعتبر أصلا لهذه الأناجيل فيما جاء به المسيح ، وخالصة أحواله ، وهذا ترجمة ما قاله نارتن فى كتاب له : « قال أكهارن فى كتابه : انه كان فى ابتداء الملة المسيحية فى بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز ان يقال انها هى الانجيل الاصلى ، والغالب ان هذا الانجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسموا أقوال المسيح بأذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم . وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب » .

اذن فهؤلاء الاحرار يقررون انه كان هناك انجيل يعد من المسيحية بمنزلة القلب ، ولكنه غير موجود ، فهل لنا ان نقول ان ذلك الانجيل هو المنشار اليه فى أقوال متى ، ومرقس ، وبولس السابقة ، وهو الذى نزل على عيسى ، أهو انجيله وانجيل الله ؟ ليت ، وهل ينفع شيئا ليت ، ليت هذا الانجيل كان قائما ، وحرصت الكنيسة على بقائه . وقامت بحياضته ، ليكون فيصلا بين المختلفين ، وحكما بين الفرق والمفترقين ، وليكون قسطاس الجامع القديمة والحديثة التى حكمت حين الاتشتاق ، وليكون مصدرا علميا لمن يكتب فى المسيحية الاولى . ويتبعها فى مدارجها فى أحقاب الزمن ، وملابسات التاريخ .

### انجيل برنابا :

٣٧ - لقد كتبنا خلاصة ما بينه المسيحيون فى أناجيلهم الأربعة ، واستنبطنا من نصوصها ما يدل على وجود انجيل أصيل ، هى منه الفرع من الاصل ، على ان فى ذلك كلاما قد طسويناه الى موضعه من القول ، وقد أيدنا فى استنباطنا بعض الاحرار المسيحيين ، واستنبطوا قريننا مما استنبطنا ، وقبل ان نغادر الكلام فى الأناجيل الى الكلام فى الرسائل مجرد بنا أن نتكلم فى انجيل جديد قد كشف عنه البحث العلمى ، وقد حمل



من الامارات ما يدل على انه في نشأته يمتد الى ابعد اعماق التاريخ المسيحى ،  
وابعد اغواره ، وهو يشبه الانجيل القائمة في انه قصة المسيح من ولادته  
الى اتهامه . ويحكى محاوراته ، ومناقشاته وخطبه ، ولكن الكنيسة  
لم تعترف به وانكرته ، فليس معتبرا عند المسيحيين مصدرا دينيا ، ولكنه  
يتداول بين علماء الامم الاوربية ، وقد اتجهوا اليه بالبحث والعناية ،  
والاهتمام ، ولم يمنعمهم من ذلك انكار الكنيسة له . ذلك الانجيل هو انجيل  
برنابا ، ومن الحق علينا أن ندرسه، ونعرف رأى المسيحيين فيه، ومايؤدى  
اليه النظر العلمى من غير افتيات عليهم ولا تهجم، ومن غير أن نقم أنفسنا  
فيما ليس لنا من املاء عقيدة على القوم في دينهم .

### برنابا :

٣٨ — جاء ذكر برنابا في رسالة اعمال الرسل التى ينسب تدوينها  
الى لوقا . فقد جاء في الاصحاح الرابع من تلك الرسالة : « ويوسف الذى  
دعى من الرسل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ : وهو لاوى قبرصى الجنس ،  
اذ كان له حقل باعه واتى بالdraهم ، ووضعها عند ارجل الرسل » ، وجاء  
في الاصحاح التاسع عند الكلام عن ايمان شاول — وهذا هو الذى اشتهر  
بعندئذ باسم بولس الرسول — ان برنابا هو الذى شهد له بالايمان ،  
وهو نص ما جاء فيه : « ولما جاء شاول الى اورشليم حاول ان يلتصق  
بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين انه تلميذ ، فآخذه برنابا  
واحضره الى الرسل . وحدثهم كيف ابصر الرب فى الطريق . وانه كلمه ،  
وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع » ولقد ذكر ذلك السفر أيضا انه كانت  
ترسله الكنيسة للوعظ والهداية ، وفي الاصحاح الحادى عشر : « فسمع  
الخبر عنهم فى آذن الكنيسة التى فى اورشليم . فارسلوا برنابا لكى يجتاز  
الى انطاكية ، الذى لما اتى ، ورأى نعمة الله فرح ووعظ ان يثبتوا فى الرب  
يعزم القلب . لانه كان رجلا صالحا ، وممطنا من الروح القدس والايمان ،  
فانضم الى الرب جمع غفير ثم خرج برنابا الى طرسوس ليطلب شاول ،  
ولما وجده جاء به الى انطاكية . . . » ، ويزعمون ان الروح القدس خاطبه  
واختصه بالخطاب هو وبولس ( شاول ) من بين الانبياء والمعلمين ،  
فقد جاء فى الاصحاح الثالث عشر من رسالة الاعمال : « وكان فى انطاكية  
فى الكنيسة هناك انبياء ومعلمون : برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ،

ولوكيوس القسروانى ، ومناين الذى تربى مع هيرودس رئيس الريح ، وشاول .

وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس : انزروا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه ، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليها الايادى ثم أطلقوهما ، فهذان ، اذ أرسلنا من الروح القدس انحذرا الى سلوكية ، ومن هناك سافرا فى البحر الى قبرص . ولما سارا فى سلاميس ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود . وكان معهما يوحنا خادما « وقد استبر برنابا وبولس مصاحبين فى التبشير بالديانة المسيحية فى قبرص . وحدثت على أيديهما المعجزات ، حتى زعم الناس أنها الهان . وجاء فيه عن بيان وقع الخبر عليهما : فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما ، وانذفعا الى الجمع صارخين وقائلين . « أيها الرجال لماذا تقفلون هذا ؟ نحن بشر تحت آلام مثلكم . نبشركم أن ترجعوا من هذه الاباطيل الى الاله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم ، مع انه لم يترك نفسه بلا شاهد » .

ومن هذا كله يتبين أن رسالة الاعمال تشهد أن برنابا كان من الرسل فى اعتقادهم ، الذين اخلصوا للدعوة الى المسيحية ، حتى باع كل ما يملك ؟ والقى بثمنه بين أيدي الرسل يتصرفون به فى سبيل نشر الدعوة ، وينفقونه فى حاجات الجميع . وانه هو الذى شهد لبولس بالايمان . وان الكنيسة أرسلتهما مبشرين بالمسيحية فى قبرص بعد أن أرسلت برنابا وحده الى أنطاكية ، وأن برنابا كان رجلا صالحا ممثلا من الروح ، وأن الروح القدس خصه بعناية من بين الرسل والمعلمين كما يعتقدون .

وينص بولس فى رسالته الى اهل كوروسى فى اصحاحها الرابع على أن مرقس صاحب الانجيل ابن أخت برنابا . فيقول : « يسلم عليكم ارسترخس المأسور معى ، ومرقس ابن أخت برنابا الذى أخذتم لأجله أن أتى اليكم فاقبلوه » .

ولقد كان مرقس هذا يصاحب خاله وبولس فى سفرهما للدعاية والوعظ . ولقد افترقا بسبب ارادة برنابا أن يصحبها ابن أخته فى الطواف فى المدن التى سبقت اليها الدعاية ، ومخالفة بولس لذلك ، ولذلك جاء

في رسالة الاعمال في اصحابها الخامس عشر ما نصه : « ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا : لنرجع ونعتقد اخواننا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب ، كيف هم ؟ فاشار برنابا ان يأخذ معها أيضا يوحنا الذي يدعى مرقس ، وأما بولس فكان يستحسن ان الذي فارقتهما من بمفيلية ، ولم يذهب معها للعمل لا يأخذانه معها ، فحصل بينهما مشاجرة ، حتى فارق أحدهما الآخر ، وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر الى قبرص ، وأما بولس فاختر سبلا ، وخرج مستودعا من الاخوة الى نعمة الله . »

ولقد اشرنا الى الصلة بين برنابا ومرقس صاحب الانجيل عند الكلام في انجيل مرقس ، ونقلنا من كتب المسيحيين ما يدل على ان مرقس هذا ، وهو حجة عندهم باتفاق ، كان ينكر الوهية المسيح ، هو وأستاذه بطرس ، وقد نقلنا عن مروج الأخبار في تراجم الأبرار ما يدل على ذلك .

### هل برنابا من الحواريين الاثني عشر :

٣٩ — هذا هو برنابا . قديس من قديسي المسيحيين باتفاقهم ، ورسول من رسلهم ، وركن من الأركان التي قامت عليها الدعابة للمسيحية الأولى ، وقد وجد انجيل باسمه يدل على أنه كان من الحواريين الذين اختصهم المسيح بالزلفى اليه ، والتقرب منه ، وملازمته في سرائه وضرائه ، ولكن كتب المسيحيين غير هذا الانجيل لاتعدده من هؤلاء الحواريين وان كانت تعده من الرسل الذين يبلغون مكائة الحواريين في هذا الدين بعد المسيح ، ومهما يكن من شيء في هذا الأمر ، وهو كونه من الحواريين أو ليس منهم ، فان برنابا حجة عند المسيحيين ، وهو من الملهمين في اعتقادهم ، فان صحت نسبة هذا الانجيل اليه كان مايشمله حجة عليهم ، يدعوهم الى أن يوازنوا بين ما جاء فيه وما جاء في غيره من كتبهم ، ويؤخذ بما هو أقرب الي التصور والتصديق ، وأصح سنداً ، وأقرب بالمسيحية الأولى رحماً .

فلندرس الآن أقدم نسخة عرفت في العصر الحديث .

اتفق المؤرخون على أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الانجيل ، نسخة مكتوبة باللغة الايطالية ، عثر عليها كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا ، وذلك في سنة ١٧٠٩ وقد انتقلت النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار

في سنة ١٧٣٨ الى البلاط الملكي بمينا . وكانت تلك النسخة هي الاصل لكل نسخ هذا الانجيل في اللغات التي ترجم اليها .

ولكن في اوائل القرن الثامن عشر، اى في زمن مشارب لظهور النسخة الايطالية وجدت نسخة اسبانية ترجمها المستشرق سايل الى اللغة الانجليزية ، ولكن لم يعلم من تلك النسخة وترجمتها الا شذرات اُشار اليها الدكتور هوايت في احدى الخطب، وقد قيل أن الذى ترجم النسخة الاسبانية الى تلك اللغة مسلم نقلها من الايطالية الى الاسبانية .

ولقد رجح المحققون أن النسخة الايطالية هي الاصل للنسخة الاسبانية ، وذلك انها قد قدمت بمقدمة تذكر أن الذى كشف النقاب عن النسخة الايطالية التي كانت اصلا للنسخة الاسبانية راهب لاتينى اسمه فرامينو وانه يقص قصصها ، فيقول : « انه عثر على رسائل لايريانوس وفيها رسالة يندد فيها بما كتبه بولس الرسول . ويسند تنديده الى انجيل برنابا ، فدفعه حب الاستطلاع الى البحث عن انجيل برنابا . وقد وصل الى مبتغاه لما صار احد المقربين الى البابا سكتس الخامس . فانه عثر على ذلك الانجيل في مكتبة هذا البابا ، فأخفاه بين أردانه ، وطالعه ، فاعتق الاسلام » ويظهر أن تلك النسخة هي نفس النسخة التي عثر عليها سنة ١٧٠٩ .

ويقول في ذلك الدكتور سعادة مترجم الانجيل الى العربية: « اذا تحريت التاريخ وجدت أن زمن البابا سكتس المذكور نحو مفيب القرن السادس عشر . وقد علمت مما مر بك بيانه أن نوع الورق الذى سطر فيه انها هو ورق ايطالى يمكن تعيين اصله من الآثار المائية التى فيه ، والتي يمكن اتخاذها دليلا صادقا على تاريخ النسخة الايطالية والتاريخ الذى يحدهه العلماء » من كل ما تقدم بيانه يتراوح بين منتصف القرن الخامس عشر ، والسادس عشر ، وعليه فمن الممكن أن تكون النسخة الايطالية هي عينها التى اختلسها فرامينو من مكتبة البابا على ما مرت الإشارة اليه .

### الكلام في صحة تسمية هذا الانجيل :

٤ . - أقدم نسخة معروفة اذن هي النسخة الايطالية التي عثر عليها في فجر القرن الثامن عشر ، ولكن وجودها يمتد الى منتصف القرن

الخامس عشر أو أول القرن السادس عشر ، وقد وجدت في جو مسيحي خالص ، فلا مظنة لأن تكون مدخولة عليهم .

فأول من عثر عليها في خزانة كتبه رئيس ديني خطير . وكاشفها راهب ، ولما تداولتها الأيدي انتقلت الى مستشار مسيحي من مستشاري ملك بروسيا ، ثم آلت الى البلاط الملكي بفيينا فلا مظنة لأن تكون مدخولة عليهم ، وهى منسوبة لقديس من القديسين هو برنابا ولم يعرف بهذا الاسم سواه ، له مثل مكانته الدينية . ولقد كان وجود انجيل له أمرا معروفا بين العلماء بهذا الدين . فهذا فرامينو يقول انه اطلع على رسالة لاريانوس يستنكر ما كتب بولس مستشهدا على استنكاره بانجيل برنابا .

ويذكر التاريخ ان هناك اناجيل كثيرة حُرمت قراعتها الكنيسة - كما اشرنا من قبل ، ويقول الدكتور سعادة : « يذكر التاريخ أمرا أصدره البابا جلاسيوس الاول الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ ميلادية يعدد فيه أسماء الكتب المنهى من مطالعتها ، وفي عدادها كتاب يسمى انجيل برنابا ، ويذهب بعض العلماء المدققين الى أن أمر البابا جلاسيوس المنوه عنه إنما هو برمته تزوير » .

ولكن التاريخ أصح وأصدق من قول هؤلاء العلماء ، وان كانوا محتقين ، فأنقوال العلماء والمؤرخين تترى في تحريم قراءة اناجيل كثيرة . فاذا فعل ذلك البابا جلاسيوس فقد سار على سنة أسلافه ، وجرى على سنته من بعده أخلاف ، واذا صح ذلك الأمر - كما يشهد التاريخ - وكما تنبئ عنه المقدمات والنتائج ، فان انجيل برنابا كان معروفا متداولاً قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من قرنين .

وزعم الدكتور سعادة بأنه لو كان معروفا في ذلك الإبان لعرفه النبي صلى الله عليه وسلم واحتج به ، أو اخذ منه - زعم باطل - لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يقم في البلاد التي سادتها المسيحية آمادا تمكنه من المعرفة والاطلاع ، ولأن مضي قرنين من الزمان بعد التحريم يجعل التحريم ينتج أثره ، فينحفي ماكن ذائعا ، ويدفن ما كان معلوما مشهورا فباتتان من السنين تكفى لطمس الوجود ، وتغفية آثار المفتـود .

وان المسيحيين يجدون فيها اشتراك عليه ذلك الانجيل اخبارا دقيقة عن التوراة حتى لقد يقول الدكتور سعادة : « انك اذا عملت النظر في هذا الانجيل وجدت لكاتبه الماما عجيبا باسفار العهد القديم لاتكاد تجد لها مثيلا بين طوائف النصرارى الا في أفراد قليلين من الاخصائين الذين جعلوا حياتهم وقتا على الدين ، كالمفسرين ، حتى انه ليندر أن يكون بين هؤلاء أيضا من له المام بالتوراة يقرب من المام كاتب انجيل برنابا . »

### ترجيح صدق النسبة في هذا الانجيل :

٤١ - هذه بينات شاهدة - وان لم تبلغ اليقين والجزم - بان نسبة هذا الانجيل الى برنابا نسبة يرجح أن تكون صحيحة، لانه وجدت نسخته الاولى في جو مسيحي خالص ، وكان معروفا قبل ذلك بقرون ان لبرنابا انجيلا، وهو يدل على أن كاتبه على المام تام بالتوراة التي لا يعرفها الرجل المسيحي غير الاختصاصى في علوم الدين ، بل يندر من يعرفها من المختصين ، وان برنابا كان من الدعاة الاولين الذين عملوا في الدعوة عملا لا يقل عن عمل بولس ، كما تذكر رسالة أعمال الرسل، فلا بد أن تكون له رسالة أو انجيل .

هذه بينات تشهد بأن الانجيل الذى كشف وعرف صحيح النسبة ، ليس للمسلمين يد فيه، وأن من ينحله للمسلمين كمن يحمل في يده شيئا يظن في حملة اتهامها له . فيسند ملكيته الى غيره نفيا للتهمة عن نفسه . فهل يقال منه ذلك النفى من غير حجة ولا دليل سوى أن فيه اتهامها له ؟ وهل يقرر القضاء ذلك النفى ؟ .

قد يقول قائل : ان هذه البينات كلها مرجحة وليست يقينية ، ونحن نقول ان اكثر مسائل التاريخ ترجيح ، وليست يقينية جازمة ، فاذا كانت نسبة انجيل برنابا اليهظنية تقبل الاحتمال فانا نأخذ بذلك الظن، لانه المأخذ في اكثر مسائل التاريخ ، والاحتمال الذى لا ينشأ عن دليل لا يلتفت اليه ، بجوار الاحتمال الناشئ عن دليل ، ووجود ذلك الانجيل بلغة مسيحية وبين ظهرانى المسيحيين ، وفي مكاتبهم الخاصة دليل على ان المسلمين ليست لهم يد فيه، ولذلك رجح جمهور المحققين أنه ليس لهم يد في انشائه .

ولكن زعم بعضهم ان أصله عربى ، وهو زعم ليس له دليل ، وعلى  
دمى ذلك الأصل ان يبرزه ، ويبين تاريخ تدوينه ، ومقدار نسبته .

ولكن الدكتور سعادة يزعم ان أصله عربى بدليل أنه وجد على النسخة  
الاطالية تعليقات عربية، وأنه صرح فى التبشير باسم النبى، مع ان المعهود  
فى البشارات الرمز لا النص .

وتحن نرد الاول بأن وجود تعليقات عربية يدل فقط على ان بعض  
من ثمرها هذه النسخة يعرف العربية على ضعف فيها لانه مستقيم التعبير  
أحيانا قليلة ، وسقيم العبارة فى أحيان كثيرة ، ومن الضريب أن يتخذ  
من التعليقات العربية دلالة على أصله الاسلامى ، ولا يتخذ من صلبه  
الاطالى دليلا على أصله المسيحى .

أما كون التبشير بالنبى صلى الله عليه وسلم صريحا فيه وليس  
بتلميح فنحن لا نسلم بأن كل التبشارات فى الكتب الدينية تلميح . نعم  
بعضها رمز وتلميح ، ولكن معنى ذلك نفى الصريح ، وعلى فرض  
أن كل تبشير تلميح لا تصريح ، فالنص الايطالى الذى بين ايدينا ترجمة  
لا نص ، وعسى أن يكون المترجم فهم المعنى ، فلم يسعفه فى لفته التلميح،  
فتنطق بالتصريح كما يفعل المسيحيون فى كثير مما ترجموا من كتب أصلها  
عبرى .

ومن المؤكد ان ذلك الانجيل لم يكن معروفا عند المسلمين فى غابره  
وحاضرهم، لان المناظرات بينهم وبين المسيحيين كانت قائمة فى كل العصور،  
ولم يعرف ان احدا احتج على مناظره المسيحى بهذا الانجيل . مع أنه فيه  
الحجة الدامغة التى تفلج المسلم على المسيحى ، فدعوى وجود نسخة  
عربية كانت هى الأصل للنسخة الايطالية ، فوق انها لا دليل عليها مطلقا ،  
ولو بطريق الوهم هى تناقض اخبار التاريخ الاسلامى مناقضة تامة ،  
والا احتج المجادل عن الاسلام بها . ففيها أقوى دليل ، والتاريخ لم يحفظ  
ذلك ، وهذى سجلاته ليستنبطوها . وليعروا دخالها ، فلن يجدوا شيئا  
يمكن دعواهم ويثبت قضيتهم .

### قيمة انجيل برنابا من حيث ما اشتمل عليه :

٤٢ - وانجيل برنابا هذا يمتاز بقوة التصوير ، وسمو التفكير ، والحكمة الواسعة ، والدقة البارعة ، والعبارة المحكمة ، والمعنى المنسجم ، حتى انه لو لم يكن كتاب دين لكان في الابد والحكمة من الدرجة الاولى ، لسمو العبارة وبراعة التصوير .

ولماذا انكره المسيحيون مع أن قوة النسبة فيه لا تقبل عن قوة النسبة في كتبهم الأربعة كما ذكرنا ، ان لم تكن أقوى؟ الجواب عن ذلك ان المسيحيين رفضوه لانه خالف اناجيلهم ورسائلهم في مسائل جوهرية في العقيدة .

ولقد كنا نظن أن ظهور ذلك الانجيل كان يحمل الكنيسة على التفكير من جديد في مصادر الدين ، لتعرف اى الكتب اقرب نسبا بالمسيحية الاولى ، اذلك الانجيل بما خالف ، ام الرسائل والانجيل التي توارثتها ؟ ولكنهم سارعوا الى الرفض والانكار . كما سبق اسلافهم الى انكاره من قبل .

### مخالفة انجيل برنابا لما عليه المسيحيون :

والامور التي خالف ذلك الانجيل فيها ما عليه المسيحيون الان تتلخص في أربعة أمور :

اولها : انه لم يعتبر المسيح ابن الله ، ولم يعتبره لها ، وقد ذكر ذلك في مقدمته فقال : « ايها الاعزاء ان الله العظيم العجيب قد امتدنا في هذه الايام بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم ، والآيات التي اتخذها الشيطان أربعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر . داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي امر به الله دائما ، مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل في عدادهم ايضا بولس الذي لا أتكلم عنه الا مع الاسى وهو السبب الذي لاجله اسطر ذلك الحق الذي رأيته » .

ويقول في آخر الفصل الثالث والتسعين : « اجاب الكاهن ان اليهودية قد اضطربت لاياتك وتعليمك حتى انهم يجاهرون بانك انت الله ، فاضطربت بسبب الشعب الى ان اتي الى هنا مع الوالى الرومانى والملك هيروندس فنرجو من كل قلبنا ان ترضى بازالة الفتنة التي ثارت بسببك ، لان فريقا يقول انك الله . وآخر يقول انك ابن الله ، ويقول فريق انك نبى . اجاب



يسوع : « وانت يا رئيس الكهنة . لماذا لم تخدع الفتنة ، وهل جننت أنت ايضا ، وهل امنست النيوات ، وشريعة الله نسيا منسيا ، أيتها اليهودية الشقية التى ضللها الشيطان » ولما قال يسوع هذا عاد فقال : « انى أشهد امام السماء ، وأشهد كل ساكن على الارض انى برىء من كل ما قال الناس عنى من انى أعظم من بشر ، لانى بشر مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر ، عرضة للشقاء العالم » .

ويقول فى الفصل السابعين : « اجاب يسوع : وما قولكم انتم فى ؟ اجاب بطرس : انك المسيح ابن الله . فغضب حينئذ يسوع . وانتهره بغضب قائلا : اذهب . وانصرف عنى . لانك انت الشيطان ، وتريد أن تسيء الى » .

( الأمر الثانى ) : أن الذبيح الذى تقدم به ابراهيم الخليل عليه السلام للفداء هو اسماعيل ، وليس اسحق ، كما هو مفكور فى التوراة ، وكما يعتقد المسيحيون . هذا نص ماجاء فى انجيل برنابا على لسان المسيح عليه السلام : « الحق أقول لكم انكم اذا امعنتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلموا خبث كتبنا وفقهائنا ، لان الملاك قال : « يا ابراهيم . سيطم العالم كله كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم الصائم محبتك لله . حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله . اجاب ابراهيم : ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله ، فكم الله حينئذ ابراهيم قائلا : « خذ ابنك برك واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة » . فكيف يكون اسحق البكر ، وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين .

( الأمر الثالث ) : هو كما يقول الدكتور سعادة « بك » : ان مسيا او المسيح المنتظر ليس هو يسوع ، بل محمد . وقد ذكر محمدا بالنظ الصريح المتكرر فى فصول ضافية الذبول ، وقال انه رسول الله ، وأن آدم لما طرد من الجنة رأى سطورا كتبت فوق بابها بأحرف من نور « لا إله الا الله محمد رسول الله » ولقد قال المسيح كما جاء فى انجيل برنابا : « ان الآيات التى يسطرها الله على يدي تظهر انى انكم بما يريد الله ، ولست احسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ، لانى لست أهلا لأن أحل رباطات ، أو سيور خذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا الذى خلق قبلى . وسيأتى بعدى بكلام الحق . ولا يكون لدينه نهاية » وانك لتجد فى الفصلين الثالث ( م ٥ - محاضرات فى النصرانية )

والأربعين والرابع والأربعين كلاما وأما في التبشير بـمحمد صلى الله عليه وسلم لأن التلاميذ طلبوا من المسيح عليه السلام أن يصرح لهم به . فصرح بما يعلن حقيقته ، ويبين ما له من شأن .

( الأمر الرابع ) : إن هذا الاتجيل يبين أن المسيح عليه السلام لم يصلب ، ولكن شبه لهم . فألقى الله شبهه على يهوذا الأسخريوطى ، ويقول في ذلك برنابا : « الحق أقول إن صوت يهوذا ، ووجهه ، وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع ، كذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع ، معتقدين أن يسوع كان نبيا كاذبا ، وأما الآيات التي فعلها بصناعة السحر ، لأن يسوع قال أنه لا يموت إلى وشك انقضاء العالم ، لأنه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم » .

ثم يبين أن يسوع طلب إلى الله أن ينزل إلى الأرض بعد رفعه ليرى أمه وتلاميذه ، فنزل ثلاثة أيام .

ثم يقول : « وويخ كثيرين من اعتقدوا أنه مات » وقام قائلا : « انحسبوننى أنا والله كاذبون ، لأن الله وهبى أن أعيش ، حتى قبيل انقضاء العالم ، كما قد قلت لكم ، الحق أقول لكم إنى لم أمت ، بل يهوذا الخائن ، احذروا ، لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ، ولكن كونوا شهودى في كل اسرائيل ، وفي العالم كله ، لكل الأثمىاء التى رأيتوها وسمعتوها » .

٤٣ - هذا هو اتجيل برنابا ، وما خالف فيه بقية الأناجيل من مسائل جوهرية ، وفي الحق أنه خالف المسيحية القائمة في خصائصها التى امتازت بها فإن تلك المسيحية امتازت بالتثليث ، وبنوة المسيح والوهيته ، وكان هذا شعارها الذى بها تعرف ، وعلامتها التى بها تتميز ، وقد خالف كل هذا ، وإذا كانت مخالفته للمسيحية القائمة في ذلك الأمر الجوهري ثابتة - وهو ينسب إلى قديس من قديسيهم - فقد كان من الحق إذن أن يحدث ظهوره وكشفه بين ظهرائى المسيحيين وفي مكاتب من لا يهتمون بالكيد للمسيحية ، ومن لا يهتمون بأنهم لا يرجون لها وقارا - رجة فكرية عنيفة ، اهتزت بسببها المشاعر والمنازع ، فالكنيسة والمتعصبون من المسيحيين يرفضونه رفضا باتا ، ما دام قد أتى بما لا يعرفونه هم ،

ولا يعنون أنفسهم بدراسته دراسة علمية ، ينتهون فيها الى نقضه جملة ، أو قبوله جملة ، أو قبول بعضه ، ورفض بعضه الذى يثبت بالدليل أن فيه مخالفة لتعاليم المسيح الصحيحة الثابتة بسند أقوى من سنده ، وبتنها أقرب الى العقل والفكر من منته .

ولكن العلماء الذين دأبهم التنقيب والبحث عكفوا على دراسته ، وموازنة نصوصه بالتوراة والأنجيل ورسائل رسلهم ، بل القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وانتهت دراسة جلهم بأنه بعيد أن يكون قد استقى من القرآن الكريم ، وما هو مشهور عند المسلمين .

وان أجل خدمة تسدى الى الأديان والانسانية ، أن تعنى الكنيسة بدراسته ، ونقضه ، وتأتى لنا بالبيانات الدالة على هذا النقض ، وتوازن بين ما جاء فيه وما جاء فى رسائل بولس ، ليمرف القارئ والباحث أيهما أهدى سبيلا ، وأقرب الى الحق ، وأوثق به اتصالا .

## رسائل رسلهم

٤٤ — انتهينا في كلامنا السابق الى ذكر الاناجيل وعرضها ، كما يقول المسيحيون ، وكنا في ذلك ناقلين ، ولم نعن في ذلك بالنقد ، فان لذلك موضعه .

والآن ننتقل الى القسم الثالث من مصادر المسيحية ، وهو رسائل رسلهم ، ويسمونها — ما عدا رسالة أعمال الرسل — الأسفار التعليمية ، كما يسمون الاناجيل ورسالة أعمال الرسل الأسفار التاريخية ، لأن الاناجيل تعنى بشرح حياة السيد المسيح وحكاية أحواله ، وبعض أقواله ومواعظه ، أما الرسائل فانها تعنى بالناحية التعليمية التى تبين بها الديانة .

### عدد الرسائل وكاتبوها :

والرسائل اثنتان وعشرون رسالة : الأولى ، وتسمى أعمال الرسل ، وتنسب الى لوقا صاحب الانجيل ، وأربع عشرة كتبها بولس ، وهى رسالة أهل رومية وكورنثوس الأولى والثانية ، وغلاطية ، وأفسس ، وفيلينى ، وكولوسى ، وتسالونيكى الأولى والثانية ، وتيموثاوس الأولى وتيموثاوس الثانية ، وتيطس ، وفيلمون والعبرانيين ، ورسالة كتبها يعقوب ، ورسالتان كتبهما بطرس ، وثلاث رسائل كتبها يوحنا ، ورسالة كتبها يهوذا .

وهناك غير الاثنتين والعشرين رسالة أخرى يسمونها السفر النبوى وهى رؤيا يوحنا ، وهذه الرسالة فى منحائها ومنهجها تخالف الرسائل السابقة ، فبينما الرسائل السابقة وعظية وتعليمية فى جملتها ، وتعرض كثيرا لذكر بنوة المسيح ، وتخليصه للعالم من خطيئته ، تجد رسالة رؤيا يوحنا اللاهوتى ، تعنى ببيان الوهية المسيح وسلطانه فى السماء وعلمه بحال الكنيسة والقوامين على المسيحية من بعده ، وهى تارة تصور الاله فى عليائه كشيخ اشيب يشبه المسيح متمنطا عند ثديه بمنطقة من ذهب ،

وعيناه كلب نار ، وفي يده سبعة كواكب ، وسيف ماض ذو حدين يخرج من فيه ، ( راجع الاصحاح الأول من الرؤيا ) .

وتارة تصور المسيح خروفا قائما كأنه مذبح له سبعة قرون وسبع أعين ، ( راجع الاصحاح الخامس ) .

وتبين أن الناس يعرضون أمام الاله والمسيح « ويخرون ساجدين » ، ثم تصور الملائكة وأحوالهم وأعمالهم ، وهكذا ... » .

فهي رسالة تشرح سلطان المسيح في الملكوت وتبين احوال الملائكة وخضوعهم للمسيح ولله .

٤٥ - وهذه الرسائل تشرح المسيحية الحاضرة بأكثر من الانجيل ، وقد كتبت جميعها باليونانية ، كما يقول مؤرخوهم ، وللباحثين كلام كثير في شأن الرسائل ، وقوة سندها ، وقيمتها من حيث الاستدلال لهذا الدين ، ولكننا نرجى القول في ذلك الى الكلام في نقد مصادر المسيحية نقدا علميا ، ونكتفى الآن بعرضها وذكرها ، محوطة بهالة من تقديسهم ، ومكوة بتقديدهم .

وقد ذكرنا موجزا لتاريخ يوحنا ، وعرفنا القارئ به ، وهو صاحب الرؤيا ، وثلاث رسائل ، وبيننا لوقا ، وهو صاحب رسالة أعمال الرسل ، فلنعرف الآن بكلمات موجزة القارئ بطرس صاحب الرسالتين ، ويعقوب ويهوذا ، ولكل رسالة ، وبولس وله أربع عشرة كما ذكرنا .

بطرس من حواربي المسيح ، وكان اسمه الأصلي سمعان ، وكان صياد سمك وقد جال بعد المسيح للتبشير ، فذهب الى انطاكية وغيرها ، ثم ذهب الى رومة سنة ٦٥ فقبض عليه وزج في السجن ، وحكم عليه بالموت صلبا في زمن نيرون على ما نوهنا . وقد طلب أن يصلبوه منكسرا حتى لا يتشبهه بالمسيح .

وقد علمت أن صاحب مروج الأخبار في تراجم الأبرار يخبر أن بطرس وتلميذه مرقس صاحب الانجيل الذي كان يعبر عنه يابنه كلاهما كان ينكر الوهية المسيح .

### ترجمة يعقوب صاحب الرسالة :

٤٦ — ويعقوب صاحب الرسالة هو يعقوب بن زبدي الصياد « أخو يوحنا ، وكان حواريا كأخيه ، ويقولون : انه أول أسقف لكرسي اورشليم ، ويقول صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية : « كان لشهرته بالطهارة يعرف بـيعقوب البار ، وقد اغتاز منه رؤساء اليهود ، فحكوا عليه بالموت في مجرمهم ، فمات رجما سنة ٦٢ وكان قد كتب رسالته سنة ٦١ م . » .

### ترجمة يهوذا :

٤٧ — وأما يهوذا ، وهو حوارى ، ويقولون انه يدعى لباوس ، ولقب تداوس وهذا هو الاسم الذى ذكر في انجيل متى ، ولكن انجيل برنابا يقرر أن يهوذا غير يهوذا الأسخريوطى الذى شهد على المسيح وخانه ، وغير تداوس ، ويقولون : انه أخو يعقوب الصغير ، وعلى هذا يكون لزبدي الصياد ثلاثة من الحواريين ، ولكن متى لما ذكر يعقوب ويوحنا فكر امامهما أنهما ولدا زبدي الصياد ، ولم يذكر امام تداوس !! وعلى أية حال فليهوذا هذا رسالة منسوبة اليه ، وقد قالوا انه مات شهيدا ببلاد المعجم .

### ترجمة بولس :

٤٨ — بولس : ولنتنقل الآن الى الكلام في بولس والتعريف به ، وان لبولس هذا لشأنا في المسيحية ، فهى تنسب اليه أكثر مما تنسب لأحد سواه ، فرسالته هى التى شرحتها ، وقد كان بنشاطه الجم ، وتطوائه في الأقاليم مشرقا ومغربا ، لا يستقر في مكان على نية الإقامة فيه ، بل على قصد في الرحيل الى غيره — أشد دعائها ، وقد تأثر المسيحيون خطاه ، وتعرفوا أخباره وأقواله ، ما دونه منها في رسالته ، وما ألقاه في الجموع وتناقضوه ، وان لم يدونه هو وتأثروا اعماله فاحتنوا حذوه ، وسلكوا مسلكه ، واعتبروه القدوة الأولى ، فلا بد اذن من العناية بتاريخه لتتعرف اكانت منزلته في المسيحية الأولى كمنزلته في المسيحية الحاضرة ، حتى يصلح أن يكون حلقة الاتصال بينهما ، ونائل الأولى الى أهل الثانية ، ولنتبين انه صادق النقل ، حتى تكون الأولى والثانية شيئا واحدا ، وليستفا شيئين مختلفين .

وانا في حكاية بدايته ونهايته نعتمد على المصادر المسيحية وحدها ،  
كسنتنا فيها أسلفنا من القول ، حتى لانتزيد عليهم ، ولكي نعرض الرجل  
كما هو عندهم .

في سفر أعمال الرسل تفصيل لحياة بولس ، وقد أخذت أعماله  
من ذلك السفر الشطر الأكبر . وقد جاء فيه أن مولده كان في طرسوس ،  
وتربى في اورشليم ، واسمه الأصلي شاول . وهذا نص الفقرة الثالثة من  
الاصحاح الثاني والعشرين حكاية عنه : « انا رجل يهودى ولدت في  
طرسوس كيليكة ، ولكن رببت في هذه المدينة » ( اورشليم ) .

ولقد جاء انه من الفريسيين الذين يقولون ان هناك قيامة يشاركون  
فيها ملك المسيح في الدنيا ، فقد جاء في الاصحاح الثالث والعشرين :  
« ولما علم بولس ان قسما منهم صدوقيون ، والآخرين فريسيون » صرح  
في المجمع : « ايها الرجال الاخوة ، انا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة  
الأموات . انا احاكم » .

ونجد كتاب المسيحية مثقفين على انه من اليهود، ولكن جاء في سفر  
أعمال الرسل أيضا ما يدل على انه روماني ، ففي آخر الاصحاح الثاني  
والعشرين منه ملئصه : « فلما مدوه للسياط قال بولس لقاتد المائة الواقف :  
ايجوز لكم ان تجلدوا انسانا رومانيا غير مقضى عليه ، فاذ سمع قائد المائة  
ذهب الى الامير وأخبره قائلا: انظر ما انت مزعم ان تفعل ، لان هذا الرجل  
روماني . فجاء وقال له : قل لي انت روماني ؟ فقال نعم . فأجاب الامير :  
اما انا فمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية ، فقال بولس : اما انا فقد ولدت  
فيها . وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزعمين ان يفحصوه ، واختشى الامير  
لما علم انه روماني ، لانه قيده » .

وهذان بلا ريب نصان متعارضان ، لعل أرجحهما انه يهودي ،  
لانه ذكر انه روماني عندما رأى ان جسده سيكوى بالسياط . فاعمل الحيلة ،  
عساه يجد مخرجا ، فادعى انه روماني لينجو جلده ، وقد تم له ما أراد  
بتلك الحيلة التي احتالها في انتسابه ، وأصر عليها عندما روجع فيها .

ولكن لو اتخذنا من قرائن الأحوال دليلا على كذب ادعائه الرومانية،

وأنه قالها خلاصا واحتياالا لورد مثل ذلك عندما قال انه يهودى . لأنه كان يخاطب جمعا يهوديا عمل للقبض عليه .

ولقد صرح في سفر الأعمال انه قال أنه فريسي ليوقع الخلاف بين الصدوقيين والفريسيين ، فقد جاء فيه عند ذكر اقراره بأنه فريسي . ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون والآخر فريسيون ، الخ . فهو ما صرح بهذا التصريح الا ليوقع الفرقة بينهم ، وينجو من كيدهم بتدبير فـريق منهم .

وقد تم له بعض ما أراد، فاختلفوا وجرى بينهم نزاع شديد كما دلت على ذلك الفقرات التي ذكرت من بعد في الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الأعمال ، واذن فلا نستطيع أن نستبين جنسه من هذا على وجه تطمين اليه النفس .

٤٩ — ومهما يكن من امر جنسه ، فقد كان بولس هذا في صدر حياته من أشد أعداء المسيحية ، وأبلغهم كيدا لها ، وأكثرهم امعانا في اذى معتقها ، كما يدل على ذلك ماجاء في سفر الأعمال في مواضع كثيرة منه .

ففي الاصحاح الثامن منه : « وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في اورشليم ، ففتشت الجيع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل ، وحمل رجال اتقياء استفانوس ، وعملوا عليه مناقبة عظيمة ، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ، ويجر رجالا ونساء ، ويسلمهم الى السجن » .

وجاء في أول الاصحاح التاسع : « أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم الى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل الى دمشق الى الجماعات حتى اذا وجد اناسا في الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين الى اورشليم » .

ويجىء في ذلك السفر ايضا اعترافه الصريح بذلك الماضي في مواضع متعددة أيضا .

فمنها ما جاء في الاصحاح الثاني والعشرين مخاطبا اليهود : « كنت



غيورا لله ، كما أنتم جميعكم اليوم ، واضطهدت هذا الطريق ، حتى الموت ، مقيدا . ومسلما الى السجن رجلا ونساء ، كما يشهد لي أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين اذا أخذت منهم رسائل للاخوة الى دمشق ، ذهبت لآتى بالذين هناك الى اورشليم مقيدين لكي يعاقبوا » .

ولكن سفر الاعمال يقول أن ذلك الرجل الذي كاد للمسيحية هذا الكيد وآذى أهلها ذلك الايذاء ، قد انتقل من الجيت والطاغوت الى المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال ، ولا تمهيدات مهدت له .

فيقول في الاصحاح التاسع : « فيذهابه حدث انه اقترب الى دمشق ، فبغته أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض ، وسمع صوتا قائلا له : شاول . شاول . لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيدي ؟ فقال : أنا يسوع الذي أنت تضطهده ، صعب عليك أن ترفض مناخس ، فقال وهو مرتعد متحير : يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب : قم وادخل المدينة ، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل » .

دخل بولس أو شاول في المسيحية ، وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح ، ولكنهم أوجسوا منه خيفة ، ولم يصدقوا ايمانه ، ولكن شهد له برنابا الذي حدثاك عنه بالايهان ، وما حدث له في الطريق .

فقد جاء في الاصحاح التاسع أيضا من السفر المذكور : « ولما جاء شاول حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين ، فأخذه برنابا ، واحضره الى الرسل ، وحدثهم كيف أبصر الرب ، وأنه كمه ، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع » .

ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة ، والحركة الدائبة في الدعاية للمسيحية ، كما تدل على ذلك عبارات سفر الاعمال ، وقد اضطحب في رحلاته برنابا ، حتى اختلفا كما ذكرنا في الكلام على برنابا . فلما اختلفا افترقا ، وهناك نجد حلقة مفقودة ، فلم يبين لنا سفر الاعمال على من تلقى مبادئ المسيحية التي أخذ يبشر بها ، والتي دونها في رسائله الأربع عشرة . والتي يضيف اليها بعض الكتاب سفر الاعمال ، وينسبه اليه بدل نسبه الى لوقا ؟ لم تبين لنا الكتب المسيحية على من تلقى مبادئ

المسيحية ؟ ولعلهم يعتقدون أنه ليس في حاجة الى التلقى ، لانه انتقل من مرتبة الكافر المناوىء الى مرتبة الرسل في المسيحية ، وصار ملهما ينطق بالوحي في اعتقادهم ، فلم يكن في حاجة الى التعلم والدراسة ، لان الوحي كناه مؤونة الدرس وتعبه .

لقد أخذ بولس في التطواف في الاقاليم ينشئ الكنائس ، ويقوم بالدعاية ويلقى الخطب ، وينشئ الرسائل ، حتى كانت رسائله هي الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادئ في الاعتقاد ، وبعض الشرائع العملية ، وقد قالوا انه قتل في اضطهادات نيرون سنة ٦٦ او سنة ٦٧ على الخلاف في ذلك .

### صفات بولس :

٥٠ — ان الذى يستخلص من احوال واقوال بولس التى دونت في رسائله وأعماله التى ذكرها سافر أعمال الرسل ، يتبين له انه امتاز بثلاث صفات جعلته في القروة من الدعاة الى المبادئ والعقائد :

**الصفة الأولى :** انه كان نشيطا دائم الحركة ذا قوى لا تكل ، وذا نفس لا تمل .

**الصفة الثانية :** انه كان المعيا شديد الذكاء بارع الحيلة ، قوى الفكر . يدبر الأمور لما يريد بدهاء الأسمى ، ونكاء الأروعى ، يسدد السهام لغاياته ومآربه فيصيبها .

**الصفة الثالثة :** انه كان شديد التأثير في نفوس الجماهير ، قوى السيطرة على أهوائهم ، قديرا على انتزاع الثقة به ممن يتحدث اليه .

وبهذه الصفات الممتازة ، وبهذه القدرة البارعة استطاع ان يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية ، وقطبهم ، وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين ، فيعتنقوه ديناً ، ويتخذوا قوله حجة زاعمين انه رسالة أرسل بها ، وبهذه الصفات الباهرة استطاع ان يحمل صديقه برنابا على ان يصدقته في رؤيته المسيح ، واستطاع ان يحتل المنزلة الأولى بين التلاميذ ، وقد كان بلاؤهم ، وكيد الشيطان لهم . وبهذه الصفات القوية استطاع ان يحملهم على نسيان ماضيه ، وأن يندغموا في شخصه حتى يصير هو كل شيء ،

وهم لا يستطيعون رد قوله في الجماهير ، وحتى لقد صارت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه ، منسوبة إليه ، ولقد يعجب الذين درسوا الديانات وعرفوا أحوال رجالها ، وأدوارهم ، فيقولون : كيف ينتقل رجل من كفر بديانة الى اعتقاد شديد بها طفرة ، من غير سابق تهديد ، ولكن ذلك العجب يزول ان كان الانتقال مقصورا على مجرد الانتقال من الكفر الى الايمان ، فان لذلك نظائر وأشباها ، بل العجب كل العجب ان ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين الى الرسالة في الدين الذي كفر به ، وناواه وعاداه ، فان ذلك ليس له نظير وليس له مشابه ، ولم يعهد ذلك في انبياء ورسل قط ، وهذه توراة اليهود وأسفار العهد القديم التي يؤمن بها المسيحيون كما رووها ، وكما قالوها ليذكروا لنا رسولا بعث من غير ان يكون في حياته الأولى استعداد لتلقى الوحي ، وصفاء نفس يجعله أهلا للإلهام ؟ ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته ، وانه اذا لم يكن للرسالة ارهاصات قبل تلقيها ، لا يكون على الأقل قلبها ما ينافيها ويناقضها . ولكن بولس ابو العجب استطاع ان يتغلب على ذلك العجب في عصره ، وأن يفرض نفسه على المسيحيين من بعده ، وأن يحملهم على نسيان العقل عندما يدرسون اقواله وآراءه وتعاليمه .

بيد ان العقل يخترق بنوره الحجب ، ويزيل بضوئه كل أسداف الظلم ، ولو قاوم في سبيل ذلك براعة بولس وذكاءه ، ولذا وجد في العصور المسيحية من كانوا يثرون مناقشات قوية حول اقوال بولس منكرين لها مبطلين ، ونسارع فنقول مقالة القس عبد الأحد : « ان بولس يبجل ويعظم رجلا اسمه عيسى أميت ومات . وحيى فقط ، وأن خمس عشرة رسالة من كتب العهد الجديد تحمل اسم الرسول المشار اليه ، فلا محصل للحيرة اذا قلت أن المؤسس الحقيقي للمسيحية الحاضرة هو بولس ، فان شاول الشاب الطرسوسي من سبط بنيامين . ومن مذهب القريسيين وتلميذ أحد علماء الدهر عضو مجلس صانهذين المدعو عمانيل . . . الذي كان يجتهد في محو اسم عيسى وأتباعه من الأرض ، والذي رأى عدوه الناصري في السماء لامعا داخل الأنوار وقت الظهر أمام دمشق . اهتدى وسمى باسم بولس . وهو الذي وضع أساس العيسوية » . والقسم الأعظم من أعمال الرسل يبحث عن سياحات بولس الطويلة وجهوده ومناعبه ،

فهو هو صادق في النقل عن المسيح ، والإخبار عنه ؛ للاجابة عن هذا السؤال موضعها عند الكلام في الإلهام الذي نخلوه لرسولهم ، ونقد الكتب نقدا علميا .

كتب العهد القديم والأنجيل والرسائل كتبت بالإلهام في اعتقادهم :

٥١ - الى هنا قد بينا الكتب ، وذكرنا طرفا من حياة منشئها ، وأحوالهم ومقدار الاختلاف في نسبة الكتب الى أصحابها ، وقبل أن تنتقل الى نقد هذه الكتب نقدا علميا في متنها واساندها ، نقول : ان المسيحيين يقولون ان هذه الكتب كلها ، كتبت بالإلهام أى بالوحى عن طريق الإلهام ، وأنها لذلك لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فهى حق وصدق ، لأنه موحى بها ، وسواء في ذلك كتب العهد القديم ، والعهد الجديد ، سواء أكانت أنجيل أم رسائل تعليمية أم رسالة النبوة .

ولذا يقول مؤلفو موجز تاريخ الأمة القبطية في شأن الكتاب المقدس : « الكتاب المقدس هو مجموع الاسفار التى كتبها رجال الله القديسيون بالإلهام الروح القدس في أوقات مختلفة ، وفيها أعلن الله مشيئته ووصاياه ، وما قطعه من المواعيد ، وما فرضه من المثوبة ، وما فيه ارشاد للناس وخيرهم وخلصهم وما أتمه من عمل الفداء » ويمراجعة ما كتبه شراحهم وعلمائهم نفهم ان الإلهام عندهم ، هو الإلهام في المضمون الرئيسى ، ولذا يقول هورن : « اذا قيل أن الكتب المقدسة أوحى بها من عند الله لا يزداد ان كل الالفاظ والعبارات من الإلهام الله ، بل يعلم من اختلاف محاورات المصنفين واختلاف بيانهم أنهم قد جوز لهم ان يكتبوا ، على حسب طباعهم وعاداتهم وفهومهم واستعمل علم الإلهام على طريقة استعمال العلوم الرسمية ، ولا يتخيل أنهم كانوا يلهمون في كل أمر يبينونه ، وفي كل حكم كانوا يحكمون به » .

اذن لم تكن كل الكتب المقدسة ملهمة من حيث أسلوب البيان ، ومن حيث التصرف في التعبير ، ومن حيث كل ما تشتمل عليه من معان ، بل موضع الإلهام فقط المعانى الرئيسية أو الرسمية، وبقية الأفكار والمعانى على حسب الطبائع والأهواء والعادات .

## نظرة فاحصة

٥٢ — عرضنا على القارئ كلام القوم في كتبهم ، وحاولنا ان نكون حاكين ولم نعلق عليها ولم ننقدها ، ولم نثبه الى وهنها ، الا اذا كان ذلك التنبيه قد سبق اليه علماءهم ، والباحثون منهم ، ووجهوا هم النقد اليه ، او كان الأمر من الوضوح بحيث يكون المرور عليه من غير تشبيه الى موضع الضعف يجعل البحث غير متسق ، وبعيدا عن الانسجام الفكرى .

والآن نريد ان ننتقل من النظرة الحاكية المتفاضية الى النظرة الفاحصة الكاشفة ، ولسنا نريد ان نحصى كل اوجه النقد التى وجهت ، فان ذلك يحتاج بيانه الى مجلدات ضخام لكثرتها ، وتعدد نواحيها ، وكثرة دواعيها ، ولكننا نكتفى بايراد بعضها ، ونترك الباقي للاطلاع عليه فى مصانده المسيحية وغير المسيحية :

**ما يجب ان يكون فى الكتاب الدينى من صفات ليكون حجة :**

لأجل ان يكون الكتاب الدينى حجة — يجب الأخذ به على انه شريعة الله ودينه ، ومجموع أوامره ونواهيه ، ومصدر الاعتقاد ، واساس الملة — يجب ان يتوافر فى هذا الكتاب أمور :

**أحدها :** ان يكون الرسول الذى نسب اليه قد علم صدقه بلا ريب ولا شك ، وأن يكون قد دعم ذلك الصديق بمعجزة ، أى بأمر خارق للعادة قد تحدى به المنكرين المكذبين ، وأن يشتهر أمر ذلك التحدى وهذا الاعجاز ، ويتوارثه الناس خلفا عن سلف ، ويتواتر بينهم تواترا لا يكون للإنسان مجال لتكذيبه .

**ثانيها :** الا يكون ذلك الكتاب متناقضا مضطربا يهدم بعضه بعضا ، فلا تتعارض تعليماته ، ولا تتناقض اخباره ، بل يكون كل جزء منه متمما للآخر ومكملا له ، لأن ما يكون عن الله لا يختلف ، ولا يفترق ، ولا يتناقض ، بل ان العقلاء ، فى أقوالهم ، وفى كتبهم ، يتحرون الا يتناقض قولهم ، ولا يختلف تفكيرهم .

**ثالثها :** ان يدعى ذلك الرسول انه أوحى اليه به ، ويدعم ذلك الأدماء

بالبينات الثابتة ، وهى المعجزات التى بعث بها الرسول ، ودعا الى كتابه على اساسها ، ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر ، اويثبت بالكتاب نفسه .

رابعها : ان تكون نسبة الكتاب الى الرسول الذى نسب اليه ثابتة بالطريق القطعى ، بأن يثبت نسبة الكتاب الى الرسول ، بحيث يتلقاه الاخلاف عن الاسلاف ، جيلا بعد جيل من غير اى مظنة للانتحال .

واساس ذلك التواتر ان يروى جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب من جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ، حتى تصل الى الرسول بحيث يسمع كل فرد من الجمع الراوى عن الجمع الذى سبقه ، والذى سبقه كذلك ، حتى يصل الى الرسول الذى أسند اليه الكتاب ، ونسب اليه ، ونزل به الوحي عليه .

### تطبيق هذه الشروط على كتب النصارى :

٥٣ — ان الكتب فى الدين هى اساسه ، فان لم تكن مستوفية الشروط السابقة لم يكن الاطمئنان الى صحتها كمالا ، وتطرق اليها الريب والظن من كل جانب ، وبذلك يتهدم الدين من اساسه ، ويؤتى من قواعده ، ولا يكون شيئا مذكورا فى الاديان ، بل يكون طائفة من اساطير الاولين اكتبها طائفة من الناس ، وادعوا دينا ، ونسبوا لشخص معترف به ، لتروج عند العامة ، وتدخل فى اوهامهم ، ويعتمدون على الزمان فى تمكينها فى نفوسهم وقلوبهم .

وهل الكتب المقدسة عند النصارى سواء اكانت من كتب العهد القديم ام العهد الجديد مستوفية هذه الشروط ، فتكون ملزمة للكافة ؟ .

لا يزعم النصارى ان هذه الكتب كتبها المسيح نفسه ، حتى ننظر فى قوة نسبتها اليه ، ولكن يزعمون ان الذين كتبوها رسل من بعده مبعوثون بها ، يمشرون الناس بما فيها ، فنبحث ، هل هؤلاء رسل حقا وصدقا قد ثبتت رسالتهم بدليل لا مجال للريب فيه ؟ .

لقد قلنا ان الطريق لذلك ان يدعوا هم هذه الرسالة ويثبتوها بمعجزة يجريها الله على ايديهم ، ويتحدوا الناس ليدفعوهم الى الاذعان او ليسجلوا عليهم الكفر بعد ان يقوم الدليل عليهم .

اننا نبحث في مراجعهم فلا نجد مرجعا صحيحا قرر ان هؤلاء ادعوا  
مثل هذه الرسالة ، ودعوا الناس الى الايمان بها ، ومعهم البرهان عليها،  
والدليل القاطن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

نعم قد نجد في رسالة اعمال الرسل ذكرا لاخبار تلاميذ المسيح ،  
وان روح القدس تجلى عليهم ، وانهم كانوا يأتون بأمر خارقة للعادة ،  
وسماهم كاتب تلك الرسالة رسلا، ففيها يذكر ان عدد الاصحاب بعد المسيح  
أحد عشر ، وهم : بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، وأندراوس ، وفيلبس ،  
وثوما ، وبرثلماس ، ومتى ، ويعقوب بن حلفى ، وسمعان الفيور، ويهوذا  
أخو يعقوب ، وان بطرس وقف والتقى في وسط التلاميذ — الذين بلغوا نحو  
عشرين ومائة — خطبة وانهم اتمثلوا جميعا بروح القدس ، وتكلموا بالسنة  
غير ألسنتهم .

ثم يذكر أن بطرس شفى أعرج من عرجه ، ومات من كذب عليه ،  
بعد أن كشف كذبه واختلاسه ، هو وامراته .

ذكر سفر الاعمال هذا وذكر عجائب أتى بها بولس في زعمه في آخر  
ذلك السفر أيضا .

وكذلك نجد في انجيل لوقا انه يذكر ان المسيح ارسل سبعين رجلا  
ليبشروا باسمه ، وانهم عادوا يقولون له : « حتى الشياطين تخضع لنا  
باسمك ، فقال لهم : رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء ، وهاتذا  
أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب ، وكل قوة العدو ، فلا يضركم  
شيء ، ولكن لا تفرحوا بهذا لان الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرى  
ان اسماعكم كتبت في السموات » .

### مناقشة ادعاء الإلهام في سفر الأعمال :

٥٤ — ونريد ان نناقش سفر اعمال الرسل وانجيل لوقا في هذا المقام  
لتعرف منه من هم هؤلاء الرسل ، لم يذكر سفر الاعمال أسماء العشرين  
والمائة الذين ملئوا من روح القدس ، نعم انه ذكر أسماء الحواريين الاحد  
عشر ، وليس منهم من ينسب اليه كتب أو رسائل ، سوى متى وبطرس ،  
ويوحنا ويعقوب ويهوذا .

وقد علمت بعض ما في نسبة انجيل متى ويوحنا اليهما . واما بطرس والباقيون فلهم رسائل ، ولم يكن مفترقا بصحتها هي ورسائل يوحنا الى سنة ٣٦٤ حتى ان مجمع نيقية لم يعترف بصحة نسبتها الى اصحابها . وقد كان سنة ٣٢٥ .

واذا كان سفر الاعمال لم يذكر اسماء العشرين والمائة ، ولم يذكر كذلك انجيل لوقا اسماء ، فكيف تؤمن برسالة رسل لم تعرف أسماؤهم ؟ نعم كانت تذكر بعد ذلك اسماء اشخاص ، ويوصفون بانهم رسل ، ولكن لم يذكر اهم من العشرين والمائة ، ام ليسوا منهم ، وبن المؤكد ان بولس لم يكن في العدد الذي ذكر في الاعمال ، ولا في العدد الذي ذكر في انجيل لوقا .

اذن لا مقنع فيما جاء في سفر الاعمال ، ولا في انجيل لوقا ، لانه لم يذكر اسماء هؤلاء معينين بالاسم . ثم من هو مؤلف سفر الاعمال ؟ قالوا انه لوقا صاحب الانجيل . اذن فالمصدر هو لوقا في الاثنين ، ولوقا قد بينا انه طبيب وقيل انه مصور ، او هو طبيب مصور . فهل هو كان من تلاميذ المسيح او كان من تلاميذ تلاميذه؟ لم يثبت شيء من ذلك، وكل ما ثبت من صلته برجال المسيحية انه كان من اصحاب او تلاميذ بولس ، واذن فروايته عن هؤلاء وعن المسيح ليست رواية من شاهد وعين ، وعلى ذلك يكون السند غير متصل بين لوقا والمسيح ، او تلاميذ المسيح .

### الرسائل غير معروفة :

٥٥ — لم نعرف اذن حقيقة هؤلاء الرسل ، ومن هم بسند صحيح، فضلا عن ان يكون السند قطعيا ، واذا كنا لا نعرف من هم ، فكيف تؤمن لهم بمعجزات ؟ ان المصدر الذي ذكر المعجزات هو نفس المصدر الذي ذكر الرسل من غير ان يبين من هم ، وهو راو لم يعين ولم يشاهد . وعلى ذلك يكون الكلام في الالهام ، وانهم رسل ملهمون لم يثبت بسند يصح الاعتماد عليه، والاطمئنان اليه، وبناء عقيدة تشرق وتغرب على اساسه .

ولكن لا نكاد ننتهي الى النتيجة حتى نجد من مجادلي القوم ، والمنظرين عنهم من يزعمون ان لوقا نفسه ، صاحب سفر الاعمال ، وصاحب الانجيل كان من الرسل الملهمين فهو لا يحتاج الى سند ، لان كل كلامه من الروح القدس الذي ملاه كما ملا اخوانه الرسل ، ولكن اين



معجزته التي تثبت الهامه حتى نصدق كل ما جاء في كتابيه ، ويؤمن مؤمن  
( يحترم الايمان ) بكل ما اشتملا عليه ؟ لم يرد عندهم اى شىء يدل على  
الهام لوقا ، وانه كان من العشرين والمائة الذين القى فيهم بطرس خطبته ،  
وامتلثوا بروح القدس في زعمه ، ولم يكن من السبعين الذين أرسلهم  
المسيح ( كما ذكر في انجيله ) واخضعوا الأرواح واخبرهم ان أسماءهم  
كُتبت في السماء .

ولسنا في ذلك الا مطالبين بان يثبتوا الهام لوقا ، لنصدق بأخباره  
عن الرسل واعمالهم وعن الهامهم ، وامتلأهم بالروح القدس ، واعجازهم .  
لا يوجد أمانا اى دليل يثبتون به الهام لوقا فيما كتب ، حتى كنا نصدق  
في كلامه عن الرسل الذين تجلى عليهم الروح القدس ، وامتلثوا به ، وان  
كنا لا نعرف اشخاصهم ، ولا شيئا عن أسمائهم واعمالهم .

بل لقد وجدنا من كتاب القوم الباحثين من يصرح بان لوقا لم يكن  
من المهتمين ، وان انجيله لم يكن الهاميا ، وبالأولى رسالته لم تكن بالهام ،  
فقد قال من المحدثين ، واطسن في المجلد الرابع من كتابه الالهام ما ترجمته :  
« ان عدم كون تحرير لوقا الهاميا يظهر مما كتب في ديباجة انجيله ونصها :

اذا كان كثيرون قد اخذوا بتأليف قصة في الأمور المستيقنة عندنا  
كما سلمها اليها الذين كانوا منذ البدء معينين ، وخداما للكلمة ، رأيت انها  
ايضا اذ قد تتبعت كل شىء من الاول بتدقيق ان اكتب على التوالى اليك  
أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » .

وبمثل هذا القول من ان ما كتب لوقا ليس بالهامى قال العلماء  
الأقدمون من المسيحيين ، فيقول اريونوس : « ان الأشياء تعلمها من بلغها  
الينا » .

### لوقا صاحب سفر الأعمال لم يكن ملهما :

٥٦ — لم يكن اذن لوقا ملهما ، لانه لا يوجد دليل يثبت الهامه ،  
ولأن مقدمة انجيله كمقدمة رسالته تدل على انه لم يكن ملهما ، ولأن الثقات  
من العلماء الأقدمين والمحدثين يقررون انه لم يكن ملهما فيما كتب ، بل كتب  
ما تعلم ، ولقن ، لا ما أوحى اليه به والهم .

وإذا كانت رسالة الأعمال هي المصدر المثبت لالهام الرسل وامتلثهم  
( م ٦ — محاضرات في النصرانية )

بالروح القدس ، فيكون ذلك المصدر قد فقد صلاحيته للاعتماد عليه ،  
لانه لم يكن متصل السند بين لوقا والتلاميذ والمسيح ، ولان لوقا لم يكن  
ملهما . وهذا كله على فرض صحة نسبة ما اسند الى لوقا ، وفي تلك  
النسخة كلام سنثته في موضعه من بحثنا ان شاء الله .

ليس عندنا اذن دليل نقلى عندهم يثبت رسالة من يسمونهم رسلا ،  
ويثبت معهم انهم كتبوا بالالهام ، حتى يعتبر كلامهم وحيا أوحى به ، ويجب  
تصديقه وقبوله ، ولا نجد من الكتب ما يؤيد هذه الدعوى ويثبتها ،  
بل ان راجعنا هذه الكتابات لا نجد ان كتابها يدعون لأنفسهم انهم رسل ،  
ولا من تلاميذه العشرين والمائة ، ولا من السبعين الذين ذكرهم لوقا .

وقد رأينا بطرس في رسالته يقدمها بأنه رسول يسوع المسيح ،  
ولم يذكر لنفسه وصف الرسالة المطلقة عن الله . ولا نجد في عباراتهم  
ما يدل على انهم كتبوا ما كتبوا بالالهام ، الا رسائل بولس ، فهو الذى  
يذكر في رسالته انه يتكلم عن الله ، وأحيانا يقول انه يتكلم من نفسه .

واذن فلنا ان نقول ان اصحاب هذه الكتب والرسائل لا يدعون  
لأنفسهم الرسالة والالهام الا بولس الذى كانت صلته بالمسيحية  
على ما علمتم ، وليس في كتبها ما يشهد له بالرسالة والالهام ، بله الايمان  
الاسفر الأعمال، وقد علمت قوة الاستدلال به، والاعتماد عليه في الاحتجاج  
والاثبات .

### دعوى الالهام ليست محل اجماع المسيحيين :

٥٧ — وفي الحق ان دعوى الهام الرسل في كل ما كتبوا لم تكن محل

اجماع من كتاب المسيحيين في القديم والحديث ، فطائفة من علماء انجلترا  
قالوا في مؤلف كتبه (١) ان الذين قالوا ان كل قول مندرج في الكتب المقدسة  
الهامى لا يقدر ان يثبتوا دعواهم بسهولة ، ثم قالوا : « ان سالنا احد  
على سبيل التحقيق أى جزء تعتبرون من العهد الجديد الهاميا ، قلنا  
المسائل ، والاحكام ، والأخبار بالحوادث الآتية التى هى أصل الملة  
المسيحية — لا ينفك الالهام عنها . واما الحالات الأخرى فكان حفظ  
الحواريين كائنا ليانها » .

(١) اليسائى كويديا برتنيكا .

وترى من هذا ان بعض العلماء لا يرون ان كل ما في كتب العهد الجديد الهامى ، بل منه الالهامى وغير الالهامى .

ولكن هناك من يقول : انه يشك في اصل الالهام فيها ، فهذا عالم مسيحي يقال له ريس يقول ناقلا حاكيا بعض اقوال المتقدمين : « ان الناس قد تكلموا في كون الكتب المقدسة الهامية ، وقالوا انه يوجد في اعمال مؤلفى هذه الكتب واقوالهم اغلاط ، واختلافات ، فمثلا اذا قولت الايات ١٩ ، ٢٠ من الاصحاح العاشر من متى و ١١ من الاصحاح الثالث عشر من انجيل مرقس اذا قولت هذه الايات بالآيات الست التى في سفر الاعمال في اصحاحه الثالث والعشرين يظهر ذلك الاختلاف جليا . وقيل ايضا ان الحواريين ما كان يرى بعضهم بعضا صاحب وحى ، كما يظهر هذا من مباحثهم في محفل اورشليم ، ومن الزام بولس لبطرس ، وقيل ايضا ان المسيحيين القدماء ما كانوا يعتقدونهم منزهين عن الخطا ، لانهم في بعض الاوقات تعرضوا له » .

ولقد قطع بعض العلماء بان بعض هذه الكتب ليس من الالهام في شيء . فانجيل متى على قول القدماء من المسيحيين ، وقول جمهور المتأخرين الذين قالوا انه كتب باللسان العبرانى كما اسلفنا من القول ، قد قالوا ان اصله فقد ، وترجمته ليست بالالهام .

ويقول استاذلن وغيره ان انجيل يوحنا ليس بالهام ، وجميع رسائل يوحنا ليست بالهام على راي فرقة لوجين ، وكذلك الرسالة الثانية لبطرس ، ورسالة يهوذا ، ورسالة يعقوب ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورؤياه النبوى — كل ذلك عند الاكثريين ليس بالهام ، وكان كذلك الى سنة ٣٩٣ ميلادية » .

### دعوى الالهام باطلة ومن يدعيها :

٥٨ — ومهما يكن اختلافهم بالنسبة لكونها ملهمة كلها او بعضها ، وطريق الالهام ، فادعاء الالهام على فرض اتفاقهم عليه ليس له من البيّنات ما يثبت ، ولا من الأدلة ما يقيم ادعاءه ، ونحن نطالبهم بالدليل .

وكان يصح لنا ان نقف موقف المانع منعا مجردا ، نطالبهم بالدليل حتى يقيموه ، ولكن تنبيها للبحث وتعريفا للحقائق نثبت ان دعوى الالهام

باطلة من أساسها ، ليس لعدم اقامة الدليل عليها ، بل لان البيئات قائمة ضدها ، ذلك لأنها لو كانت بالهام من الله كما يقولون لكانت صادقة في كل ما أخبرت به ، وما وجد الباطل منفذا ينفذ منه اليها ، ولم يكن ثمرة محل لتكذيبها ، ولكانت متفتحة غير مختلفة ، ولم تكن متضاربة بأى نوع من أنواع التضارب ، وذلك لوحدة من صدرت عنه ، لأنها جميعا صادرة عن واحد ، وان اختلف الناطقون بها ، ولكننا وجدنا بينها اختلافات من أوجه عدة ، ووجدنا فيها أخبارا تناقض ما علم في التاريخ وكان مشهورا فيه ، ولانذكر بعض هذه الأمور على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر .

### التضارب بين كتب العهد الجديد :

( ١ ) أول ما يلتأك من أوجه اختلاف الأناجيل في الأمر الواحد الذى لا يقبل الا حقيقة واحدة . اختلاف أنجيل متى عن انجيل لوقا في نسب المسيح ، فان من يقابل بين نسب يوسف النجار متبنى المسيح في الأناجيل يجد الاختلاف من ستة أوجه ذكرها الشيخ رحمة الله الهندى في كتابه اظهر الحق فقال :

١ — فى متى أن يوسف بن يعقوب ، وفى لوقا أنه ابن هالى .

٢ — يعلم من متى أن عيسى من اولاد سايمان بن داود عليهم السلام ومن لوقا أنه من اولاد ناثان بن داود .

٣ — يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود الى جلاء بابل سلاطين مشهورون ، ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان .

٤ — يعلم من متى أن سلتائيل بن بكينا ، ومن لوقا أن سلتائيل ابن نيرى .

٥ — يعلم من متى أن اسم ابن زربايل أبيهود ، ومن لوقا أن اسمه ريسا .

والعجب أن أسماء بنى زربايل مكتوبة فى الباب الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام من كتب العهد القديم . وليس فيها أبيهود ولا ريسا فكل منهما غلط .

٦ - من داود الى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلا  
على ما بين متى ، وواحد وأربعون جيلا على ما ذكر لوقا .

هذه أوجه اختلاف ستة في نسب المسيح عليه السلام وهو نسب  
يوسف النجار ، الذي كان رجل مريم كما تذكر الأناجيل ، وهذا الاختلاف  
الذي يعترف به المسيحيون ، ولا يجدون مناصا من الاقرار به يدل  
على أمرين :

أحدهما : ان أحد الانجيليين لم يكن بالهام بيتين ، اذا فرضنا  
ان احدهما صادق والآخر كاذب ، فالكاذب لا شك لم يكن بالهام ، والا كان  
الاله الذي أوحى به كاذبا ، وذلك لا يليق بحسب بدهاة العقل ، ولما كان  
الصحيح منهما غير متعين فاشك يرد على الاثنين ، حتى يثبت الصحيح ،  
ويقوم الدليل على صدقه دون الآخر ، ومع هذا الشك لا يمكن الاعتقاد  
بان ثمة الهاما ، لان الشك ان اعترى الأصل زال الاعتقاد .

ثانيهما : ان انجيل متى لم يكن معروفا لوقا ، أي أنه لم يكن متدارسا  
معروفا لدى العلماء في المسيحية . مع ان تدوين انجيل متى يسبق تدوين  
انجيل لوقا بأكثر من عشرين سنة على ما عليه جمهورهم ، ولو كان لوقا  
يعرفه لراجعه ، وما وقع في الخطأ الذي وقع فيه ، أو على الأقل ما خالفه ،  
وإذا لم يكن معروفا لدى علماء المسيحية ، وحوارييها ورسليها ، فلا بد  
انه لم يكن معروفا قط ، أو بعبارة أصرح ، ربما لم يكن موجودا قط .

ولا مناص من هذا الا ان نقول ان لوقا كان يعرفه ، واطلع على  
حديث النسب فيه ، وخالفه على بينة منه ، لأنه لم يصدقه ، وعلى ذلك  
لا يكون لوقا معترفا برسالة متى ، والايحاء اليه ، وان ما كتبه لا يأتيه  
بالباطل من بين يديه ولا من خلفه والا ما خالفه مع علمه .

وخلاصة القول في ذلك ان تلك المخالفة تنتج احدي اثنتين : أما  
الا يكون انجيل متى معروفا للرسول لوقا ، وذلك يقتضى الا يكون  
موجودا . واما ان يكون موجودا يعرفه لوقا ، ولكن لا يعترف به مصدرا  
صادق الرواية . واحدي التوضيحين لازمة حتما ، ولكن لا يعترف  
المسيحيون بكتبيهما .

(ب) ونجد في الاصحاح الخامس عشر من انجيل متى انه بعد مناقشة الفريسيين تقدمت اليه امرأة ، ابنتها مريضة بالجنون تطلب شفاءها ، ونص الخبر كما جاء في ذلك الاصحاح : « ثم خرج يسوع من هناك ، وانصرف الى نواحي صور صيدا . واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة : ارحمنى يا سيدى يا ابن داود ، ابنتى مجنونة جدا ، فلم يجيبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين : اصرفها ، لانها تصيح وراعنا » . وتجئ هذه القصة في الاصحاح الثامن من انجيل مرقس بالنص الآتى : « ثم قام من هناك ، ومضى الى تخوم صور وصيدا ، ودخل بيتا وهو يريد الا يعلم به احد ، فلم يقدر ان يخفى لان امرأة كان بابنتها روح نجس سمعت به ، فأتت وخرت عند قدميه ، وكانت المرأة أممية وفي جنسيتها فينيقية سورية » .

ففى هذا النص يبين جنس المرأة بأنها فينيقية سورية ، وانها أممية ليست من اليهود ، وفي الأولى توصف بأنها كنعانية أى ليست فينيقية ، فأيهما الأخرى بالقبول ؟ لا شك انه لا يمكن ان تكون الروايتان صادقتين معا ، بل لا بد أن تكون احدهما كاذبة وليست بالهام من الله ، لأن الله لا يكذب ، واذا كانت احدهما ليست صادقة بيقين ، وكاذبة بيقين ، ولم يدر ايتها الكاذبة المفتراة ، فالثك ان ملازم الاثنتين لا ينفصل عنهما ، حتى نتبين الصدق من الكذب ، ولا سبيل الى ذلك ، ولا يمكن ان تثبت لأيهما الهاما مع هذا الشك الملازم الذى لا سبيل الى ازالته .

(ج) وقد اختلف خبر القبض على المسيح لمحاكمته فى متى عن يوحنا ، فعلى متى جاء فى ذلك بالاصحاح السادس والعشرين ما نصه : وفيما هو يتكلم ، واذا يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ، ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا : « الذى اقبله هو امسكوه فللوقت تقدم الى يسوع ؟ وقال السلام ياسيدى وقبله ، فقال يسوع يا صاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا ، والقوا الأيادى على يسوع وامسكوه » هذا ما جاء فى متى ، وجاء فى يوحنا فى هذا المقام ما نصه : « فأخذ يهوذا الجند وخراما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع ، وهو عالم بكل ما يأتى ، وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى ،

قال لهم : انى انا هو ، وكان يهوذا مسلطه ايضا واقفا معهم ، فلما قال لهم انى انا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ، فسألهم ايضا من تطلبون ؟ فقالوا يسوع الناصرى ، اجاب يسوع قد قلت لكم : انى انا هو ، فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ليتم القول الذى قاله : ان الذين اعطيتنى لم اهلك احدا .

وترى هنا اختلافا بينا بين الروايتين ، فمتى يقول : ان يهوذا هو الذى اعلمهم بالمسيح بالعلامة التى اتفق معهم عليها ، وهى تقبيله ، ويوحنا يقول : ان المسيح هو الذى قدم نفسه وكفى يهوذا مؤونة التعريف ، ولا شك ان ذلك الاختلاف البين فى رواية حادثة واحدة يجعل احدى الروايتين كاذبة والثانية صادقة ، والكاذبة ليست بالهام ، فاحداهما ليست بالهام ، ولا سبيل الى معرفتها فيثبت الشك فى الروايتين .

وفى الحق ان من يراجع الاناجيل فى خبرها عن القبض على المسيح وحبسه ، ثم محاكمته وصلبه فى زعم النصارى ، ثم قيامته من قبره ، يجد الاختلاف فى اخبارها اختلافا بينا ، ولو كان بعض هذا الاختلاف فى شهادة اثنين يشهدان فى درهم ما ثبتت بشهادتهما دعوى ، ولا انتصر بها حق .

ولتراجع الاناجيل فى هذا المقام لتعرف مقدار الصحة فى خبرها ، ولتعرف مقدار ما فى دعوى الالهام لكاتبها عند كتابتها من حق ، فلا شك ان ذلك الاختلاف الذى لا يمكن التوفيق بين متناقضه يؤدى الى ان تلك الاناجيل ياتيها الشك من كل جانب ، ياتيها من بين يديها ، ومن خلفها ، فلا يمكن ان تكون الهاما من حكيم حميد .

وان ذلك الاختلاف فيما احاط بمسألة الصلب — فوق انه يفقد الثقة بالاناجيل ، هو ايضا يجعل خبر الصلب عند القارئ الخالى الذهن الذى لم يكن فى ذهنه قبل القراءة ما ينفيه او يثبت موضع الشك الذى يرجح فيه الرد على القبول ، والتكذيب على التصديق .

( د ) وفى موت يهوذا الذى خان المسيح على زعمهم ، اختلفت رواية متى عن رواية لوقا فى سفر اعمال الرسل . فمتى يقول : انه خنق نفسه ومات ، كما جاء فى الاصحاح السابع والعشرين .

ولوقا يقول في سفر الأعمال : انه خر على وجهه ، وانشق بطنه ، فانسكبت أحشاؤه كلها ومات .

ولا شك أن بين الروایتين اختلافا ، لان الموت بالخنق غير الموت بشق البطن ، ولا بد أن تكون احداهما على الاقل كاذبة . ولكنها غير معلومة ، فيتطرق الشك الى الأخرى فمردان معا ، ولا يمكن أن تكونا بالهام أو لا يمكن مع ذلك الشك الايمان بأن كليهما بالهام .

( هـ ) قد اشتمل بعض هذه الكتب على أخبار لو صحت لكانت معلومة مشهورة في التاريخ يعرفها الخاص والعام ، ولدونها كتب التاريخ على أنها حوادث مفردة عجيبة في الدهر . ولكن لم يرد لها ذكر في التاريخ ، ولم يعرف الناس أمرها الا من تلك الكتب .

هذا متى يقول عند صلب المسيح وقيامته : فصرخ يسوع بصوت عظيم وانسلم الروح ، واذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين من فوق الى أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من اجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين . وأما قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة ، وما كان ، خافوا جدا ، وقالوا : حقا كان هذا ابن الله .

وهذه حادثة عظيمة لو صحت لدونها التاريخ العام الذي لم يشر الى المسيح بكلمة ، ولو صحت أيضا لآمن الرومان واليهود ، الصخور تتشقق ، والأرض تزلزل ، والأموات ينشرون ، ويسرون على الأرض ، ويراهم الكثيرون ، ويبقى بعد ذلك مساغ لانكار ، ولكن لم ترد أخبار ايمان أحد من اليهود على اثر تلك البيئات الباهرات .

ولقد جزم العلامة المسيحي نورتن بكذب هذه الحكاية ، وقال في تكذيبها : « هذه الحكاية كاذبة والغالب أن امثال هذه الحكاية كانت رائجة في اليهود بعد خراب اورشليم ، فعمل أحدا كتب هذه الحكاية في النسخة العبرانية ، وانقلها الكتاب في المتن ، وهذا المتن في يد المترجم فترجمها كما وجدها » .

ونقول : لعل كثيرا مما في المتن أصله في الحاشية ثم نقل خطأ في المتن ، وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يكون هذا الكتاب وأشباهه مصدرا



لاعتقاد جازم ، وايمان بدين ، وكيف يزعم زاعم ان هذا الكتاب بحواشيه الدخيلة غير المعلومة من منته الأصيل ، هو بالهام من الله العلي القدير ! ولكن في العالم عقول تقبل ذلك .

بيد انه من الانصاف لهذه العقول ان نقول : انهم يقيمون غواشي تمتع ثورها ان يكشف عن موضع الضعف فيها فهي لا تقبله على نور وبينة ، وسلطان مبين .

٥٩ - هذه بعض المتناقضات بين هذه الكتب بعضها مع بعض وبعض مناقضتها للعقل والمدون في التاريخ ، وانا نحيل القارئ في هذا المقام الى كتاب اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي : فقد اتى بأكثر من مائة اختلاف بين هذه الكتب ، وجبه بها مناظره ، فلم يحروا جوابا ، ولم يستطيعوا خطابا ، ولسنا نريد ان ننقلها بمرمتها منه فليرجع القارئ اليه ، فسيجد الغريب .

**التناقض بينها يبطل ادعاء الالهام وبيان انكارهم لبعضها ثم اعترافهم به:**

وإذا كانت هذه الكتب متناقضة متضاربة يلحق الكذب كلها في جملتها وأجزائها عند مناقشتها فهي اذن ليست بالهام ، ويكفي هذا بطلانا لمدعاهم في الالهام .

وان نسبة هذه الكتب الى من نسبت اليهم على ما فيها ، وعلى انها في ذاتها ليست حجة ، هي موضع شك كثير ، فانه ليس لهم سند متصل يصل هذه الكتب في أقدم العصور التي عرفت فيها - بالكاتبين لها ، فهي لم تعرف معرفة كاملة قبل مجمع نيقية الذي كان في سنة ٣٢٥ ، ولم يجيء ذكر لها قبل ذلك الا على لسان ارينيوس سنة ٢٠٠ وكليمنس سنة ٢١٦ .

بل ان مجمع نيقية لم يعترف بكثير منها ، فان ذلك المجمع لم يعترف بها يأتي :

١ - برسالة بولس الى العبرانيين .

٢ - ورسالة بطرس الثانية .

- ٣ ، ٤ — رسالة يوحنا الثانية والثالثة .
- ٥ — رسالة يعقوب .
- ٦ — رسالة يهوذا .
- ٧ — ورؤيا يوحنا التي تسمى « الكتاب النبوى » ولم يحكم بصحة هذه الكتب الا في مجمع لوديسيا سنة ٣٦٤ .

### انقطاع السند في نسبتها لكتابتها :

فقبل سنة ٣٦٤ لم يعترف بصحة هذه الرسائل السبع ، وقبل سنة ٣٢٥ لم تكن الكتب كلها معروفة او مختصة بذلك التقديس . وآخر كتاب من هذه الكتب كتب في القرن الاول ، فبين آخر كتبهم تدوينا في زعمهم ، ومعرفته والاعتراف به أكثر من خمس وعشرين سنة ومائتين لا راوى يرويها ، وقد وقع بهم من الأحداث في هذه المدة ما يذهب باللب ويضيع الرشد ، وينسى المرء معه كل شيء ، وان الكتب نفسها لم تسلم من الاضطهاد . فقد اصدر احد اباطرة الروم سنة ٣٠٣ أمرا بهدم الكنائس واحراق الكتب ، وعدم اجتماع المسيحيين لاداء عباداتهم ، فنفذ الولاة الأمر ، فهدموا الكنائس ، وحرقوا الكتب ، واتوا على كل ما للمسيحيين من بيوت عبادة وكتب ، هدموا وتحرقوا ، ومن سبق الى ظنهم انه احصى كتابا عذبه عذابا شديدا ، حتى يعلنه فيحرق .

ومن قبل ومن بعد انزلوا البلاء بعلمائهم ، فما تركوا عالما منهم بالديانة الا قتلوه ، وكان الولاة يتفننون في طرق اباداة المسيحية من الوجوه ، ابادوا العلماء حتى لا يوجد من يرشد اليها ، ويتوارث العلم بها . وبادوا الكتب حتى لا تحفظ تلك الديانة في الصدور او السطور .

ولا شك أن ذلك الاضطهاد الذى دام الى صدر القرن الرابع يجعل الكتب التى رويت قبل ذلك موضع شك في نسبتها الى قائلها ، حتى يقوم دليل على صحة تلك النسبة ، ولم يقيموا اى دليل ، لأن السند منقطع بينها وبين من تنسب اليهم ، والحبيل بينهم وبينها غير متصل بأوهى انواع الاتصال ، لأن السند المتصل الذى يطمئن معه القارىء لكتاب ، فيغلب على ظنه انه صادق النسبة لمن نسب اليه ، هو أن يروى ثقة عن ثقة مثله حتى يصل السند الى من لقي المؤلف فيقول : سمعته منه ، أو تلقيته عنه ،

أو قرأته عليه كما ترى في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويكون كل راو من تلك السلسلة المتصلة حلقاتها عدلا ثقة ، ضابطا حافظا ، وإذا كان السند غير متصل بين نيوخ هذه الكتب واشتهارها ، وبين قائلها ، فقد ذاعت بعد سنة ٣٦٤ ، ومن نسبت اليهم كتابتها كانوا في وسط وآخر القرن الاول ، فالعقل يتشكك في هذه النسبة ، ولا يثبت مع الشك كتاب يكون حجة لديانة .

هذه كتبهم ، اعتقدوا أنها كتبت بالهام من كتابها ، ولم يقيموا أى دليل على دعوى الالهام ، وبدراسة يتبين التناقض بينها ، مما يثبت أنها ليست بالهام من الله ، وبدراسة تاريخها يثبت أنها منقطعمة السند عن نسبت اليهم .

### موازنة قس بين احاديث الرسول وكتبهم من حيث الرواية :

٦٠ - ولقد جرؤ قس اسمه ابراهيم سعيد في شرحة لانجيل لوقا ، معتقد موازنة بين روايته ، ورواية احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ان الذى يطالع ديباجة بشارة لوقا يستعيد الى ذاكرته ديباجة الاحاديث في الاسلام ، غير انه اذا تشابهت الديباجتان في بعض الأوجه ، فان اوجه الخلاف تفوق بكثير اوجه الشبه ، فمن اوجه الشبه : ( ١ ) ان بشارة لوقا والاحاديث كلاهما ترجمة حياة ، وأقوال مؤسس لدين واسع الانتشار .

( ب ) ان الذين كتبوها أخذوها عن أقوال مسلمة اليهم . الى هنا فقط تنتهى اوجه الشبه ، أو تبدىء زاوية الانفراج تتسع الى ان تختفى خطوطها مع رسوم الأبد .

( ١ ) فالاحاديث النبوية كتبها أناس أخذوها عن أناس آخرين ، وهؤلاء الآخرون أخذوها عن التابعين ، وهؤلاء أخذوها عن الصحابة ، والتبر متى تنقل بين الأيدى الكثيرة امتزج بكثير من التراب ، أن لم يتحول ترابا ، ولكن لوقا أخذها عن شهود هيان ممن راوا المسيح ، وخدموا انجيله .

( ب ) نقلت الاحاديث النبوية عن رواة ، وما آفة الاخبار الا رواتها ، لكن سيرة المسيح سجلها مؤرخون محققون للأمور المتيقنة عندهم .

( ج ) كانت مهمة كتبة سيرة نبي الاسلام جمع الأحاديث وتكديسها ، لكي يظفروا بأكبر عدد ممكن ، وكانت مهمة لوقا التمهيد العلمي ، إذ كان هرطيبا عمليا ، عليا دقيقا .

بيان ما في كلامه من زيف :

٦٩ - هذا نص ما كتبه ذلك القس في الموازنة بين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وانجيل لوقا ، ونحن نقره في أن أوجه الاختلاف تفرج زاويتها ، حتى لا يتلاقى المتشابهان بعدها ، وإن شئت الحق الخالص من كل تويه ، والصدق الخالي من كل تزوير فقل أنه لا تشابه بينهما ، كخطين متوازيين لم يتلاقيا ، ولن يتلاقيا قط .

ولكن اذلك الاختلاف يعلى الأحاديث لم يعلى البشارة المنسوبة للوقا ؟ هنا نختلف مع القس . فهو يزعم أن ذلك الاختلاف يعلى بشارة لوقا ، ويفقد الثقة أحاديث الرسول ، وهو لكي يؤيد هذا الزعم يأتي بالمحاسن فيسميها مساوئ ، ويعرض لما يوجب الثقة ، فيزعمه دليل نقيضها ، وهو في هذا كمن يزعم قبح الشمس في نورها الرائع ، وضوئها الساطع ، وقبح القمر في صفائه ، وأنبلاجيه في ظلمة الليل البهيم ، ثم يستعين في تقبيح المحاسن الى التشبيهات والأخيلة والرموز ، كشأن الموهين دائما ، عندما يحاولون طمس المعتول ورد المتبول . ومعارضة ما تنتجه بدائه المعتول ، والمنطق المستقيم .

يقول أن الأحاديث كتبها ناس عن ناس حتى يصلوا الى التابعين ، فالصحابية ، وبشارة لوقا أخذها عن شهود عاينوا ، ويرى أن رواية بشارة لوقا هي للمثلى ، ورواية الأحاديث ليست للمثلى . ويستدل على ذلك بأن التبر متى تنقل بين الأيدي امتزج بالتراب أو تحول الى تراب ، فأى دليل هذا ؟ ومن أى أبواب الأئيسة المنطقية ، ومن أى أشكالها ؟ أن ذلك ليس من المنطق في شيء ، ولا يمت اليه بنسب ، بل لا نستطيع أن نقول أن ذلك قياس خطابي ، لأن الأئيسة الخطابية ، وإن كانت ظنية لا تناقض العقل ، ولا تكذب على البدائه ، ولكننا مع ذلك نناقش ذلك الاستدلال .

إن أحاديث الرسول رويت بسند متصل ، وذلك عيبها في زعم هذا الكتاب ، وبشارة لوقا لم ترو بسند متصل ، وذلك حسننها ، وإذا قال لك

قائل : أين ما تثبت به أنه روى عن شهود عاينوا ، ومن هم هؤلاء الذين عاينوا وأخبروه ؟ ولماذا لم يتولوا هم القديون ، وهم أولى بذلك ، وكلامهم أحرى بالتصديق ؟ فلا جواب عنده بلا ريب .

فأيتها العقول المستقيمة ، أي الخبرين أحرى بالقبول ، خبر من ذكر أنه روى عن فلان العنبل المعروف بالصدق والتقوى ، وعينه ، وعدالته مشهورة ، وصدقه معروف . أم خبر من ذكر لك أنه روى عن عاين ولم يبين من هو ، ولم يخبر عنه ؟ فلم نعرف أهو ثقة مقبول الرواية أم هو غير ثقة كيهودا الاسخريوطى ؟ ان أقصى ما يقال هو أن لوقا نقل عن بولس ، لأنه كان رفيقا له في بعض أسفاره ، ولكن بولس نفسه لم يكن من تلاميذ المسيح الذين عاينوا وشاهدوا بل كان في صدر حياته حربا عليهم والبا ، اذاتهم البلاء أكوسا ، والشر ألوانا ، فهو راو يحتاج الى من يوثقه ، ان ادعى أن لوقا روى عنه ، وذلك ما لم يقله حضرة القس .

ولنتقل الى مناقشة تشبيه الذي ذكره دليلا : ان التبر اذا انتقل الى أيد تستطيع صيانتته وحياطته — تحفظه من التراب ، وتصونه من الاختلاط به وتمييط عنه كل ما يخالط جوهره ، فيزداد بهذا الحفظ بريقا وصفاء ، ان احاديث الرسول نقلها ثقات صاتوها وحفظوها ، ولكن يظهر أن القس يابى في مناقشته الا ان يخالف كل معقول ، حتى يكون كل كلامه متققا مع الباعث عليه والداعى اليه ، فيزعم أن التبر قد يتحول الى تراب اذا تناقلته الأيدى .

فأيها الناس ، وأيها العرب والعجم ، وأيها الشرق ، وأيها الغرب هل علمتم أن الذهب يتحول الى تراب ، ولكن القس المرشد الرشيد يقول ذلك فصدتوه وكذبوا العقل والحس والمشاهدة .

ثم من الذى روى لنا تلك البشارة عن لوقا ؟ ان السند يجب ان يكون معروفا حتى لوقا ، قبل ان نتعرف النسبة بين لوقا والمسيح ، ان بشارة لوقا كتبت كما يزعم النصارى في العشرة السابعة بعد المسيح من غير أن يعينوا الزمن تعيينا دقيقا ، ولكن لم يرد في التاريخ ، ولا على السنة الرؤساء والقسيسين أى ذكر لها الى سنة ٢٠٠ ثم ذكرت الانجيل الاربعة على لسان اثنين من العلماء فقط من سنة ٢٠٠ الى سنة ٣٢٥ ، ولم نعرف هذه الانجيل المدونة المسطورة الآن هي التي جاء نكرها على لسان

علمين من علمائهم في فترة من التاريخ قدرها خمس وعشرون سنة وثلاثمائة ، وهي فترة طويلة .

ولكن مع كل هذا يستحسن القس ابراهيم سعيد تلك الحال ، فقد زينت له فراها الامر الحسن الجدير بالثقة . ورأى غيرها الامر القبيح الجدير بالرد . وهل نطالب ذا رمد أن يفتح عينيه في ضوء الشمس ، أو نطالب من فقد حاسة الشم أن يدرك أريج الزهر ، وعرف الطيب ، أو نطالب من أفتت منه المشاعر أن يكون صادق الحس دقيق الشعور .

٦٢ - ولننتقل الى الفرق الثانی الذي ذكره معليا لبشارته ، ومنزلا بأحاديث نبينا عليه الصلاة والسلام يقول : نقلت الأحاديث عن طريق رواة ، وما آفة الأخبار الا رواتها ، أما سيرة المسيح فقد سجلها مؤرخون محققون للأمر المتيقنة عندهم .

هذا ما ذكره بنصه تقريبا ، وهو يبين لرجحية أخبار أناجيله عن سيرة المسيح بأنها رواها التاريخ ، أما عن السنة فرواية رواة ، وآفة الأخبار رواها ، ولا نريد مناقشة تلك الكلمة العامية التافهة « آفة الأخبار رواها » فانها لا تصلح مقدمة لدليل علمي ، ولو أن طالبا ممن تلقوا العلم علينا قالها لعركنا أذنه ولسررنا اليه أن رواة الاخبار الذين هم آفاتنا انما هم الكاذبون . أما الصادقون العادلون ، فليسوا آفاتنا بل حملتها ، والا ما صحت شهادة ، ولا قبل القضاء بينات ، ولا ثبتت حقوق ، ولا أدين متهم ، ولا برىء برىء .

ثم يقول ان أناجيله سجلها مؤرخون محققون ، فكيف نسميهم ؟ ارواة رووا عن غيرهم ؟ ان كانوا كذلك ، فقد سجل على سيرته ما عده قبيحا عند غيره ، وان كانوا مؤرخين لم يتعرفوه بطريق الرواية ، بل بالنقش على الأحجار ، أو فيما استبطنته بطون الآثار ، فأى اثر هذا وجدوا تلك الأناجيل منقوشة عليه ، ومدونة فيه ، واثبت التحقيق العلمي أنها ترجع الى عصر المسيح ، وانه هو الذي ألقاها ، أو ان تلاميذه دونوها عنه ؟ .

ان أخبار التاريخ ثبتت بأحد أمرين ، اما بالرواة يروون ، أو بالآثار يتقنون فيها ، ويتعرفونها منها ، لم تثبت الأناجيل بواحد من الأمرين ، فليست ثمة رواية لها ولا رواة ، وهم ينزهونها عن ذلك ، ولا آثار تنطق

بها ، وتعلن خبرها فهي اذن يرفضها التاريخ ، ولا يمكن ان يسجلها مؤرخون محققون قط ، وان التاريخ لا يعرف لها ذكرا الا من مجمع نيقية أو بعده . فهي مسندة الى ثمانية عشر وثلاثمائة اجتمعوا في نيقية ، وليست محقة النسبة لغيرهم بل بعضها ليس محقق النسبة عندهم ، وبين هؤلاء وبين المسيح خمس وعشرون سنة وثلاثمائة ١١ وبعد هؤلاء المجتمعين تنقلها الرواة عنهم ، وان اغضب ذلك حضرة القس ، وان ذلك المجمع لنا فيه كلام ، سنقوله في موضعه .

٦٣ — ولنتقل الى مناقشة الفرق الثالث الذي ظنه رافعا مؤرخيه الى مرتبة الثقة ، يقول : كما كانت مهمة كتبة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الجمع ، ليظفروا بأكبر عدد من الأحاديث . أما مهمة لوقا ، فقد كانت التحقيق والتحصيل ، وهنا نرى القس اخذ يجد بعد الهزل ، ويقول بعد الهذر ، ولكنه اذ ابتداء يجد قد كذب واعظم الفرية على احاديث نبينا ، وادعى على بشارة لوقا ما ليس فيها ، فاي تحقيق علمي فيها ، وأي تمحيص اشتملت عليه ؟ انها لا تفرق عن غيرها من حيث اشتمالها على امور غريبة ، واشياء عجيبة ، ولم يبين لنا رايه فيها ، بل كان قاصا ككل القصص ، ولا يرفعها انه كان طبيبا ، لأن نسبتها اليه موضع شك كبير ، ولم يتفق الكتاب على شخصه كما بينا ، ولم يتفقوا على أنه كان طبيبا ، بل منهم من قال انه كان مصورا ، وعلى ذلك تكون دعواه التمحيص في بشارة لوقا لا تؤيدها ما دون فيها ، ولا تؤيدها نسبتها الى لوقا .

ولنتقل بعد ذلك الى رد افتراءه ، وكذبه على احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فان المطلع على اخبار رواتها العذول ، وما كتب في صحاحهم يتبين له انهم ما كان همهم الجمع ، بل كان همهم التنقيب والبحث فانهم ما كانوا يروون كل ما يتلقون ، بل يختارون الصادق ما يتلقون ، وان الذي يرفضون كان اضعاف ما يقبلون وينقلون ، لأنهم كانوا يتحرون الصدق ل يتميز الخبيث من الطيب ، وان الصحابة كانوا يتهمون من يكثر من الرواية خشية ان يخبر عن الرسول بغير ما رأى وشاهد ، فكيف يقول ذلك الرجل على غير علم ، أو محرفا الكلم عن مواضعه : « ان رواية الاحاديث كان همهم الجمع » ، كلا انهم كانوا ينفذون ما يروون ، ينفذون السند أولا ، فلا يقبلون الا من الرواة الذين اشتهر صدقهم وضبطهم واهمهم

لما يحملون ويروون ، وينقدون متن الحديث : فيعرضونه على الكتاب وما اشتهر من السنة واستناضت به الاخبار ، وما علم من هذا الدين بالضرورة فان لم يخالفها بعد ان روى بسند متصل مكون من عدول كان مقبولا ، والا كان مردودا ، ونريد ان نهمس في اذن حضرة القس الرشيد بان من اسباب ردهم لبعض الاحاديث ورفض نسبتها الى الرسول عليه الصلاة والسلام — عدم موافقتها للعقل ، فهل له ان يطبق ذلك النقد على اناجيله ورسائله ؟ انا ننصح له ان يفعل ، لانا نريد له الهدى ، لا الضلال ، والرشد لا الغى ، وهى نية نحسبها عند الله .

### نظرة في الوحي في الاسلام والوحي في المسيحية :

٦٤ — نريد ان نختم مناقشتنا لذلك التيسيس بمناقشة كلمة ذكرها : وهى المتفرقة بين الوحي في الاسلام والوحي في المسيحية . فيقول عن الوحي في الاسلام : « ان الوحي في الاسلام هو التجرد عن كل شيء انساني ، وتلاوة ما يسمونه اللوح المحفوظ ، ولكن الوحي في المسيحية يجمع بين العنصر البشرى والعنصر الالهى ، اى الملهات الالهية تتجسد في لباس لغوى بشرى ، لتكون مفهومة لدى الناس الذين تبلغ اليهم ، فالكلمة المعلنة المكتوبة في الانجيل هى رمز لكلمة الله ، الوحي المعلن لنا حق الله .

من اجل هذا يعتقد المسيحيون ان الوحي بالروح القدس لا يحرم على الوحي اليهم استخدام الوسائل البشرية الاجتهادية الممكنة لديهم ولا يرفع عن الكاتب مسئولية الاجتهاد ، والتحقيق والتدقيق ، هذا بخلاف الاعلانات المحتوى عليها كتاب الوحي التى لا تتدخل فيها مواهب الكاتب الطبيعية ، بل هى من الله اولا وآخرا ، كالنبوات المتفرقة في كل اجزاء الكتاب المقدس ، وسفر الرؤيا .

### معنى الوحي :

هذه كلمته ، ونريد قبل ان نتعرف من تلك الكلمة معنى الوحي في كتبهم ان نسارع الى بيان وحى الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في الاسلام فنقول : ان وحى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قسمان : قسم يوحى به على انه كلام الله تعالت كلماته ، ولهذا يكون المعنى والتعبير لله جلت قدرته ، وذلك كما في القرآن الكريم الذى نزل به الروح الامين .



القسم الثاني ، الأمور الشرعية التي كان يوحى الله بها الى النبي صلى الله عليه وسلم ليبينها للناس ، فالمعنى فيها بوحى من الله تعالى والعبارة فيها للنبي صلى الله عليه وسلم .

واذن فكلامه عن الوحي في الاسلام لم يكن صحيحا في عمومه ، وكان عليه ان يتحرى قبل ان يكتب ، ولكنه لم يفعل .

ولننتقل الى الوحي بالكتب عندهم ، وهذا ما نريد ان نأخذ العلم به عنه ، وعساه يهدينا الى ما نعرف به محض الحق المبين .

هو يقول ان كلمات الانجيل ليست هي كلمات الروح القدس التي الهما رسلاهم ، سواء في ذلك كل كتبهم ، فالعبارة فيها للكاتب ، وليست للروح القدس الذي يلهم رسلاهم بما يكتبون فيها يزعمون ، ثم تنقسم كتبهم بعد ذلك الى قسمين : قسم هو وحي لا تدخل فيه المواهب الطبيعية بالتصرف فيه بأى نوع من أنواع التصرف ، وهو ما يسمى بالنبوات عندهم . والقسم الثاني تتصرف فيه مواهب الكاتب ، وفي هذا القسم لا يرفع من الكاتب ما يوجبه عليه التحقيق والتدقيق والاجتهاد .

ونظرة فاحصة الى هذا القول ترينا ان الالهام قد أخذ يضؤل أمره ، وتتواضع دعواه ، خصوصا بالنسبة للانجيل ، لأنها ليست بكتب نبوة كالرؤيا ، ولم يتخللها كلام الله ، كما يفعل بولس في رسائله ، اذ كان يزعم احيانا انه يتكلم من الله ، وأحيانا يقول انه يتكلم من عنده ، فالانجيل ليست فيها اذن تلك النبوات ، وعلى ذلك يكون للمواهب الطبيعية البشرية دخل في كتابتها ، ويتحملون تبعه الاجتهاد فيها والتدقيق والتمحيص ، ومن يتحمل تبعه عمل ينسب اليه . وعلى ذلك قد يتوارد الخطأ على اجتهادهم وتدقيقهم وتمحيصهم ، فيكون من أخبارهم ما صانف التحقيق فيه الصواب ، وما عرض له الخطأ ، وكيف تكون بعد ذلك بالهام أو وحي ؟ وكيف تكون مقدسة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ؟ واذن فقد اتوا على دعوى الالهام بالنقض فلا الالهام في الانجيل اذن .

هذه كلمتنا في كتبهم تحرينا فيها ان نكتبها كما كتبها المسيحيون ، ونوجه من النقد ما وجهوا ، وذلك لكي نصف القوم .

ولقد القينا عليها نظرة فاحصة لنوائم بين أخبارها المختلفة ، ونجمع ( م ٧ - محاضرات في النصرانية )

بين الأقوال المتضاربة ، ونشير الى حكم العقل المستقيم عليها ، اهي سالحة  
لان تكون مصدر دين يتدين به ألوف الألوف من البشر وأهل العلم ،  
لم غير سالحة ؟ .

ان كتاب كل دين هو الأصل والدعامة والاساس ، فاذا كان  
غير صحيح السند ، أو غير مقبول لدى العقول كان ثبوت الدين فيه نظر ،  
بل انه انهار ، ونقد أصله ، ولم يعد شيئاً في الأديان المذكورا .

ولنتنقل بعد ذلك الى عقيدة المسيحيين ، وبعض شرائعهم كما جاءت  
بها تلك الكتب التي علمت أمرها .

## النصرانية كما هي عند النصارى وفي كتبهم

### العقيدة :

٦٥ - جاء في كتاب سوسنة سليمان، لنوفل بن نعمة الله بن جرجس النصراني أن « عقيدة النصارى التي لا تختلف بالنسبة لها الكنائس » وهي أصل الدستور الذي بينه المجمع النيقاوي هي الايمان بالله واحد أب واحد ، ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى ، وبرب واحد ، يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله . اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء والذي من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خطايانا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء تانس ، وصلب عنا على عهد بيلاطس ، وتالم وقبر ، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب . وصعد الى السماء وجلس على يمين الرب ، وسيأتي بمجد ، ليدين الأحياء والأموات ، ولا فناء للملكه ، والايمان بالروح القدس الرب الحي المنبثق من الأب ، الذي هو مع الابن يسجد له ، ويمجد ، الناطق بالأنبياء » .

هذا هو جوهر العقيدة ولبها الذي لا اختلاف فيه ، وفي هذا الكلام إبهام يحتاج الى فضل بيان ، وأنا مستعينون في توضيحه بما كتبوه هم ، حتى لا نتزيد عليهم بقول ، ولا نفرض عليهم فهمنا ، ولكي نكون صادقين الحكاية لكل أقوالهم من غير أى تحريف ، والذي يستفاد من هذا أن أسس العقيدة يقوم على ثلاثة عناصر :

العنصر الأول : التثليث والايمان بثلاثة أقانيم .

والعنصر الثاني : صلب المسيح فداء عن الخليقة وقيامه من قبره ، ورفعه .

والعنصر الثالث : انه يدين الأحياء والأموات .

ولنتكلم عن كل واحد من هذه العناصر .

### عقيدة التثليث :

٦٦ - قال الدكتور بوست في تاريخ الكتاب المقدس : « طبيعة الله عبارة عن ثلاثة اقاتيم متساوية : الله الاب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فالى الاب ينتمى الخلق بواسطة الابن ، والى الابن الفداء ، والى الروح القدس التطهير » .

ويفهم من هذا ان الاقاتيم الثلاثة عناصر متلازمة لذات الخالق .

### التوراة والتثليث :

وقد فسر هذا المعنى القس بوطر في رسالة صغيرة ، سماها الاصول والفروع ، واليك ما جاء فيها : « بعد ما خلق الله العالم ، وتوج خلقته بالانسان لبث حيناً من الدهر لا يعلن له سوى ما يختص بوحدانيته ، كما يتبين ذلك من التوراة ، على انه لا يزال المدقق يرى بين سطورها اشارات وراء الوحدانية ، لانك اذا قرأت فيها بامعان تجد هذه العبارات :

« كلمة الله ، أو حكمة الله ، أو روح القدس » ولم يعلم من نزلت عليهم التوراة ماتكنه هذه الكلمات من المعانى ، لانه لم يكن قد اتى الوقت المعين الذى قصد الله فيه ايضاحها على وجه الكمال والتفصيل ، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة فى ضوء الانجيل يقف على المعنى المراد ، اذ يجدها تشير الى اقاتيم فى اللاهوت . « ثم لما جاء المسيح الى العالم ارانا بتعاليمه واعماله المدونة فى الانجيل ان له نسبة سرية ازلية الى الله ، تفوق الادراك ، ونراه مسمى فى اسفار اليهود : « كلمة الله » وهى ذات العبارة المطلنة فى التوراة ، ثم لما صعد الى السماء ارسل روحاً ، ليسكن بين المؤمنين ، وقد تبين ان لهذا الروح ايضا نسبة ازلية الى الله فائقة ، كما للابن ، ويسمى الروح القدس ، وسر ذات العبارة المطلنة فى التوراة كما ذكرنا ، ومما تقدم نعلم بجلاء ان المسمى بكلمة الله والمسمى بروح الله فى نصوص التوراة هما المسيح والروح القدس المذكوران فى الانجيل ، فما لمحت اليه التوراة صرح به الانجيل كل التصريح ، وان وحدة الجوهر لا يناقضها تعدد الاقاتيم ، وكل من اتى الله ذهنه وفتح قلبه فهم الكتاب المقدس لا يقدر ان يفسر الكلمة بمجرد اسم من الله أو قول مفرد ، ولا يفسر الروح بالقوة التأثيرية ، بل لابد له ان يعلم ان فى اللاهوت ثلاثة اقاتيم متساوين فى الكمالات الالهية ، وممتازين

في الاسم والعمل ، والكلمة والروح القدس اثنان منهم ، ويدعى الأتقون الأول الآب ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأشياء ومرجعها ، وأن نسبته للكلمة ليست صورية بل شخصية حقيقية ، ويمثل للانهم محبته الفائقة ، وحكمته الرائعة ، ويدعى الأتقون الثاني الكلمة ، لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية ، وأنه وسيط المخابرة بين الله والناس ، ويدعى أيضا الابن ، لأنه يمثل العقل نسبة المحبة ، والوحدة بينه وبين أبيه ، وطاقته الكاملة لمشيئته ، والتمييز بين نسبته هو الى أبيه ، ونسبة كل الأشياء اليه ، ويدعى الأتقون الثالث الروح القدس ، الدلالة على النسبة بينه وبين الآب والابن ، وعلى عمله في تنوير أرواح البشر ، وحظهم على طاعته .

### الابن لا يعني به الولادة البشرية :

وبناء على ما تقدم يظهر جليا أن عبارة الابن لا تشير كما فهم بعضهم خطأ الى ولادة بشرية ، ولكنها تصف سرية فائقة بين أتقون وآخر في اللاهوت الواحد ، وإذا أراد الله أن يفهمنا تلك النسبة لم تكن عبارة أنسب من الابن للدلالة على المحبة والوحدة في الذات ، والأمانة للمشورة الالهية ، وأما من حيث الولادة البشرية فالله مئزه عنها ، لأجل هذه الايضاحات علم خدام الدين المسيحي واللاهوتيون حسب ما قررته الكلمة الالهية أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم ، حسب نص الكلمة الأزلية ، ولكل منهم عمل خاص في البشر أ . ه . بنصه تقريبا .

ونجد كاتب هذا الكلام يحاول ثلاث محاولات :

أولها : أثبت أن التوراة وجد فيها أصل التثليث ، لوحث به ولم تصرح ، وأشارت اليه ، ولم توضح .

وثانيها : أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم ، وهي في شعبها متغايرة وأن كانت في جوهرها غير متغايرة .

وثالثها : أن العلاقة بين الآب والابن ليست ولادة بشرية ، بل هي علاقة المحبة والاتحاد في الجوهر .

ولقد كلن بيان ذلك المعنى أوضح من هذا البيان في قول القس ابراهيم سعيد في تفسير بشارة لوقا ، فقد جاء فيه في تفسير معنى كلمة ابن العلي

التي جاءت في انجيل لوقا ما نصه : « يليق أن نوضح بكلمات موجزة  
المعنى المراد » « بابن العلي » أو « ابن الله » فلم يقصد بها ولادة طبيعية  
دانية من الله والا لقليل ولد الله ، ولم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين  
جميعا أنهم أبناء الله ، لأن نسبة المسيح لله هي غير نسبة المؤمنين عامة  
لله ، ولم يقصد بها تفرقة في المقام من حيث الكبر والصغر ولا الزمنية  
ولا في الجوهر ، لكنه تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التي بين المسيح  
والله ، وهي محبة متبادلة ، وما المحبة التي بين الآب والابن الطبيعيين  
سوى أثر من آثارها ، وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها ، ويراد بها اظهار  
المسيح لنا أنه الشخص الوحيد الذي حاز رضا الله ، وأطاع وصاياه ،  
فقبل الموت موت الصليب ، لذلك يقول الله فيه : « هذا ابني الحبيب  
الذي به سررت ، له اسمعوا » وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات مدة  
خدمة المسيح على الأرض لأنه تم إرادة الله في الفداء ، ويراد بها اظهار  
التشابه والتماثل في الذات ، وفي الصفات وفي الجوهر ، كما يكون بين الآب  
والابن الطبيعيين ، فقبل عن المسيح أنه بهاء مجد الله ، ورسم جوهره ،  
وقال هو عن نفسه : من رآني فقد رأى الآب ، أنا والآب واحد ، ويراد بها  
هوام شخصية المسيح باعتباره الوارث لكل شيء الذي منه وبه له كل  
الأشياء ، وقد يراد بها معان كثيرة غير معدودة يقصر دون ادراكها العقل .

### الثالوث أشخاص متفغيرة ، وإن كان وجودها متلازما :

٦٧ — وفي هذا التفسير ، والتفسير الذي سبقه يبدو بجلاء  
أن شخصية الابن غير الآب ، وكذلك روح القدس ، ولكن هل يدخل  
في الاقنوم الثاني جسده وروحه ؟ جاء في كتاب خلاصة تاريخ المسيحية  
في مصر : « كنيستنا المستقيمة الرأي التي تسلمت ايمانها من كيرلس  
وديستوروس . ومعها الكنائس : الحبشية ، والارمنية والسريانية  
والارثوذكسية تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الاقنوم . اقنوم الآب ، واقنوم  
الابن ، واقنوم الروح القدس ، وأن الاقنوم الثاني أي اقنوم الابن تجسد  
من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، مصيرا هذا الجسد معه واحدا  
وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة ، بريئة  
من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ،  
وثنائية واحدة . »

وتعتقد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية بأن للأقنوم الثانى طبيعتين ومشيئتين ، ومن هذا نرى أن الكنائس كلها تعتقد التثليث ، وهذا هو موضع اتفاق . ولكن موضع الخلاف بينها هو العنصر الالهى فى المسيح ، أهو الجسد الذى تكون من الروح القدس ومن مريم العذراء الذى باختلاطه بالعنصر الالهى صار طبيعة واحدة ومشيئة واحدة أم أن الأقنوم الثانى له طبيعتان ومشيئتان ؟ .

٦٨ - ومن هذا كله يفهم أن المسيحيين على اختلافهم يعتقدون ان فى اللاهوت ثلاثة يعبدون ، وعباراتهم تفيد بمقتضاها أنهم متفانيرون وان اتحدوا فى الجوهر والقدم ، والصفات ، والتشابه بينهم كامل ، ولكن كتابهم يحاولون أن يجعلوهم جميعا أقانيم لشيء واحد ، وبعبارة صريحة يحاولون الجمع بين التثليث والوحدانية ، ولكن عند هذه المحاولة تستفلق فكرة التثليث ، وتصير بعيدة عن التصور ، كما هى فى ذاتها مستحيلة التصديق ، وان كتابهم أنفسهم يعتقدون أنها بعيدة التصور عند هذه المحاولة ، لان من اصعب الأشياء الجمع بين الوحدانية والتثليث .

فترى صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيان عقيدة التثليث ، يقول : « قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء فى المستقبل ، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما فى السموات وما فى الأرض ، وأما فى الوقت الحاضر فىى القدر الذى فهمناه ككافية » أى أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها الا يوم تتجلى كل الاشياء لها يوم القيامة ، وذلك حق ، فانهم لا يعلمون حقيقتها الا يوم يحاسبهم الله عليها .

### لماذا يحاولون الجمع بين الوحدانية والتثليث :

ولماذا شغف النصرارى بذكر التوحيد بجوار التثليث ، او على الأقل يجتهد بعضهم فى بيان أنه لا منافاة بينهما ؟ لعل الذى يدفعهم الى ذلك هو اعتبارهم التوراة كتابا مقدسا عندهم ، وهى تصرح بالتوحيد ، وتدعو اليه ، وتحدث عليه ، وتنتهى عن الشرك بكل شعبه . وكل أحواله ، بل تدعو الى البراءة من المشركين أينما كانوا ، وحيثما تقفوا .

فهم يجتهدون أولاً أن يستنبطوا من نصوصها ما يحملونه على الاشارة الى التثليث ، كعبارة « كلمة الله » او عبارة « روح القدس » .

وثانياً : يحاولون أن يرجعوا التثليث الى الوجدانية ، لتلتقى التوراة مع الانجيل فيقربوا التوراة اليهم بتحميل عباراتها ما لا تحتمل ، ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثلوثهم معنى التوحيد ، وان كان هو أيضاً لا يحتمل ذلك ، ولعل ذلك تنميط للفلسفة الرومانية التي كانت تحاول الجمع بين مسيحية المسيح عليه السلام ، ووثنية الرومان ، وتوراة اليهود بما تحتمل من وحدانية ظاهرة لا شية فيها ، الا التجسيد ، او ما يوهمه في بعض عباراتها .

٦٩ - ولقد يجتهد كتاب المسيحية في اثبات ان عقيدة التثليث والوهية المسيح قد وردت بها كتبهم المقدسة ، ويستندونها الى آياتها ، سواء اكانت من كتب العهد القديم ، ام من كتب العهد الجديد، فيقول صاحب كتاب الاصول والفروع : « اما آيات الالهية التي تثبت لاهوت المسيح فهي كثيرة جدا ، ولضيق المقام نكتفي باقتباس شيء يسير ، فمن اقواله تعالى بلسان اشعيا النبي : « ها العذراء تحبل ، وتلد ابناً ، وتدعو اسمه عمانوئيل ( اى الله معنا ) » وقوله : « كانه يولد لنا ولد ونعطي ابناً ، وتكون الرياسة على كتفه : ويدعى اسمه عجيباً ، مشيراً لها قديراً ، ابا ابدياً رئيس السلام » : اشعيا ٧ : ١٤ و ٩ : ٦ - .

وعند عماده وتجليه على الجبل شهدله الله من السماء بصوت مسموع قائلاً : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » متى ٣ : ١٨ و ١٧ ا ص ٥ .

ويشهد له يوحنا الرسول قائلاً : في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله . . كل شيء به كان . وبشره لم يكن شيء ، والكلمة صار جسداً ، وحل بيننا ، وراينا مجده مجداً ، كما للوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً . يوحنا ١ : ١ و ٣ و ٤ .

وقال المسيح نفسه : انا والآب واحد، يوحنا ١٠ : ٣٠ ، وقال له احد تلاميذه : « ربى والهى » يوحنا ٢٠ : ٢٨ وقبل منه السجود . ولم يوبخه على دعوته لها ، ولما سألته رئيس الكهنة ، وقال له : استخلفك بالله الحى ان تقول لنا : هل انت المسيح ابن الله ؟ اجابه المسيح على الخلف : « انا هو » قال



مٳى ٢٦ : ٦٣ بهرقس ١٤ : ٦٢ ، وحينما ركب بحر الجليل اظهر طبيعته لاهوته وناسوته الكليتين ، وذلك بينما كان نائمًا هاجت الرياح ، واضطربت الأمواج ، فقام من النوم وأسكنها . فصار هدوء عظيم ، متى ٨ : ٢٣ - ٢٧ فبنومه اظهر ناسوته ، وبتسكينه الأمواج والرياح اظهر لاهوته » .

ويقول صاحب ذلك الكتاب فى اقنوم روح القدس : « ومن حيث اقنومية الروح القدس فظاهر من كلمة الله ، لان أشعيا يقول : « ولكنهم تمردوا واحزنوا روح قدسه ، فتحول لهم عدوا ، وهو حاربهم » ، أشعيا ٦ : ١٠ .

ويقول الرسول بولس : لا تحزنوا روح الله القدس ، ومن المعلوم انه ان كان للروح قوة ، او صفة ، او شىء من الأشياء غير العاقلة لا يمكن ان يحزن ، او يفرح أبداً : فلا بد ان يكون اقنوماً .

ثم نقرا فى سفر الاعمال ان الروح قال للرسول : « افرزوا الى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه » .

وهكذا يسترسل فى امثال هذا الاستدلال الى ان يقول : « وقيل عن أعمال الله انها أعمال الروح هو الذى خلق العالم ، ويجدد النفوس ، والمولود منا مولود من الله ، ويحيى اجسادنا الميتة ، وهو على كل شىء قدير » .

وفضلا عما ذكر نجد فى الكتاب ان الحقوق والصفات الالهية تنسب على سواء الى كل من الاب والابن والروح القدس .

ولكل منهم تقدم العبادة وهم متساوون ومتحدون ، كما نرى فى دستورية المعمودية : « عمدوا باسم الاب والابن وروح القدس » . متى ١٨ : ١٩ ، « والبركة الرسولية نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومجبة وبركة الروح القدس مع جميعكم » .

٧ - هذه هى استدلالاتهم من كتبهم لاثبات عقيدة التثليث ، والابراء عليها ، واثبات سندها من تلك الكتب ، قد اطلنا فى نقلها عنهم ، وانتظعناها من عباراتهم بنصها ، ولم نتصرف فيها باى نوع من أنواع التصرف فى البيان خشية التزيد عليهم ، وخشية ان يودى التصرف فى التعبير الى التفسير فى الفكرة ، وترى انهم لم يعتمدوا فى اثبات تلك العقيدة على

أى دليل عقلى ، بل كل اعتمادهم على ما عندهم من نقل يحملونه من انتقال المعانى ما تنوع به العبارات ، ولا تحتله أبعد الاشارات ، وانهم اذا حاولوا أن يربطوا قضية التثليث بالعقل حاولوا جهد الطاقة أن يجعلوا العقل يستسيغها فى تصور ، ويحسون أن العقل لا يكاد يستسيغ ذلك التصور ، وقد نقلنا لك من عباراتهم ما يفيد ذلك ، فارجع اليه .

وإذا كانت محاولاتهم تصور القضية قد أجهتهم ، وكلفتهم ما لا يطيقون ، فكيف يستطيعون أن يجعلوا من بدائه العقل ما يحمله على تصديق ما يدعون والاقناع بما يقولون ، لذلك لم يحاولوا أن يتجهوا الى العقل لاثبات قضيتهم من بدهيته ، فان ذلك ليس فى قدرة أحد ، اذ ليس فى قدرة أحد من البشر جمع التقيضين فى قرن ، والتوفيق بين الأضداد ، وقضيتهم والبدهيته العقلية تقيضان لا يجتمعان .

ونرى أن اعتمادهم على النقل لا يفنى من الحق شيئا ، لأن شروط الانتاج فى استدلالهم غير مستوفاة ، اذ ترى أن تلك العبارات التى عثروا عليها فى كتبهم لا تفيد على وجه القطع ما يريدون ، بل قد تفيد بأبعد أنواع الاحتمالات ، أو باحتمال قريب ، ومن المعلوم فى قواعد الاستدلال أن الاحتمال اذا دخل الاستدلال ابطله ، وكل أدلتهم ينفذ الاحتمال اليها من كل جانب . هذا وأن الاستدلال بكتبهم يفيد من يصدقها وهى ذاتها يعروها النقد العلمى فى سندها ، وفى متنها من كل ناحية ، فهى فى ذاتها فى حاجة الى دفاع طويل لاثباتها ، وقد بينا ذلك كله فى موضعه من بحثنا .

### صلب المسيح فداء عن الخليقة :

٧١ - ولتترك الآن الحديث فى عقيدة التثليث ، ولكن يجب قبل تركها مؤقتا أن نشير الى أن التثليث لم يرد دفعة واحدة على المسيحية ، بل تورد عليها شيئا شيئا ، الى أن أعلن نهائيا عند غالبيتهم فى نهاية القرن الرابع الميلادى ، وسنبين ذلك كله فضل بيان فى تاريخ المجمع المسيحية ، وأسباب انعقادها ، وقراراتها ، ومداهها فى موضعه من هذا البحث ، ولنتكلم الآن فى العنصر الثانى من عناصر العقيدة المسيحية ، وهو صلب المسيح فداء عن الخليقة ، وقد اشرنا اليه اجمالا من قبل .

يتولون فى هذا : أن الله من صفاته المحبة ، حتى لقد جاء فى الكتب

المقدسة عندهم : « الله محبة » ومحبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم ، لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة ، وهبوطه هو وبنيه الى الدنيا ، مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة ، ولكن الله من فرط محبته وفضي نعمته رأى أن يقربه اليه بعد هذا الابتعاد ، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد الى العالم ، ليخلص العالم ، وقد جاء في انجيل لوقا : « وان ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ، ويخلص ما قد هلك » فبمحبتة ورحمته قد صنع طريقا للخلاص ، لهذا كان المسيح هو الذى يكثر عن خطايا العالم ، وهو الوسيط الذى وفق بين محبة الله تعالى ، وبين عدله ورحمته ، اذ ان مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم ، ولكن باقتران العدل بالرحمة ، ويتوسط الابن الوحيد وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قرب الناس من الرب بعد الابتعاد ، وقد كان التكفير الذى قام به المسيح هو الصلب ، لهذا صلب ، ورضى الله عن صلبه ، وهو ابنه ، ودفن بعد الصلب ، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره ، ويقولون انه كان قد أنبا بذلك قبل صلبه .

جاء في انجيل متى في الفقرة التى بعد بيان الصلب : « اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى بيلاطس قائلين : يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المصل قال وهو حى : انى بعد ثلاثة أيام أقوم ، فمر بضبط القبر الى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه ليلا ، ويسرقوه ، ويقولوا للشعب انه قام من الأموات فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى ، فقال لهم بيلاطس : عندكم حراس ، اذهبوا ، واضبطوه كما تعلمون ، فمضوا وضبطوا القبر بيد أن ظهوره كان بين تلاميذه .

وقد قام من القبر بعد ثلاثة أيام كما ذكرت اناجيلهم ، ولكنها اختلفت في تفصيل القيام ، فمتى ذكر انه ظهر في الجليل ، ولوفا ذكر انه ظهر في اورشليم ، ويوحنا ذكر انه ظهر في اليهودية والجليل معا ، ومرقس بين أن ظهوره بين تلاميذه .

وقد فكر القس ابراهيم سعيد توفيقا بين هذا الاختلاف فقال : « أجمع البشرون الأربعة على تقرير هذه الحقيقة . ليس المسيح في القبر ، لأنه قام كما قال ، لكن كلا منهم كتب عن القيامة وظهور المسيح للتلاميذ من وجهة نظره الخاصة ، متى كتب عن ظهور المسيح في الجليل ، لأنه كتب

عن المسيح الملك ، ولوقا كتب عن ظهوره في اورشليم ، لأنه كتب عن المسيح مخلص جميع الأمم مبتدئا من اورشليم ، ويوحنا كتب عن ظهوره في اليهودية والجليل لأنه كتب عن المسيح ابن الله الأبدى صخر الدهر ، ومرقس كتب عن ظهور المسيح للتلاميذ في فترات منقطعة ، ليشدد عزائمهم للقيام بالخدمة التي تنتظرهم ، لأنه كتب عن المسيح الذي جاء ليخدم البشرية ، ويرفعها الى مستوى الكمال . كل هذا لكي يوقع البشر الأربعة نعمة مشعبة متنوعة العناصر لانشودة القيامة الجيدة فثمن تنوعت روايتهم الا انها لا تتناقض .

وهذا أشبه بالتعلات التي لا تناقض ، ولا تقوى أمام النظر المنطقي المستقيم ، ولكنها تقبل في الخطيبات ، فهي كالكزهره ترى وتشم ، ولكن لا تعرك ، وذلك لأن هذا التوفيق يقوم على قضيتين :

احدهما : أن كل انجيل كتب لغرض معين لا يشمل في عمومه مكتب له الانجيل الآخر .

وثانيهما : أن كلا ذكر المكان الذي يتفق مع غرضه ، واذن فلا اختلاف في الخبر .

وهذا الكلام فيه نظر في مقدمته ونتيجته ، وذلك لأنه لو كان متى كتب يخبر عن المسيح الملك ، ولوقا عن المسيح المخلص ، وهكذا كان كل انجيل مغيرا للأنجيل الأخرى تمام المغايرة ، مباينا له تمام المباينة ، لأنه يكتب في موضوع يخالف ما يكتب فيه الآخر ، وان كان الشخص واحدا ، كأن يكتب كتاب عن شخص بارز في السياسة والقانون . فمكتب يكتب عنه سياسيا ، وآخر يكتب قانونيا فالوضوع يختلف ، وان كان الشخص متحدا ، ولكننا لا نجد في الأنجيل في مجموعها ذلك التغير ، وعلى فرض تسليم تلك القضية لا نستطيع أن نسلم القضية الثانية ، وهي أن الجليل يناسب المسيح الملك ، وأورشليم تناسب المسيح المخلص ، وهكذا . فلماذا اختلفت هذه بالملك وتلك بالخلص ؟ ان ذلك التخصيص تحكم لا يعتمد على منطق ، وعلى فرض صحة المقدمتين ، فإن النتيجة لا تنبئ عليهما ، لأن النتيجة اختلف ذكر الأمكنة في حادثة معينة والشهادة بها ، فأحد الشهود يقول : أنه رآه في الجليل ، وآخر يشهد بوجوده بين التلاميذ في فترات منقطعة ، وثالث يشهد بوجوده في اورشليم ، وإذا اختلف الشهود

في مكان حادثة معينة كان اختلافهم سببا للظنة في الشهادة واتهام الشهود فيها ، ولئن قيل أن المسيح ظهر في الأمكة التي ذكرت ، بيد أن كلا ذكر ما رأى ، ولم يكن رآه فيها جميعا كان الكلام مستقيما ، ولكن يكون معناه أن كل أنجيل لم يذكر حال المسيح كاملة ، ويحتمل أن يكون الجميع لم يذكروها كاملة على هذا الأساس ، ويكونوا قد نسوا حظا مما نكروا به .

### المسيح يدين ويحاسب :

٧٢ - لم يمكث المسيح بعد قيامته هذه التي يعتقدونها المسيحيون الا اربعين يوما ، ثم ارتفع بمدها الى السماء وجلس بجوار الرب في زعمهم ، وسيأتي ليدين الناس يوم القيامة ، يحاسب كل انسان على ما فعل وقال : ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . وله بهذا الملك الابدى ، فلا فناء لملكه ، فهم يقولون : ان الله قد اقام يوما سيدين فيه سكان هذه الارض بيسوع المسيح ، لان الاب في زعمهم لا يدين احدا ، بل قد اعطى ذلك لابن ، فاعطاه سلطان ان يدين الانسان ، لانه ابن الانسان ايضا ، ولا بد ان يظهر الناس جميعا امام كرسي المسيح ، لينال كل واحد جزاء ما كان قد صنع ، خيرا او شرا ، هذه عقيدتهم .

فقد جاء في انجيل يوحنا : « الحق اقول لكم ، انه تأتي ساعة ، وهي الآن ، حين يسمع الاموات صوت ابن الله ، والسامعون يحيون ، لانه كما ان الآن له حياة في ذاته ، كذلك اعطى الابن ان تكون له حياة في ذاته ، واعطاه سلطانا ان يدين ايضا ، لانه ابن الانسان ، لا تعجبوا من هذا لانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة ، انا لا اقدر ان افعل من نفسي شيئا ، كما اسمع ادين ، ودينونتي عاذلة لانى لا اطلب مشيئتي ، بل مشيئة الاب الذى ارسلنى » .  
راجع الاصحاح الخامس .

وجاء في رسالة بولس الثانية الى اهل كورنثوس : « لا بد أننا جميعا نظهر امام كرسي المسيح ، لينال كل واحد منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع ، خيرا كان أم شرا » (راجع الاصحاح الخامس من هذه الرسالة) .  
وجاء في رسالة بولس الى اهل تسالونيكي : « ان الذين يضايقونكم

يجازيهم ضيقا ، وايامكم الذين تتضايقون - راحة معنا ، عند استعلان الرب يسوع مع ملائكة قوته ، في نار لهيب معطيا نعمته للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح الذين سيعاقبون بهلاك ابدى من وجه الرب ، ومن مجد قوته . متى جاء ليتمجد في قدسيته ، ويتعجب منه في جميع المؤمنين » .

فهذه النصوص جميعها تبين بجلاء ان الذي سيحاسب الناس ، ويجازيهم بما فعلوا ، الخير بمثله والشر كذلك . انما هو المسيح في نظرهم .

### تقديس الصليب :

#### مقام الصليب في المسيحية :

٧٣ - لا يرتفع تقديس الصليب الى مرتبة العقائد السابقة ، لان تلك العقائد اساس المسيحية . اما الصليب فليس له ذلك الحظ . وان كان شعارهم ، وموضع تقديس الاكثريين . ولذا كان حمله علامة على اتباع المسيح .

جاء في انجيل لوقا : « وقال للجميع ان اراد احد ان ياتي ورائي فليترك نفسه ، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني » .

وحمل الصليب كما يقول كتابهم ، اشعار بانكار النفس ، واقتفاء اثر المسيح في هذا الانكار ، والسير وراء مخلصهم ، وفاديتهم .

جاء في شرح بشارة لوقا للنفس ابراهيم سعيد : « ان آثار قدمي المعلم تعين طريق خطوات التلاميذ لانه وان كان المسيح قد صلب عنا فمقال في صلبه : « قد اكمل » لكنا قد اصبنا بحكم صلبه عنا تحت التزام شرعي لان نكون شركاء المسيح ( المتالم ) ، ان شركتنا الشرعية مع المسيح المصلوب ينبغي ان ترافقها وتدعمها شركة اختيارية فعلية معه ، ان صلب المسيح معناه مات عنا ، ولكن صليب كل مؤمن معناه : « موت النفس عن الأثنية وحب الذات » وخلاصة هذه الذات هي النفس الامارة بالسوء ، هي تلك الارادة المتمردة التي ينبغي ان نخضعها ، ونستاسرها لطاعة المسيح ، فقول كل واحد ليس ما اريد أنا بل ما تريد أنت يا رب ، انه من اوجب واجبات كل مسيحي ان يحمل صليبه مختارا طائعا لان التعبير بحمل صليبه

مستعار من العادة التي قضت بها الانظمة الرومانية على المحكوم عليه بالصلب ان يحمله كل يوم ، وهذه العبارة انفرد لوقا بذكرها ، فهو صليب يتجدد كل يوم ، كما تجددت الآمال والآلام في الحياة اليومية العملية ، فلأبد اذن لحمل الصليب من خطوة تسبقه ، وخطوة تعقبه ، أما الخطوة السابقة له فهي انكار النفس ، بمعنى أن يقول تلميذ المسيح لنفسه الأمانة بالسوء ، لا ، لأن حمل الصليب هو حمل العار مضافا الى ألم الموت ، وهذا عمل يستلزم انكار النفس ، لأن الرومان لم ينفروا من الصليب فقط ، بل فزعوا من ظله . كذلك كان شعور اليهود بأن حمل الصليب هو حمل اللعنة ، لأنه مكتوب في ناموسهم : « ملعون كل من علق خشبة » ، والخطوة اللاحقة لحمل الصليب بل الخطوات هي اقتناء آثار المسيح كقوله : « ويتبعني » ، اذن ليس حمل صليبا غاية لكنه وسيلة لهذه الغاية ، وهي اتباع المسيح حيث « يمضى » ا . ه .

فحمل الصليب اذن عندهم ليس غاية ، وليس مقصودا لذاته ، ولكنه مقصود لغاية أخرى اسمى عندهم ، وهي اقتناء خطوات المسيح في انكار الذات ، والرضا بالفداء في زعيمهم واتباع تعاليمه .

### عبادتهم :

٧٤ — عند النصارى عبادتان : هما الصلاة ، والصوم ، أما الصوم عنانهم يقولون ان شرعه عليهم اختياري لا اجباري ، وميثاقته قد تتخالف فيه الفرق ، فلنتركه الى الكلام في الفرق والكنائس ان كان للقول متسع ، ولنتكلم الآن في صلاتهم .

والصلاة عندهم ركن من أركان الدين ، وهي في زعيمهم تقريهم الى الله عن طريق المسيح .

ولقد جاء في كتاب الأصول والفروع : « ان الدين قلب مقتنع بوجود الله الخالق والحافظ والنادي ، فتكون الصلاة ترجمان ذلك القلب ، يعبر بها عما يخالجه من الأشواق والعواطف ، فبالنظر لاقتناعه بقداسته تكون الصلاة كلمات التعظيم والتسبيح له ، وبالنسبة لاقتناعه بجهوده واحسانه تكون الصلاة عبارات الشكر والحمد ، وبالنسبة لوقوعنا في الخطيئة ، تكون الصلاة كلمات التذلل والتواضع والاستغفار ، وبالنسبة للاحتياج اليه تعالى تكون الصلاة طلبا ودعاء » .

والصلاة عندهم لها شرطان أساسيان لا توجد بدونهما ، هما منها بمنزلة الدعامة :

**الشرط الأول :** ان تقدم باسم المسيح ، فقد جاء في الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا : « الحق اقول لكم ان كل ما طالبتم من الاب باسمي يعطيكم ، لى الآن لم تطلبوا شيئا باسمي ، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا » .

ويطلون ذلك بان الانسان بسبب خطاياه ابعد عن رضا الله ، ولكن بدم المسيح زال هذا البعد ، واصبح قريبا اليه .

فقد جاء في رسالة بولس الى اهل انسس في الاصحاح الثاني منها : « لكن لان في المسيح يسوع انتم الذين كنتم قبالا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح لانه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدا ، ونقض حائط السياج المتوسط » .

ويقول صاحب كتاب الاصول والفروع : « للصلاة باسم المسيح معنى اتق من ذلك ، وهو ان الاسم يمثل دائما المسمى . فتكون صلاتنا باسم المسيح تمثل وحدته معنا ، بحيث تكون طلباتنا طلباته . وصلاحتنا صلاحه ، وحياتنا حياته ، وبالجملة كأنه يحيا فينا ولاجلنا » .

**الشرط الثاني :** ان يسبق الصلاة الايمان الكامل بما عندهم ، فقد جاء في الاصحاح الحادى عشر من انجيل مرقس ما نصه : « لذلك اقول لكم كل ما تطلبونه حينها تصلون فآمنوا ان تنالوه ، فيكون لكم » .

وجاء في رسالة يعقوب : « وليكن الطلب بايمان غير مرتاب البتة ، لان المرتاب يشبه موجا من البحر تخطبه الريح وتدفعه ، فلا يظن ذلك الانسان انه ينال شيئا من الرب » .

وليست للصلاة عندهم عبارات خاصة معلومة يجب ان يتلوها ، بل ترك لهم ان يتلوا العبارات التى يختارونها بشرط الا تخرج عن قاعدة الصلاة التى علمهم اياها المسيح لكى يصلوا على منوالها ، وهى المسماة بالصلاة الربانية ، وهى التى جاءت في صدر الاصحاح الحادى عشر من انجيل يوحنا ، ففيه عن المسيح : « واذا كان يصلى في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه : يارب علمنا ان نصلى ، كما علم يوحنا ايضا تلاميذه ،



مقال لهم : متى صليتم ، فقولوا ابانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ،  
ليأت ملكوتك ، لكن مشيئتكما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كخبزنا  
اعطنا كل يوم ، واغفر لنا خطايانا ، لاننا نحن ايضا نغفر لكل من يذنب  
الينا . ولا تدخلنا فى تجربة ، ولكن نجنا من الشر . ولديهم امثلة كثيرة  
للصلوات يختارون منها ما يسهل عليهم : واشهر الاسفار المشتبهة على  
نماذج للاذعية والصلوات سفر الزمائر .

ويقول صاحب كتاب الأصول والفروع : « انه خزانة ذهبية لصلوات  
داود النبى وغيره من الانبياء صلوا بها فى احوالهم الخاصة ، مسوقين  
من الروح القدس ، وكثيرا ما يعرض علينا ذات احوالهم ، فنقتبس من  
أقوالهم ما يطابق حالنا واحتياجنا للاستعانة على التعبير عما بنا من ملات  
الأمور ، كما اذا كنا فى حال الحزن والأسى على خطايانا نقتبس فى صلاتنا  
من زممار - ٥١ - لأنه يشتمل على أشد العبارات تأثيرا بصدد التوبة  
والاعتراف ، والاستغفار من الله ، وكما اذا كنا فى حال الشعور برحمة  
الله علينا ونعمته نقتبس من زممار - ١٠٣ - للتعبير عن شكر قلوبنا ،  
وشعورها بالمحبة والنعمة ، انتهى بتصرف .

وليس عليهم عدد معين من الصلوات كل يوم ، كما انه ليس لها  
مواقيت معلومة ، بل كل ذلك قد وكل الى نشاط المصلين ، ورغبتهم فى  
العبادة ولكن لأن اليهود كانوا يعبدون الله فى هياكلهم فى صباح كل يوم  
ومسائه استنبطوا انه تلزم الصلاة مرتين ، احدهما فى الصباح ،  
والأخرى فى المساء .

ويقولون فى حكمة ذلك فى الصباح : « نطلب بركة الرب علينا سحابة  
اليوم ، وان بهدينا الى عمل ما فيه رضاؤه ، وان يحفظنا من السوء ،  
وفى المساء نشكره على احسانه علينا كما اتنا نعترف بما فرط منا فى اليوم  
من الزلات ، ونطلب منه المغفرة ودوام نعمته علينا وفوق ذلك لا نفتأ نذكر  
فضله ونشعر بجيبيله دائما » .

واذا لم يكن للصلاة عدد محدود عندهم ، فالمستحسن الاكثار ،  
ويخالفون اليهود فى زعمهم ان الاكثار من الصلاة يجعل الله يمل .

جاء فى أنجيل لوقا فى صدر الاصحاح الثامن عشر ما نصه : « قال  
لهم مثلا فى انه ينبغي ان يصلى كل حين ، ولا يمل قائلا : كان فى مدينة قاض  
( م ٨ محاضرات فى النصرانية )

لا يخالف الله ولا يهاب انسانا ، وكان في تلك المدينة أرملة ، وكانت تأتي قائلة انصفني من خصمي وكان لا يشاء الى زمان ، ولكن بعد ذلك قال في نفسه : وان كنت لا اخاف الله ولا اهاب انسانا ، فاني لأجل ان هذه الأرملة تزعجني انصفها لئلا تأتي دائها فتتعمنى . وقال الرب اسمعوا ما يقول قاضى الظلم ، أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم ، اقول لكم انه ينصفهم . »

يقول القس ابراهيم سعيد في شرح الجمل في انجيل لوقا : « ينبىء ان يصلى كل حين ولا يمل » من هنا ترى ان صلاة المثابرة واللجاجة ليست من الأمور المكنت فقط ، ولكنها من الأمور الواجبة ، فهي فرض عين لا فرض كفاية ، وهذا عن خلاف ما علم به التلمود ، محظور على الانسان ان يصلى أكثر من ثلاث مرات في النهار ، لان الله يمل الصلاة كل ساعة ، ولقد أوصى المسيح بالصلاة من غير ملل لعلمه ان صلاة الروح تعب على الجسد ، سيما اذا تأخرت الاجابة ، فالروح نشيط والجسد ضعيف .  
وجاء في آخر رسالة بولس الى أهمل تسالونيكي : « صلوا بلا انقطاع » .

وبين معنى ذلك صاحب رسالة الأصول والفروع فيقول : « معنى هذا ان نستحضر في أذهاننا روح الصلاة على الدوام ، وكلما خطر على البال ذكر الله ومحبته نرفع صلوينا اليه ، سواء اكن بالقول أو بالتوجهات القلبية بدون كلام ، والله يعلم ما في القلوب .  
من شعائر المسيحية :

٧٥ - للمسيحية شعائر يجب القيام بها ، لا يصح التخلي عنها ، ويقولون فيها انها فرائض مقدسة وضعتها المسيح ، وهى أعمال جليلة تشير الى بركات روحية غير منظورة عندهم ، ومن الشعائر الواجب اعتقادها والعمل بها التعميد والعشاء الربانى .

### التعميد والعشاء الربانى :

وقد جاء في انجيل متى عن التعميد : « تقدم يسوع وكلهم قائلا نفع الى كل سلطان في السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس ، وعلموهم ما أوصيكم به » .

وجاء بالنسبة للعشاء الرباني في رسالة بولس لاهل كورنثوس  
ما نصه : « ان الرب يسوع في الليلة التي اسلم فيها نفسه اخذ خبزا ،  
وشكر ، فكسر وقال : خذوا وكلوا ، هذا هو جسدى المكسور لاجلكم ،  
اصنعوا هذا لذكرى » .

كذلك ذكر الكأس ايضا بعد ما تعشوا قائلا : « هذه الكأس هي  
العهد الجديد بدمى ، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى ، فانكم كلما اكنتم  
هذا الخبز وشربتم هذا الكأس تخبرون بموت الرب الى أن يجيء » .

بهذه النصوص ثبت التعميد ، والعشاء الرباني ، والتعميد يقول  
فيه صاحب كتاب الأصول والفروع : فريضة مقدسة يشار فيها الفسل  
بالماء باسم الآب والابن والروح القدس الى تطهير النفس من ادران الخطيئة  
بدم يسوع المسيح ، وهى ختم عهد النعمة كما كان الختان في الشريعة  
الموسوية ، والمعمودية تدل على اعترافهم العلنى بايمانهم وطاعتهم للآب  
والابن والروح القدس كالهم ومعبودهم الوحيد ، ولا يجوز أن يعمدوا  
الا اذا اعترفوا بايمانهم جهارا امام كنيسة الله « ويقول في العشاء الرباني :  
« وهو فريضة رسمها المسيح في الليلة التي اسلم فيها الجسد ، ويستعمل  
في هذه الفريضة قليل من الخبز والخمر ، فيأخذ كل من المؤمنين لقمة من  
الخبز ، وقليلًا من الخمر على المثل الذى رسمه المسيح تذكارا لموته ،  
فالخبز يشير الى جسده المكسور ، والخمر الى دمه المسفوك ، فالؤمنون  
الذين يشتركون في هذا العشاء يقبلون المسيح بالايمان كالخبز الذى نزل  
من السماء وكل من يأكل منه لا يجوع ، ولكنهم لا يقبلونه طعاما جسديا بل  
طعاما روحيا لحياة روحية لاجل النمو فى النعمة والايمان » ويقول ايضا :  
« ويشير العشاء الرباني الى مجيء المسيح الثانى ، كما يشير الى موته  
فيكون تذكارا للماضى والمستقبل » .

### من تنظيم الأسرة :

٧٦ - فى الاناجيل ورسائل من يعتقدون أنهم الرسل فى المسيحية  
ذكر للزواج والطلاق ، ففيها بيان لبعض شريعة الأسرة مختصرة ، وخلاصة  
ما جاء فى كتبهم المعتبرة أن الزواج قد سن للانسان وشرع له ، بل أن  
الزواج شرعه الله للانسان وهو فى جنة عدن ، فخلق لادم من ضلعه حواء ،

لأنه كما في سفر التكوين : « ليس جيدا ان يكون آدم وحده ، فأصبح له  
معينا نظيره » .

على ان المسيح في انجيل متى قد اجاز العزوبة في حال عدم القدرة  
التناسلية ، وذلك بدهى .

وجاء في رسالة بولس لاهل كورنثوس انه تجوز العزوبة اذا استطاع  
الرجل أو المرأة أن يضبط نفسه ، ويتوقى الزنى ، فقد جاء في الاصحاح  
السابع من هذه الرسالة : « ولكنى اقول لغير المتزوجين ، وللارامل : انه  
حسن لهم اذا لبثوا كما انا ، ولكن اذا لم يضبطوا انفسهم فيتزوجوا ، لأن  
التزوج أصلح من الخرق » .

وشريعة الزواج عندهم لا تحل للرجل ان يتزوج بأكثر من واحدة  
وان لم يوجد نص في ذلك ، ولا يطلق ، وقد فهموا تحريم الطلاق من انجيل  
متى ، ففى الاصحاح التاسع عشر منه : « قال له تلاميذه : ان كان هكذا أمر  
الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج ؟ فقال : ليس الجميع يقبلون هذا  
الكلام . بل الذى أعطى لهم ، ولا يفترق الزوجان الا بالموت ، وبعد موت  
أحدهما يحل للحي أن يتزوج غيره » .

وهذا نص ما جاء في رسالة بولس لاهل رومية : « ان الناموس يسود  
على الانسان ما دام حيا ، فان المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس  
بالرجل الحى ، ولكن ان مات الرجل ، فقد تحررت من ناموس الرجل ،  
فاذا ما دام الرجل تدعى زانية ان صارت لرجل آخر وقبل موت أحدهما  
لا يحل لهما الطلاق » .

وهذا نص ما جاء في متى في الاصحاح التاسع عشر منه : « جاء اليه  
الفريسيون ليجربوه قائلين : هل يحل للرجل ان يطلق امراته لكل سبب؟  
فأجاب وقال لهم : اما قرأتم ان الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى ؟  
وقال : من أجل هذا يترك الرجل ابيه وامه ، ويلتصق بامرته ، ويكون  
الانسان جسدا واحدا ، اذ ليس بعد اثنين ، بل جسد واحد ، فالذى جمعه  
الله لا يفرقه انسان . قالوا : فلماذا اوصى موسى ان يعطى كتاب طلاق ،  
فنطلق ؟ قال لهم : ان موسى من أجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا  
نساءكم ، ولكن من البدء لم يكن هذا ، واتسول لكم ان من طلق امراته  
إلا بسبب الزنى ، وتزوج باخرى يزنى ، والذى يتزوج بمطلقة يزنى .

الطلاق اذن لا يجوز ولا يقع ، ولكن استثنيت حالان يجوز فيهما  
الافتراق :

الحال الأولى : حال زنى أحد الزوجين ، فبالأحر ان يطلب التفريق ،  
ويجب في هذه الحال ان ثبت الزنى .

الثانى : اذا كان أحد الزوجين غير مسيحي فيصبح التفريق عند  
تهجرهما وعدم وجود الألفة بينهما ، ولذا جاء في رسالة بولس الى أهل  
كورنثوس : والمرأة التى لها رجل غير مؤمن ، وهو يرتضى ان يسكن معها  
فلا تتركه ، لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة ، والمرأة غير المؤمنة  
مقدسة فى الرجل ، والا فاولادكم نجسون ، وأما الآن فهم مقدسون ، ولكن  
ان فارق غير المؤمن فليفارق » .

ولقد أمرت المسيحية فى وصايا رسلهم بأن يحب الرجال نساءهم .  
فقد جاء فى احدى رسائل بولس : « ايها الرجال احبوا نساءكم كما أحب  
المسيح أيضا الكنيسة ، وأسلم نفسه لأجلها » وفيها أيضا : واما انتم ايها  
الأفراد فليحب كل واحد امراته ، هكذا كنفسه ، واما المرأة فلتحب رجلها .

### شرائع التوراة والمسيحية :

#### منزلة شرائع التوراة فى المسيحية :

٧٧ - ولقد كان المفهوم من ان المسيحية تعتبر التوراة وأسفل  
النبيين السابقين كتبا مقدسة تسميها كتب العهد القديم ، ان تأخذ بكل  
الشرائع التى نصت عليها التوراة الا ما خالفه المسيح بنصى قد أثر عنه ،  
ويظهر ان المسيحيين استمروا على ذلك نحو من اثنتين وعشرين سنة  
من بعد المسيح ، وهم فى هذا كانوا يسرون على المنهاج الذى سببه  
والطريق الذى بينه . ولكن التلاميذ اجتمعوا بعد مضى اثنتين وعشرين سنة  
من تركه لهم ، وخطب يعقوب فيهم ، مقترحا عليهم ان يحصروا المحرم  
على الامم فى اربعة ، وهى : الزنى ، وأكل الخسوق والدم ، وما ذبح  
للأوثان ، وكان ذلك لانهم وجدوا ان الختان يشق على بعض من يدعونهم  
الى النصرانية فيفرون منها بسببه .

وهذا نص ما جاء فى الاصحاح الخامس عشر من سفر الاعمال بعد

بيان خلاف التلاميذ بشأن الختان ، واجتماعهم لأجل الفصل في شأنه حينئذ رأى الرسل والمشايع أن يختاروا رجلين منهم ، فبرسلوهما الى انطاكية مع بولس وبرنابا ، وهما يهوذا الملقب برسابا ، وسيلا ، رجلين متقدمين في الاخوة ، وكتبوا بأيديهم هكذا : الرسل والمشايع يهدون سلاما الى الاخوة الذين هم من الأمم في انطاكية وسورية وكليكية ، اذ قد سمعنا ان اناسا خارجين من عندنا أزجسوكم بأقوال مقلبين انفسكم ، وقائلين ان تختنوا وتحفظوا الناموس ، من الذين نحن لم نأمرهم . وقد صرنا بنفس واحدة ان نختار رجلين ، ونرسلهما اليكم مع حبيبنا برنابا ، وبولس ، رجلين قد بذلا انفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح ، فقد ارسلنا يهوذا وسيلا ، وهما يخبرانكم بنفس الامور شفاهما ، لانه قد رأى الروح القدس ، ونحن — الانضع عليكم ثقلا اكثر ، غير هذه الاشياء الواجبة ان تمتنعوا عما نبيح للأصنام ، وعن الدم ، والمخنوق ، والزنى التى ان حفظتم انفسكم منها ، فنعمنا تتعلون ، كونوا معافين . »

في هذا الخطاب يتبين ان المشايخ والتلاميذ يخلون للناس كل ما حرمة الناموس ، اى التوراة وكتب النبيين السابقين ، ولا يجعلون محرما عليهم الا اربعة امور ، والامتناع عنها هو الامر الواجب فقط . وبذلك حل لهم كل شئ حرمة التوراة ، حبل لهم الخمر والخنزير ، وكل ما كانت التوراة وشرائع النبيين قد حرمته . وبأى شئ أعطى هؤلاء القشرة على التحليل والتحرير ؟ قد قالوا ان ذلك بالهام من روح القدس وتجليه .

وتد ذكر صاحب سفر الاعمال عن لسان بطرس ، انه قال في افتتاح ذلك الاجتماع الذى أصدر ذلك القرار ما نصه : « ايها الرجال الاخوة انتم تعلمون انه منذ ايام قديمة اختار الله بيننا انه بسمى يسمع الأمم كلمة الانجيل ويؤمنون . والله العارف للقلوب شهد لهم معطيا لهم روح القدس ، كما لنا ايضا ، ولم يميز بيننا وبينهم بشئ ، اذ طهر بالايمان قلوبهم ، فالآن فلماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن ان نعمله ولكن بنعمة الرب يسوع المسيح تؤمن ان نخلص ، كما اولئك ايضا . »

فمن هذا النص يستفاد ان الذى سوغ لهؤلاء ان ينصرفوا جهرا عما كانوا عليه ، وعما تركهم المسيح عليه ، هو أنهم ينزل عليهم الروح القدس ، كما كان ينزل على النبيين والصدّيقين ، وذلك في اعتقاد كتاب المسيحية ، وقد بينا حقيقة ذلك في موضعه من كلامنا عن الكتب .

### تحليل لحم الخنزير مع تحريمه في التوراة :

ولقد اكلوا فيما اكلوا من محرمات التوراة لحم الخنزير وكان المعروف أنه حرام في النصرانية التي تأخذ بكتب العهد القديم ، وعلى رأسها التوراة .

ويروى ابن البطريق في هذا المقام أن اليهود لما دخلوا في النصرانية بسبب اضطهاد قسطنطين لهم بعد نصرته تشكلت النصارى في ايمانهم ، فأشار بطريك القسطنطينية على قسطنطين أن يخبرهم بحلهم على اكل لحم الخنزير وقال له : « ان الخنزير في التوراة حرام ، واليهود لا يأكلونه ، فتأمر أن تذبح الخنازير ، وتطبخ لحومها ويطعمون منها هذه الطائفة ، فمن لم يأكل علمت أنه مقيم على اليهودية » عندئذ آمن قسطنطين بتحريم الخنزير ، اذ نصت على التحريم التوراة المقدسة في نظر النصارى ، كما هي مقدسة في نظر اليهود ، وقال : « ان الخنزير في التوراة محرم فكيف يجوز لنا أن نأكل لحمه ، ونطعمه للناس » ولكن البطريق ما زال به حتى حمله على الاعتقاد بأنه حلال ، فقد قال له : « ان سيدنا المسيح قد ابطال سائر ما في التوراة ، وجاء بتوراة جديدة هي الانجيل ، وقال في انجيله المقدس ان كل ما يدخل الفم ليس ينجس الانسان ، انما ينجس الانسان كل ما يخرج من فيه » يعنى السفه والكفر ، وغير ذلك مما يجرى مجراه . ويتص قصة عن بولس رسولهم بأن بطرس رأى رؤيا تفيد التحليل ، وبذلك يحلون الخنزير .

## المجامع المسيحية

### تاريخها - واسبابها - وقراراتها

٧٨ - قد شرحنا فيما أسلفنا من القول العقائد المسيحية ، كما هي في كتبهم ولم نتجه الى الآن لدراستها دراسة نقدية لاننا نجدهم يجتهدون في تصويرها ويشعرون بعظم المشقة في ذلك ، حتى اذا يتسوا قالوا انها فوق العقل ، وأن العقل لا يستطيع تصويرها تصويرا كاملا ، وانها ستجلى يوم القيامة ، ولذلك نجد من الظلم لانفسنا أن نناقشها ، لأن العقل لا يستسيغها باعترافهم فكيف نناقشها ؟ وهم يلقنون الصبية بأن يجتهدوا في تصويرها وتصديقها ، لا في البرهنة لها واثباتها ، ولذلك نترك الآن مناقشتها بالعقل ، ونحيل القارئ الكريم على ما كتب الذين ناقشوها من مطاحل العلماء ، ونخص بالاشارة كتاب اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ، وكتاب الفارق فيما بين المخلوق والخالق ، والقول الصحيح لابن تيمية ، بلل الله ثراهم ، فان هؤلاء لم يتركوا مقالا لقائل .

وبهنا الآن في بحثنا التاريخي ان نبين الأدوار التي مرت عليها هذه العقيدة ، فانه من المقرر في تاريخ المسيحية بالبداية أن التثليث بالشكل الذي يعتقده جماهير المسيحيين ، أو الكثرة الغالبة فيهم ، لم يعلن للناس دفعة واحدة ، بل في أزمان متفاوتة مختلفة ، وكان باعلان المجامع التي كانت تعقد من الاساقفة ، وفيها يقرر المجمع رأيا معينا ، ولا يهنا ما كانت تقره تلك المجامع الا ما يتعلق بالعقيدة وان كنا سنعرض أحيانا لما كان يجيء في ثنايا قراراتها من بعض النظم .

### كيف وجدت فكرة جمع المجامع :

والمجامع في المسيحية هي كما يقول علماءهم جماعات شورية في المسيحية ، قد رسم رسلهم نظامها في حياتهم . حيث عقدوا المجمع باورشليم بعد ترك المسيح لهم بالثنتين وعشرين سنة ، وقرر ذلك المجمع ، كما علمت تقريبا ، عدم التمسك بممالة الختان ، بل زاد فقرر عدم التمسك بشرائع التوراة ، وما وليها من سائر أسفار العهد القديم المقدس عندهم



فيها يتعلق بالتحريم ، الا تحريم الزنى ، واكل الخنوق ، واكل الدم واكل  
فبائع الأوثان ، فقد قالوا أن التلاميذ والمشايع بهذا المجمع الذى بينه سفر  
الأعمال فى اصحاحه الخامس عشر قد سنوا للمسيحيين سنة جمع المجمع  
لدراسة ما يتعلق بالعقيدة والشريعة .

### المجامع العامة والمجامع الخاصة :

والمجامع عندهم قسمان : مجامع عامة أو على حد تعبيرهم مجامع  
مسكونية ، أى تجمع رجال الكنائس المسيحية فى كل أنحاء المعمورة ،  
والمجامع المكائنية وهى التى تعقدتها كنائس مذهب أو أمّة فى دوائرها  
الخاصة من اساقفتها وقساوستها ، أما لاقرار عقيدة ، أو لرفض عقائد  
أخرى .

ويقسم المجمع صاحب كتاب سوسنة سليمان الى ثلاثة أقسام  
فيقول : « وهذه المجمع تنقسم بالنظر الى عدد أربابها ودرجاتهم وشوكتهم  
الى ثلاثة أقسام وهى : مجامع عامة ، ويقال لها مسكونية ، ومجامع مليّة ،  
أى خاصة بطائفة دون غيرها ، ومجامع اقليمية ، أى خاصة بأقليم  
مخصوص . لكن مقاصد كلانا لا تحتاج الا الى ذكر المجمع التى تعتبر  
عامة ، سواء صادق عليها الجميع أو أنكرها بعضهم على بعض ، لما فى  
ذلك من معرفة النتائج التى تولدت عنها » .

هذا كلام صاحب ذلك الكتاب المسيحي ، واذا كان هو لا يعنى فى  
تاريخ ديانتة الا بالمجامع العامة ، فنحن كذلك لا نعنى الا بها ، وقد أحصى  
المجامع العامة من القرون الأولى للمسيحية الى سنة ١٨٦٩ فكانت عدتها  
عشرين مجعاً ، وقد ذكرها جميعاً بالأجمال ، وفكر قراراتها بالاشارة  
وسنخذو حذوه فى بعضها ، وسنترك الاجمال الى بعض التفصيل فى  
بعضها الآخر ، وخصوصاً فى المجمع التى كانت فى القرون الأولى للمسيحية  
لأنها هى التى حددت للاخلاق حدود العقيدة المسيحية فى نظر مقربها ، وهى  
التي رسمت المسوح والتقاليد الكسبية القائمة فى الكنائس ، أو بعضها  
الكثير الى الآن ، وهى التى فلحت الأرض لتبقر بفور هذه المسيحية التى  
سادت أفكار المسيحيين فى الأجيال من بعد .

ونبدأ بأعظم هذه المجمع ، وأبعدها أثراً ، وأكبرها شأنًا ، وأولها  
وجوداً وأعظمها فكراً وهو مجمع نيقية .

سبب انعقاده العلم الاختلاف بينهم في شخص المسيح :

٧٩ - اشتد الاختلاف بين الطوائف المسيحية الأولى ، وتباعدت مسافات الخلف تباعدا شديدا ، لا يمكن ان يكون معه وفاق ، وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح ، أهو رسول من عند الله فقط ، من غير ان تكون له منزلة أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه ، أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول ، فهو من الله بمنزلة الابن ، لأنه خلق من غير أب ، ولكن ذلك لا يمنع انه مخلوق لله ، لأنه هو كلمته ، ومن تائل انه ابن الله ، له صفة القدم ، كما لله تلك الصفة ، وهكذا تباينت نحلهم ، واختلفت ، وكل يزعم ان نحلته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام ، ودعا اليها تلاميذه من بعده ، ويظهر ان ذلك الاختلاف ، وتلك النحل المتباينة المتضاربة المتنازعة ، وقد ظهرت بعد ان دخلت طوائف مختلفة من الوثنيين من الرومان ، واليونان ، والمصريين ، فتكون في المسيحية مزيج غير تام التكوين ، غير تام الاتحاد والامتزاج ، وكل قد بقى عنده عن عقائده الأولى ما اثر في تفكيره في دينه الجديد ، وجعله يسير على مقتضى ما اعتنق من القديم من غير أن يشعر أو يريد .

ومن دخل في ذلك الدين فلاسفة لهم آراء فلسفية ارادوا ان يفهموا ما اعتنقوه جديدا على ضوءها ، وعلى مقتضى منطقها وتفكيرها .

ولقد كانت تلك الاختلافات كائنة لا تظهر مدة الاضطهادات الرومانية ، لانهم شغلوا بدمع الأذى ، ورد البلاء واستقبال المحن والكوارث ، وكتابوا يستسرون بدينهم ولا يظهرونه ، ويخفون عقائدهم ، ولا يعلنونها ، حتى اذا رزقوا الأمان ، ونزلت عليهم سحائب الاطمئنان ظهرت الخلافات الكائنة ، وإذا هم لم يكونوا متفقين الا في التعلق باسم المسيح ، والاستمسك بالانتساب اليه ، من غير ان يتفقوا على شيء في حقيقته ، ولذا لما منحهم قسطنطين عطفه ، واعتزم الدخول في النصرانية ، ووجد هذا الاختلاف الشديد ، أمر بعقد مجمع نيقية .

### الاختلاف الخاص الذي انعقد المجمع بعده :

٨. — هذا هو السبب في عقد مجمع نيقية بشكل عام ، لكن له سبب خاصا يتعلق بنوع من هذه الخلافات ، وهو ما يسمونه في تاريخهم بدعة أريوس ، كان هذا الرجل في مصر داعية قوى الدعاية ، جريئا فيها ، واسع الحيلة ، بالغ الادب ، قد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما تبته بين المسيحيين من الوهية المسيح وتدعو اليه ، فقام هو محاربا ذلك ، مقرا بوحدانية المعبود ، منكرا ما جاء في الاناجيل مما يوهم تلك الالوهية .

### كلام أريوس :

وقد قال في بيان مقالته ابن البطريق : « كان يقول ان الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب اذ لم يكن الابن » .

ولم يكن بدعا في القول بهذه الفكرة بين المسيحيين ، بل انها كانت معروفة مذكورة مشهورة من قبله ، كما يقول المسيحيون انفسهم .

ولقد جاء في كتاب تاريخ الامة القبطية ما نصه : « الذنب ليس على أريوس بل على فئات أخرى سبقته في ايجاد هذه البدع . فأخذ هو عنها . ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديدا كما كان تأثير أريوس الذي جعل الكثيرين ينكرون سر الالوهية ، حتى انتشر هذا التعليم وعم » .

### انتشار رأى أريوس وطرق محاربته :

ولقد كان لرأى أريوس في اعتبار المسيح مخلوقا لله مشايعون كثيرون ، فقد كانت الكنيسة في اسيوط على هذا الرأى ، وعلى رأسها ميليتوس ، وكان انصاره في الاسكندرية نفسها كثيرين من حيث العدد ، اقوياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون ، كما كان لهذا الرأى مشايعون في فلسطين ومقدونية ، والقسطنطينية .

وقد أراد بطريرك الاسكندرية أن يقضى على هذه الفكرة ، فلم يعمد الى المناقشة والجدل ، حتى لا يتسع الخرق على الراقع ، وحتى لا يلحن بالحجة عليه أريوس ، ولكنه عمد الى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة .

ويبنى ذلك على أنه رأى المسيح يتبرا من أريوس ويلعنه ، نفى من الكنيسة مرتين لهذا الرأى ، وبحجة تلك الرؤى المنامية ، ومن امثلتهم قول

البطريك بطرس الذى أمر بنفيه : « أن السيد المسيح لعن أريوس هذا فاحذروه ، فانى رأيت المسيح فى النوم مشقوق الثوب ، فقلت له يا سيدى من شق ثوبك ؟ فقال لى : أريوس ، فاحذروا أن تدخلوه معكم » .

ولم يجد الننى وعلان الرؤى والأحلام فى القضاء على أريوس وجمع الناس حول قوة الكنيسة ، حتى اذا ولى أمر الكنيسة البطريك أسكندر أخذ يعالج المسألة بنوع من الحيلة والصبر ، فكتب الى أريوس وزعماء هذا الراى يدعوهم الى رأى كنيسة الاسكندرية ، ولكن محاولته لم تجد ايضا ، فعقد مجمعا فى كنيسته بالاسكندرية وحكم على أريوس بالحرمان منها فلم يخضع لهذا ولم يخضع ، وغادر الاسكندرية الى فلسطين .

وقد كان مذهب عدم الوهية المسيح ذاتها منتشرا ، وكان أسقف مقدونية على مذهب أريوس ايضا ، ويعظ على أساسه ، وفى الحق اننا نجد ان أسقف مقدونية وأسقف فلسطين ، وكنيسة أسيوط ، كل أولئك على رأى أريوس ، وكنيسة الاسكندرية وحدها هى التى تحاربه ، فالخلاف محصور اذن بين أريوس ، ومعه أسيوط وفلسطين ، ومقدونية وبين بطريك الاسكندرية .

### تدخل قسطنطين وجمع مجمع نيقيا :

٨١ - وقد تدخل قسطنطين امبراطور الرومان فى الأمر ، فأرسل كتابا الى أريوس والاسكندر يدعوها الى الوفاق ، ثم جمع بينهما ، ولكنها لم يتفقا ، فجمع مجمع نيقية سنة ٣٢٥ .

ويقول ابن البطريق المسيحى فى وصف المجتمعين وعددهم ما نصه : « بعث الملك قسطنطين الى جميع البلدان ، فجمع البطاركة والأساقفة . فاجتمع فى مدينة نيقية ثمانية واربعون ألفا من الاساقفة . وكانوا مختلفين فى الآراء والاديان ، فمنهم من كان يقول أن المسيح وأمه الهان من دون الله ، وهم البربرانية ، ويسمون المريميين ، ومنهم من كان يقول أن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار ، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها ، وهى مقالة سابليوس وشيعته ، ومنهم من كان يقول : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وانما مر فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب ، لأن الكلمة دخلت فى أذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها ، وهى مقالة البيان وأثياعه » .

ومنهم من كان يقول أن المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وان ابتداء الابن من مريم ، وانه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسى صحبته النعمة الالهية ، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمى ابن الله ، ويقولون : الله جوهر قديم واحد ، واقتنوم واحد ، ويسمونه بثلاثة أسماء ، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس ، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك انطاكية واشياعه ، وهم البوليقيانيون .

ومنهم من كان يقول انهم ثلاثة آلهة لم تنزل : صالح ، وطالح ، وعدل بينها ، وهى مقالة مرقيون اللعين واصحابه ، وزعموا أن مرقيون رئيس الحواريين ، وانكروا بطرس ، ومنهم من كان يقول بالوهية المسيح وهى مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثائة وثمانية عشر اسقنا « ا . ه . المراد منه .

### موقف قسطنطين من المتناظرين :

اجتمع اولئك المختلفون ، وسمع قسطنطين مقال كل فرقة من ممثليها ، فعجب أشد العجب مما رأى وسمع ، فامرهم ان يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من ، وأخلى دارا للمناظرة ، ولكنه جنح أخيرا الى رأى بولس ، وعقد مجلسا خاصا للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأى وكانت عدتهم ثمانية عشر وثلاثائة .

### انحيازه لرأى مؤلهى المسيح مع انهم ليسوا الكثرة :

ويقول فى ذلك ابن البطريق : « وضع الملك للثلاثائة والثمانية عشر اسقنا مجلسا خاصا عظيما ، وجلس فى وسطهم وأخذ خاتمه ، وسيفه ، وقضيه . فدفعه اليهم وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على ملكتى ، لتصنعوا ما يبنى لكم ان تصنعوا ما فيه قوام الدين ، وصلاح المؤمنين ، فباركوا الملك ، وقلدوه سيفه ، وقالوا له : أظهر دين النصرانية ، وذب عنه ، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع ، منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به ، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به » .

### العقيدة التى فرضها المجمع :

وضع هذا المجمع الحدود من الأساقفة قرارات فى العقيدة والشرائع ، ليقيدوا بها المسيحيين ، ولا يهنا الا بيان العقيدة التى قررها المجمع وفرضها على المسيحيين .

وقد ذكرها صاحب كتاب تاريخ الامة القبطية ، فقال عنها ما نصه :  
« ان الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم  
يكن ابن الله موجودا فيه ، وأنه لم يوجد قبل ان يولد ، وأنه وجد من  
لا شيء . أو من يقول ان الابن وجد من مادة أو جوهر غير الله الآب ،  
وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول أنه قابل للتغيير ، ويعتريه ظل  
دوران » .

### قراراته تؤيد برهبة السلطان :

٨٢ - انن قرر الجمع الوهية المسيح ، وأنه من جوهر الله ، وأنه  
قديم بقدمه ، وأنه لا يعتريه تغيير ولا تحول ، وفرضت تلك العقيدة على  
المسيحيين قاطبة مؤيدة سلطان قسطنطين ، لاعنة كل من يقول غير ذلك  
والذين فرضوا هذا القول ٣١٨ أسقفا ، ويخالفهم في ذلك نحو سبعمائة  
وآلف أسقف ، وان لم يكونوا متفتين فيما بينهم على نطة واحدة ، فهل ذلك  
الجمع لم يخل من نقد ؟ ان باب النقد فيه متسع .

### النقد الموجه الى الجمع :

( ١ ) وأول ما يلاحظه الناقد ان الذين دعوا اليه ، وجابوا الامصار  
ووصلوا الى نيقية بدعوة من قسطنطين ، وبتفاهم البطارقة فيما بينهم بلقوا  
ثمانية وأربعين ألفين من الأساتفة ، ولكننا نجد العدد ينزل الى ثمانية عشر  
وثلاثمائة أسقف ، فما هي آراء الباقين ؟ ولماذا أهملت كل هذا الاهمال ؟  
اكانوا جميعا مختلفين في النحل والآراء ، حتى ان نطة لم يصل عددها الى  
٣١٨ ، فلما تعذر الأخذ بالكثرة المطلقة التي يزيد عددها على النصف ،  
ولو واحدا ، اتجهوا الى الأخذ بالكثرة النسبية ، وهو اعتناق الراى الذى  
يأخذ به أكبر عدد فى الأصوات وان لم يصل النصف أو يقاربه ؟ ان الروى  
غير ذلك ، لان ابن البطريق يقول : ان قسطنطين هو الذى اختار ان يعقد  
أولئك الأساتفة الذين يبلغون ٣١٨ مجلسا خاصا بهم ، وحضر هو المجلس ،  
وأعطاهم شارة الملك والسلطان لأنهم أفلجوا على اخوانهم فى زعم ابن  
البطريق المسيحى التليلثى ، ولان الرواة يقولون ان أريوس لما اجتمع بهم  
والتى بدعوته ونحلته اليهم انضم الى آرائه أكثر من سبعمائة أسقف ،  
وذلك العدد هو أكبر عدد نالته نطة من تلك النحل المختلفة ، فلو كانت  
النصرة بالكثرة النسبية ، لكان الواجب ان يكون القلب لأريوس الذى

احتج بما تحت أيديهم من أناجيل ، فلما عرضوه بنصوص أخرى تدل على الوهية المسيح قرر تحريفها .

### الرغبة والرغبة من السلطان لهما دخل في القرارات :

ويظهر ان عصا السلطان ورغبة الملك كان لهما دخل في تكوين رأى الذين رأوا الوهية المسيح ، فلقد يروى ان أولئك الـ ٣١٨ لم يكونوا جميعين على القول بالوهية المسيح ، ولكن تحت سلطان الاغراء بالسلطة الذى قام به قسطنطين بدفعه اليهم شارة ملكه ليتحكموا في المملكة اجتمعوا . فقد دفعهم حب السلطان الى ان يوافقوا هوى قسطنطين الذى ظهر في عقده مجلسا خاصا بهم دون الباقين ، لاعتقاده امكان اغرائهم . فامضى أولئك ذلك القرار تحت سلطان الترهيب او الترغيب ، او هما معا . وبذلك قرروا الوهية المسيح ، وفسروا الناس عليه بقوة السيف ، ورهبة الحكام .

### المجمع فرض لنفسه سلطانا كهنوتيا على الناس :

(ب) ان المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقى على الناس اوامر الدين وعليهم ان يطيعوا راغبين او كارهين ، وقرر ان تعاليم الدين لا يتلقونها من كتب المسيحية راسا ، بل لا بد من تلقيها من افواه العلماء ورجال الكهنوت ، وان اقوالهم في ذاتها حجة ، سواء اختلفت النصوص ام وافقت ، وسواء اكانت الصواب ، ام جاءت الحق ، وان ذلك كان له ما بعده في المسيحية . وهو مخالف كل المخالفة لما جاء في تعاليم المسيح المنصوص عليها ، حتى كتبهم التى يقرعونها ويعترفون بها ، فقد جاء في الاصحاح العشرين من انجيل متى ما نصه : « رؤساء الأمم يسودونهم ، والعطاء يسلطون عليهم ، فلا يكن فيكم هذا » ولكن العلماء تسلطوا على اخوانهم المسيحيين لما اعطاهم قسطنطين خاتمه وسيفه وقضيه ، وبذلك خالفوا المسيح عليه السلام ليطيعوا قسطنطين .

### امره بتحريق ما يخالفه :

(ج) ان المجمع امر بتحريق الكتب التى تخالف رايه ، وتتبعها في كل مكان ، وحث الناس على تحريم قرائتها ، فهو بهذا يمنع ان يصل الى الناس علم باى امر من الأمور التى تخالف رايه ، وهو بهذا يحاول التحكم في القلوب ، والسيطرة على النفوس بحملها على قراءة ما وافق رايه ، ومنعها

بنما بانا جازما من أن نقرأ غيره ، ويسد عليها منافذ النور للاهتداء الى ما يخالفه ، ولعل المجمع مخطيء في ذلك التحريم ، وآثم في ذلك التحريف ، بل أن المجمع العامة من بعد قد خطاته ، فأعدت الى حظيرة التقديس كتباً حرمتها ، وأخرجت من البلى كتباً حرمتها ، قد حرم كتباً من العهد القديم ، ولم يعترف بها فاعترفت بها المجمع المسيحية من بعده ، وحرّم من كتب النصارى المعتبرة الآن : رسالة بولس الى العبرانيين ، والرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يعقوب ، ورسالة يهوذا ، ومشاهدات يوحنا ، ولكن المجمع من بعد أقرتها ، واجمعت عليها .

اذن لم يكن المجمع مصيباً من كل الوجوه ، وإن أخطأ في معرفة الصحيح من الكتب ، فأراؤه الأخرى أكثر عرضة للخطأ وأكثر استهدافنا للنقد ، لعل أشدها صلة بالباطل ، وأقربها به رحماً ، وأدناه اليه هو ما يتعلق بالعقيدة .

### قسطنطين يتدخل ذلك التدخل وهو لم ينتصر :

( د ) بقى أمر نشر اليه اشارة خفيفة ، وهو مقام قسطنطين في المسيحية عند انعتاد ذلك المجمع ، أكان مسيحياً عابثاً بالمسيحية في ذلك الابان ، حتى ساغ له أن يحكم لبعض المجتمعين ، وأن لم يكونوا الكثرة على أى اعتبار كانت الكثرة ، أكثر مطلقاً أم كثرة نسبية ؟ .

يقول المؤرخ ابوسيبوس الذى تقدس كلامه الكنيسة ، وتسميه سلطان المؤرخين : « ان قسطنطين عهد حين كان اسير الفرائس ، وإن الذى عمدته هو ذلك المؤرخ نفسه ، وقد كان له صديقاً » .

والتعميد اعلان دخول المسيحية ، اذن فقسطنطين ما كان مسيحياً في ابان انعتاد ذلك المجمع ، وما كان من حقه أن يحكم بفلج هؤلاء ، ويسوغ لنا أن نقول انه كان له في هذا أرب خاص ، وهو تقربها من وثنيته ، أو على الأقل عندما رجح رأى فريق على فريق كان يرجح ما هو أقرب الى وثنيته ، وأدنى الى ما يعرفه من عقيدة ، فلم تكن الحجة القوية في جانب ترجيحه على هذا الاعتبار ، أو كان متهماً في ترجيحه بناء على الاعتبار الأول ، وسواء أكان هذا أم ذلك ، فهو قد رجح ما هو أقرب الى الوثنية لوثنيته .



## تلقى المسيحيين لقرارات المجمع :

٨٣ - ولكن هل أمات ذلك الراى الوجدانية التى كان يجاهر بها أريوس ، وهل قضى ذلك المجمع القضاء المبرم عليها ؟ انه لو فرض أبعد الفروض عن الحق ، وكانت كثرة المجمع العام على غير راي أريوس ما انتصروا عليه ولا قضوا على ما يدعو اليه لان الآراء لا تنتصر بكثرة العدد بل بقوة الدليل وقوة تصور العقيدة ، وقوة الاقتناع بها ، وسهولة دخولها الى العقل ، واستساغته لها ، ولذلك لم يقض المجمع على فكرة الوجدانية . بل ربما كانت المحاولة للقضاء عليها سببا فى شدة الاستمسك بها ، والمبالغة فى المحافظة عليها مما يراد بها .

ولذلك أخذ البطارقة الذين لعنوا لاعتناقها يعملون الحيلة للاحتفاظ بها وحياطتها ، واتخذوا الخديعة سبيلا لذلك . فتقربوا من قسطنطين وأظهروا له الاتلاع عما كانوا عليه ليعودوا الى ما كان لهم من مناصب . ويستطيعوا مناصرة فكرتهم . ولينالوا ثقة قسطنطين . ومن طريق هذه الثقة ينفذون الى نفسه . ويثمنونه هو بالتوحيد . ليستطيع أن يخدمه بسلطانه وقوته . كما خدم الوهية المسيح ، أو على الأقل ليقف موقف الحياد ويترك الآراء تسير فى مجراها الطبيعى ، ولتقمص عليك محاولة من محاولات الموحدين .

## مجمع صور يرفض بالإجماع قرار مجمع نيقية :

يذكر ابن البطريق أن أوسابيوس أسقف نيقومدية كان موحدا من مناصري أريوس فى المجمع العام قبل أن تبعده عنه كثرته . ولعن من أجل هذا وأراد أن يتقرب من قسطنطين « فأظهر أنه وافق على قرار الثمانية عشر والثلاثمائة فأزال عنه اللعنة قسطنطين ، وجعله بطريك القسطنطينية ، فما أن ولى هذه الولاية حتى صار يعمل للوجدانية فى الخفاء فلما أجمع المجمع الاقليمى فى صور حضره هو وبطريك الاسكندرية الذى كان يمثل فكرة الوهية المسيح ويدعو اليها ، وينفرد من بين البطارقة فى المبالغة فى الدعوة اليها ، والحث عليها ، ولعن كل من يقاومها .

وانتهز أوسابيوس فرصة ذلك الاجتماع وأثار مقالة أريوس ، ورأيه فى المسيح وانكار الوهية . وكان فى ذلك المجمع كثيرون من الموحدين المستمسكين به ، اذ لم يحتاطوا بإبعادهم ، كما فعلوا فى المجمع العام ( م ٩ - محاضرات فى النصرانية )

بنيقية . واشتد النقاش بين رئيس كنيسة الاسكندرية ، وبين المجتمعين ، ولم يكتفوا بالنقاش القولى بل امتدت الايدى الى بطريرك الاسكندرية وعمدت الى رأسه لأخراج الوثنية منها ، فضربوه حتى ادموه ، وكادوا ان يقتلوه ، ولم يخلصه من أيديهم الا ابن أخت الملك الذى كان حاضرا ذلك الاجتماع ، ولكن لما بلغ ذلك قسطنطين كرمه .

### ما يستنبط من هذا :

وما سقنا ذلك القصص لرضانا عن تأييد الراى بالعصا وجمع اليد ، ولكن سقناه ليتبين منه القارىء مقدار حماسة الموحدين من أهل المسيحية الاولى لعقيدة التوحيد ، وانهم فى تلك الحماسة لا يأبهون لشيء ، ولا يهمهم اغضاب نوى السلطان أو ارضائهم ، وسقناه لتعلم أن الموحدين كما يظهر من رواية الكتب المسيحية ، وكما يستنبط كانوا الكثرة الغالبة فى المسيحيين ، فلى مجمع نيقية كانوا الكثرة ، وفى مجمع صور الخاص كانوا للجميع ما عدا رئيس كنيسة الاسكندرية . واذا كانوا الكثرة فى المؤتمرات خاصة وعامة ، فلا بد أن يكونوا الكثرة فى جمهور المسيحيين .

واذن تكون فكرة الوهية المسيح هى العارضة والأصل هو التوحيد كما يستنبط القارىء من المصادر المسيحية نفسها . وسقناه لتعلم أن قسطنطين كان يشجع دائما المخالفين للتوحيد . وإن كان لا يظهر السخط على غيرهم أحيانا . وسقناه لتعلم أن مجمع صور كان يخالف كل المخالفة مجمع الثمانية عشر والثلاثمائة . وأخيرا سقناه لتعلم أن موطن الدعاية للوهية المسيح كانت كنيسة الاسكندرية وحدها ، فهى التى حاربت أريوس . وهى التى لعنته مرتين ، ورئيسها هو الذى خالف فى صور ، ونال عقاب المخالفة جزاء وفاتقا .

فهل لنا أن نقول أن التثليث الذى اشتملت عليه فلسفة الاسكندرية كان يعلن على السنة بطاركتها . وانهم كانوا يمثلون تلك الفلسفة بأرائهم أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح عليه السلام ؟ ان ذلك هو مفتاح التاريخ الصحيح فمن أراد أن يعرف كيف حالت المسيحية من توحيد الى تاليه للمسيح ، فليستن به .

### نشاط الموحدين :

٨٤ - ولم ين الموحدون عن اعلان الاستمساك بعقيدتهم ، وتخطئة

الذين اعلنوا الوهية المسيح ، ومعهم في ذلك الكثرة العظمى من المسيحيين ، كما يدل على ذلك ما سننقله من تاريخ ابن البطريق ، فلقد حاولوا أن يجذبوا قسطنطين ابن قسطنطين الى رايمهم بعد أن مات أبوه ، فاجتمعوا به . وحسنوا رأى الموحدين له ، وبينوا له أنه صميم المسيحية ، وأن الاساقفة الذين ناقضوه خالفوا وجه الحق ، ولم يكونوا آخذين بتعاليم السيد المسيح التي بشر بها بين الأثام ، ولكنه لم يعمل على نصرتهم ، ولم يعاونهم في دعايتهم ، مع أن أكثر المسيحيين في ذلك العصر كانوا موحدين .

يقول ابن البطريق : « في ذلك العصر غلبت مقالة أريوس على القسطنطينية ، وانطاكية وبابل ، والاسكندرية » . وأسويط قد علمت أن كنيستها كانت موحدة .

ويقول في بيان حال الاسكندرية ومصر بعد الاجمال السابق « فأما أهل مصر والاسكندرية فكان أكثرهم أريوسيين ، فغلبوا على كنائس مصر والاسكندرية وأخذوها ، ووثبوا على اثناسيوس بطريرك الاسكندرية ليقتلوه ، فهرب منهم واختفى » .

وقد كان على كثير من الكنائس رؤساء موحدون يستمسكون بالتوحيد ويحثون على الاستمسك به ، وكلما ولي أسقف غير موحد ثاروا به ، وهموا بقتله ، وهذا ابن البطريق يقص علينا أن بطريق بيت المقدس لم يكن موحدا فيثور عليه الموحدون ، ويهمون بقتله فيهرب منهم ، فيقول في ذلك « وثب أهل بيت المقدس ، من كان منهم أريوسيا على كورلس أسقف بيت المقدس ليقتلوه ، فهرب منهم ، فصيروا أراقلبيوس أسقفا على بيت المقدس ، ولكن أريوسيا » .

وهكذا نجد مغالبة قوية بين التوحيد والوهية المسيح ، الأولى تغلب بالكثرة وقوة الايمان ، وسعة الحيلة ، والثانية بقوة السلطان ، وبقلية الوثنية والذين كانوا متأثرين بها ، ووجدوا موعمة بينها وبين ما يالفون ، فابتغوها لقربها مما ألفوا وعرفوا . وأمكنته التقاليد من نفوسهم . ولكن قوة السلطان طمست نور المذهب الأول . إذ انها احتاطت فجعلت كل الاساقفة ممن لم يكونوا موحدين . واحتاطت أشد الاحتياط في ذلك ، وأخذ أولئك يسيطرون على قلوب العامة بالرؤى والأحلام والهجمات يزعمونها ، حتى اختفى المذهب الحق في لجة التاريخ ، ولم يبد على السطح الا الوهية المسيح .

سبب انعقاده :

٨٥ - تقرر في مجمع نيقية أن المسيح اله ، وأنه ابن الآب وأنه جوهر قديم من جوهر الآب ، ولم يتعرض للروح القدس أهو اله أم روح مخلوق ، وليس باله . ولم يكن مجمع نيقية قد أصدر قرارا في هذا الأمر ، لذلك ظهرت أفكار بين المسيحيين لا تعترف له بالوهيته ، ويظهر أن الاسكندرية التي كانت مهذا للانلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث وأن المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه ، قوة المكون الأول ، والعقل ( الابن ) والنفس العامة ( الروح القدس ) - تريد أن تفرض ذلك لفرضه على المسيحيين ، كما كانت العامل القوى في اعلان الوهية المسيح .

عدد المجمع والطقن في كونه عاما :

اخذ يجاهر رجل اسمه مقدونيوس بأن الروح القدس ليس باله ، ولكنه مخلوق مصنوع ، وشاعت مقالته بين الناس ، ولم يجدوا فيها نكرا ولا أمرا لا يقره العقل أو تاباه المسيحية . فاجتمع الى الملك ذوو الأمر من وزرائه وقواده ، وبلغوه أن العاملة قد فسدوا ، فهم ما زالوا متأثرين بوحداية أريوس ، واعتنقوا مذهب مقدونيوس في أن الروح القدس ليس باله قديم ، بل هو مخلوق مصنوع ، وحرصوه على أن يجمع جمعا من الاساتنة يثبتون عقيدة المجمع النيقوي ويدحضون قول مقدونيوس . فاجتمع في القسطنطينية خمسون ومائة أسقف وكان المقدم فيها بطريرك الاسكندرية ، ويظهر أن ذلك العدد لم يكن ممثلا لكل الكنائس . ولكل الأقاليم ، ولذلك كان اعتباره مجمعا عاما من الأمور التي ثارت حولها الأقوال .

فيقول في ذلك صاحب كتاب سوسنة سليمان : « قال الزهبان المندكيتيون أن المجمع الذي لم يكن أربابه الا مائة وخمسين أسقفا لا ينظم في سلك المجمع المسكونية الا بعد أن تقره جميع الكنائس » .

## بطريك الاسكندرية هو الذى يقرر الوهية روح القدس :

اجتمع هذا المجمع فى القسطنطينية ، وتذاكر المجتمعون فيمن هو  
أولى بالرياسة فقرر رأيهم على أن تكون الرياسة لاسقف القسطنطينية ،  
وبذلك نحى عنها رئيس كنيسة الاسكندرية . وكان لذلك اثره فى نفوس  
تابعى تلك الكنيسة كما جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية . ولكن مع ابعاد  
ممثل كنيسة الاسكندرية عن مكان الرياسة ، وموضع الزعامة الذى كان  
لمسلفه فى مجمع نيقية كان هو المقدم فى المناقشة ، وتقرير الراى الذى اجمع  
عليه المؤتمر بعد ذلك ، وهذا ما نقله ابن البطريرك عنه بنصه : ( قال  
ثيودوروس بطريرك الاسكندرية : ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح  
الله ، وليس روح الله شيئا غير حياته . فإذا قلنا ان روح القدس مخلوق ،  
فقد قلنا ان حياته مخلوقة واذا قلنا ان حياته مخلوقة ، فقد زعمنا أنه غير  
حى ، واذا زعمنا أنه غير حى فقد كفرنا به ، ومن كفر به وجب عليه  
اللعن ) .

## قرار المجمع يوافق راى بطريرك الاسكندرية :

واتفقوا على لعن مقدونيوس ، فلعنوه هو وأشياعه ، ولعنوا  
البطاركة الذين يكونون بعده ، ويقولون بمثاليته ، اذن كان للاسكندرية  
فضل الصدارة فى القول ، والقيادة فى الراى العام ، وان لم تكن لها  
الرياسة .

## نظرة فاحصة :

ونريد ان نستطرد استطرادة صغيرة عاجلة ، وهى أن ننظر فى تلك  
السلسلة الفكرية التى ساقها فى شكل دليل شرطى كثرت مقدماته وكثرت  
تالياته ، وان نظرة سريعة فاحصة الى الأساس الذى قامت عليه السلسلة  
تريانا أنه جعل روح القدس هى روح الله ، وهذا لا يسلمه له مخالفه .  
ولا يستطيع هو أن يقيم عليه دليلا .

ان روح القدس خلقه الله ، واتخذة ليكون رسولا بينه وبين من يريد  
أن يلتقى عليه وحيا من خلقه أو أمرا كونيا ، فهى ليست روح الله المتعلقة

بذاته ، وليس عنده من دليل على ما قال ، ولكن هكذا ساق السلسلة ،  
وهكذا اقتنع سامعوه . وبذلك تم له الثالوث الذى يتشابه تماما مع فلسفة  
الاسكندرية ، وقد أهلنها بطيريك الاسكندرية ، وزادوا بذلك على مجمع  
نيقية هذا الأتفوم الثالث .

ويقول ابن البطريق فى بيان قرارهم : « زادوا فى الأمانة التى وضعها  
الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا الذين اجتمعوا فى نيقية الايمان بروح القدس  
الرب المحيى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن مسجود له ، ومجد  
وثبتوا ان الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاث  
خواص ، وحدية فى تثليث ، وتثليث فى وحدية ، كيان واحد فى ثلاثة أقانيم .  
اله واحد ، جوهر واحد ، طبيعة واحدة » .

أذن تقرر التثليث ، وتمت أقانيه ، ولكن ما زال للمؤتمرات العامة  
والمجامع العامة موضع ، فان طبيعة المسيح الانسانية والالهية ، كيف  
تجتمعان ؟ هذا موضع الخلاف . ولهذا تجتمع المؤتمرات .

سبب انعقاده :

٨٦ - اول اختلاف بينهم بعد تقرير الثالوث أن بطريرك القسطنطينية نسطور رأى أن هناك اقنوما وطبيعة ، فاقنوم الالهية من الآب . وتنسب اليه . وطبيعة الانسان وقد ولدت من مريم . فمريم أم الانسان ، وليست أم اله .

ويقول في المسيح الذى ظهر بين الناس وخطبهم ، كما نقله عنه ابن البطريق : « أن هذا الانسان الذى يقول انه المسيح . بالمحبة متحد مع الآب ، ويقال أنه الله وابن الله ليس بالحقيقة ، ولكن بالوهبة » .

ويظهر من هذا أن المسيح الذى ظهر بين الناس لم يكن الها بحال من الأحوال ، ولكنه مبارك بما وهبه الله من آيات وتقديس .

ولذا جاء في تاريخ الامة القبطية عن نحلته ما نصه :

النسطوريون ينكرون الالهية المسيح :

« اها هرطقة نسطور هذه فلم تكن كفرها نشأت عن اختلاف في عقائد وضعها الآباء والأخبار ، بل هي جوهرية تختص بأعظم موضوعات الايمان والأركان في الدين المسيحي ، ذلك ان نسطور ذهب الى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن الها في حد ذاته ، بل هو انسان مملوء من البركة والنعمة ، أو هو ملهم من الله ، فلم يرتكب خطيئة ، وما أتى امرا اذا » .

على هذا التخريج يكون نسطور لا يعتقد بالوهية المسيح . وان كان يعتقد أنه فوق الناس ، وليس مثلهم ، ولقد جهر بهذا الراى ، ونادى به ، وهو رئيس لكنيسة القسطنطينية ، ولها مكانتها ، ولكن خلفه غيره من الأساقفة ، فكان أسقف روما يعلنه براهه المخالف له ، مع ما عند نسطور فيما رآه من بينات ، وأدلة .

ولقد بلغت مقالة نسطور بطريرك الاسكندرية ، وجرت المراسلات بين أسقف الاسكندرية وأساقفة انطاكية ورومة وبيت المقدس ، فاتفقوا على عقد مجمع انفسس للنظر في هذا الراى ، وإعلان صاحبه بالتبرؤ منه ،

ولعنه ان اصر على رايه ، ودعوه لىسمع حكمهم فى رايه . ويظهر انه عرفه قبل ان يجتمع المجمع . وانهم مصرون على ما اعلنوه ، كما انه مصر على رايه ، فلم يجد كبير فائدة فى حضور المجمع ، فلم يحضر لا هو ولا بطريك انطاكية .

وانعقد المجمع وعدده نحو مائتين من الاساقفة ، وقرروا ما نصه كما جاء فى تاريخ ابن البطريق :

« ان مريم العذراء والدة الله ، وان المسيح اله حق وانسان معروف بطبيعتين ، متوحد فى الاقنوم » ولقد لعنوا نسطور .

### قرار المجمع والاحتجاج عليه :

فلما بلغ ذلك القرار يوحنا بطريك انطاكية غضب ، واحتج على المجمع ، فاختلف المجتمعون على راين ، واصر المشرقيون على الراى الذى اعلنه المجلس اولا ، وكتبوا صحيفة فيها « ان مريم القديسة العذراء ولدت الهنا وربنا يسوع المسيح الذى مع ابيه فى الطبيعة ، ومع الناس فى الناسوت والطبيعة » واقروا بطبيعتين ، ووجه واحد واقنوم واحد ، خالفهم بطريك الاسكندرية اولا ، ولكن يقول ابن البطريق انه وافق بعد ذلك وكتب اليهم : « ان امانتى التى فى صحيفتكم » .

### انتشار النسطورية فى الشرق :

ولكن لم يخضع نسطور لذلك القرار . فنفى الى مصر . ولم يندرس مذهبه بذلك النفى ، ولقد وجد ارضا سالحة لها فى الشرق ، فلقد نهضت النسطورية فى نصيين ، ويقول ابن البطريق : « تكاثرت النسطورية فى المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة » .



## ٤ - مجمع خليكونية سنة ٤٥١

كنيسة الاسكندرية تعلن ان المسيح اله قد اتحد فيه اللاهوت  
والناسوت وصارا طبيعة واحدة :

٨٧ - ولم يحسم ذلك المجمع الخلاف في مسألة اجتماع العنصر  
الانسانى والعنصر الالهى فى المسيح ، فلم يقض على نحلة نسطورس قضاء  
مبرما ، وان كان قد نفاه وآذاه ، بل نمت نحلته بعد ذلك فى المشرق ، وذاعت  
فى البلاد التى ذكرها ابن البطريق ، ولم يقم الخلاف فى ذلك عند نسطور  
وأتباعه ، بل أن كنيسة الاسكندرية قد خرجت هى الأخرى برأى جديد  
عرضته على الملائمة الأساقفة وجمعوا له جمعا قرروه فيه ، وذلك الرأى  
أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت ، وانعقد لأجل  
هذا مجمع أنسس الثانى الذى تسميه الكنيسة الكاثوليكية مجمع اللصوص،  
وفى هذا المجمع أعلن ذلك الرأى .

فلما عارضه بطريرك القسطنطينية وأعلن انسحابه من المجلس ،  
وعدم احترامه ، أمرهم رئيس المجلس بإعلان حرمانه ، وحدث خارج  
المجلس صخب شديد ، وضجة كاد أن يقتل فيها رئيس كنيسة القسطنطينية  
وقد اشتد الاختلاف بعد ذلك حول هذا المجمع ، أهو صحيح محترم  
السلطان ، أم هو مجمع غير عام لا تلتزم بأرائه الكنائس كلها ؟ واشتد  
الاختلاف فى قرارات الحرمان التى أصدرها ، أهى محترمة واجبة التنفيذ ،  
أم هى باطلة ، لأنها صادرة عن غير سلطة ؟ حتى جاءت ملكة على الرومان  
تخالف ذلك الرأى ، وتميل لغيره . فلتنفيذ رأيا فى هذا الخلاف الشديد  
حول مجمع أنسس الثانى وقراراته - أمرت ، هى وزوجها ، بعقد مؤتمر  
عام ، فاجتمع فى مدينة خليكونية عشرون وخمسمائة أسقف ، وكان  
الاجتماع تحت إشراف زوج الملكة ، واجتمع فى شهر اكتوبر سنة ٤٥١ .

### طلب انسحاب بطريرك الاسكندرية ورفض الطلب :

وتقول مؤلفة تاريخ كتاب الأمة القبطية : « وكان اول اقتراح طلبه  
مندوبو رومية انسحاب ديسقورس بطريرك الاسكندرية من المجلس .

فسأل الرئيس عن الباعث لهذا الانسحاب وعن الأسباب التي طجىء المجمع الى اخراج هذا البطريك من قاعته ؟ فكان اعراض هؤلاء ان ديسقورس شكل مجمعا دون ان يستأذن الكرسي الرسولى \* ويقصدون بالكرسى الرسولى بابا القسطنطينية . . فلم يصادق مندوبو الحكومة على هذا الرأى السقيم ، وقرر المجمع بقاء ديسقورس ، ولكن على غير كرسى الرئاسة ، كما كان فى المجمع السابق لأنها أصبحت فى يد رجال الامبراطورة ، وقد حدث ضجيج وصخب ومنازعات فى أثناء الاجتماع مما جعل مندوبى الحكومة يصيحون فيهم قائلين بلسان احدهم : « انه لا يجدر بالأساقفة وأئمة الدين ان يأتوا مثل هذه الأعمال الشائنة من صياح ، وصراخ ، وسب ، وقذف ، وضرب ولكم . بل يجب عليهم ان يكونوا قدوة للشعب فى الهدوء وتسيير الأمور على محور الحكمة والسداد ، ولذلك نرجوكم ان تستعملوا البرهان بدل المهاترة ، والدليل عوضا عن القول الهراء ، وأميلوا آذانكم الى سماع ما سيئلى عليكم » .

### التشغب فى المجمع :

وسارت المناقشة بعد ذلك فى جو عنيف متعصب وانتهى المجمع الى ان قرر ، ان المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة ، وان الالهية طبيعة وحدها ، والناسوت طبيعة وحده . التقنا فى المسيح .

### قرار المجمع ان المسيح له طبيعتان :

وقد تال ابن البطريق فى بيان قرار المجمع : « قالوا ان مريم العذراء ولدت الهنا ، ربنا يسوع المسيح الذى هو مع ابيه فى الطبيعة الالهية ، ومع الناس فى الطبيعة الانسانية ، وشهدوا ان المسيح له طبيعتان ، واقتوم واحد ، ووجه واحد ، ولعنوا نسطورس ، ولعنوا ديسقورس ، ومن يقول بمثلته ، ونفوه ولعنوا المجمع الثانى الذى كان بأفسس وقد نفى ديسقورس الى فلسطين » .

### الانشقاق ومداه :

٨٨ — هنا نرى انشقاقا بين المسيحية المثلثة ، واختلافا يكون بعيد المدى فى الاجيال المقبلة ، وهو أساس اختلاف الكنائس الى يومنا الحاضر

فهذا المجمع يرى ان المسيح له طبيعتان احدهما انسانية يشارك فيها الناس والاخرى لاهوتية ، واقتنوم الابن مكون من الطبيعتين ، وهو بذلك يخالف النسطوريين ، لانهم يقولون : ان اقتنوم الابن لم يكن من العنصرين ، بل من العنصر الانساني وحده ، ويخالف قرار المسس الثاني الذي يقول ان المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتى من الروح القدس ، ومن مريم العذراء مصيرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية بمنزلة عن الاختلاط والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن التجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشيئة واحدة ، وقد بدت آثار ذلك المجمع سريعة واضحة .

فان المصريين عندما بلغهم ما نزل برئيس كنيستهم غضبوا ، واجمعوا امرهم على عدم الاعتراف بقرارات ذلك المجمع .

### عدم اعتراف المصريين بقرار المجمع :

وتقول مؤلفة كتاب تاريخ الامة القبطية : « ولما طرق مسامح المصريين ما لحق ببطريركهم من الحرمان والعزل هاجوا وغضبوا ، واتفقوا على عدم الاعتراف بقرار المجمع الذى اصدر هذا الحكم ، واصلوا رضاهم ببقاء بطريركهم رئيسا عليهم ، ولو انه محروم مشجوب ، وان ايمانه ومعتدده هو عين ايمانهم ومعتددهم ، ولو خالفه فيها جميع اباطرة القسطنطينية ، وبطاركة رومية ، ولقد اعتبر المصريون ان الحكم الذى صدر ضد بطريركهم ماس بحريتهم الوطنية ، مجحف بحقوقهم السياسية ، ولو انه حكم بديلى . »

ولقد اشتد النزاع بسبب هذا بين المصريين والرومان فثار المصريون وغضبوا عندما راوا بطريركا يعين على غير مذهبهم ، وعلى غير رغبتهم ، واستمروا على غضبهم ، نصاروا ينتقضون الحين بعد الحين ، كلما لاحت لهم الفرصة ، وديسقورس لم يمنعه النفى من ان يدعو المسيحيين الى اعتقاده فى منفاه .

ويقول ابن البطريق : « لما نفى سار الى فلسطين ، وبيت المقدس فانفسد دين كل من بفلسطين وبيت المقدس ، حتى قالوا بمقاتله » .

### المصريون يرفضون تعيين بطريرك على غير مذهبهم :

٨٩ - ولقد كان الاختلاف يشند كلما عين الرومان بطريركا ، فان المصريين يرفضونه محتجين بأنه على غير مذهبهم ومن غير جماعتهم ، ويجب ان يكون بطريركهم بعد هذا الاختلاف من المذهب الذى ارتضوه دينا ، وباختيارهم ، فكان بعض الأباطرة يأخذهم بالعنف ، وأولئك هم الاكثرون ، وبعضهم يأخذهم بحسن السياسة ولطف الكياسة ، فيترك لهم الحرية فى اختيار بطريركهم ، والاطمئنان الى مذهبهم ، وكانت الأيام والسنوات هكذا تسير أحيانا على نهج من الهدوء والرفق ، وأحيانا كثيرة على شطط وعنف .

### يعقوب البرادعى ونسبة المذهب المصرى اليه :

وفى هذه الأثناء يتغلغل فى ربوع الدولة الرومانية الدعاة الى المذهب المصرى والدعاة الى المذهب الرومانى أو مذهب رومية مقر الأباطرة أو المذهب الملكى كما سماه العرب من بعد . ولقد ظهر للمذهب المصرى داعية قسوى الشكيمة قوى المعارضة ، بليغ الأثر ، اسمه يعقوب البرادعى ، قد أخذ يجول فى وسط القرن السادس الميلادى فى البلاد الرومانية الى مصر ، يدعو الناس الى اعتناق مذهب الكنيسة المصرية ، ويبعث ذلك المذهب فى نفوسهم ، ويدخله فى قلوبهم ، وسلك فى سبيل ذلك المخاطرة والجرأة ، لا يابى لقوة مهما تكن ، ولا لذى خطر مهما يكن شأنه .

وتقول صاحبة كتاب تاريخ الأمة القبطية : « قيل انه رسم ٨٩ أسقفا ، والوفنا من الكهنة والقسسوس ، ومن ذلك الحين اطلقت كلمة يعقوبيين على جميع الذين يذهبون الى أن للمسيح طبيعة واحدة اشتقاقا من اسم يعقوب البرادعى زعيم هذا الحزب .

ولكن من الخلط الكبير ، والخبط الذى يدل على الجهل اطلاق لفظ يعقوبيين على الكنيسة القبطية المصرية ، لان مذهبها نشأ قبله ، وهو تبعه ، اذ لا علاقة لها بيعقوب ، اما اذا سميت الكنيسة الرومانية بالكنيسة الملكية فانت مصيب غير مخطيء ، لان هذا الاسم صار علما للكنيسة

المذكورة من بعد الفتح الاسلامى ، وهو اسم عربى الاصل مشتق من كلمة ملك ، ومعناها الذين ينحازون الى الملك ، أو الامبراطور الرومانى مذهباً وسياسة .

### انفصال الكنيسة المصرية نهائياً :

٩٠ - ولقد كان قرار مجمع خليكونية هو السبب فى انقسام الكنائس ، أو بعبارة أدق هو السبب فى انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية ، ولقد لخص صاحب كتاب تاريخ المسيحية فى مصر عقيدة الكنيسة المصرية فقال : « كنيستنا المستقيمة الراى التى تسلمت ايمانها من كيرلس ، وديسقورس ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية ، والسريانية الأرثوذكية تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الأتانيم ، اقنوم الاب ، واقنوم الابن ، واقنوم الروح القدس ، وان الاقنوم الثانى اى اقنوم الابن تجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء . فصر هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط ، والامتزاج والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشيئة واحدة » .

هذه هى قرارات تلك الكنيسة ، وهى تخالف ما تقرر فى مجمع خليكونية كما علمنا .

## المجامع الباقية

### المجامع السابقة تقرر المسيحية الحاضرة :

٩١ - عنينا ببيان المجامع الأربعة السابقة ببعض التفصيل ، ولم نضن على القرطاس فيها ببعض الاطناب ، لأنها المجمع التي قررت بها العقيدة المسيحية الحاضرة .

فأولها تقرر الوهية المسيح ، وثانيها تقرر الوهية الروح القدس ، وثالثها تقرر أن المسيح اجتمع فيه الانسان والاله ، لا الانسان فقط ، وأن مريم ولدت الاثنين ، ورابعها تقرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين ، لا طبيعة واحدة متحدة ، والمجامع الثلاثة الاولى اتفقوا على انها مجمع علمة تلزم بأحكامها المسيحيين اجمعين ، أما المجمع الرابع فهو ليس مجعاً عاماً في نظر المصريين ، والكنايس التي تنهج نهج كنيستهم .

والمجامع الآتية بعد ذلك ليس فيها مجمع قد اجمع عليه المسيحيون قاطبة بأنه مجمع عام مسكوني كما يعبرون ، فكل هذه المجمع لم تمثل فيها الكنيسة المصرية بعد انشقاقها على كنيسة رومة ، أو انشقاق كنيسة روما عليها .

وانا نشير الى هذه المجمع اشارة ، ولا نعرج عليها بتفصيل لذلك ، ولأن قراراتها كانت في فروع جزئية لا تتصل بلب التثليث الا في بعض المجمع ، وبقدر يسير ، لا يمس الجوهر ، ولا يتقلقل في صميمه ، وقد تعرض لهذا بقليل من التفصيل .

ولقد كان المجمع الخامس بالقسطنطينية سنة ٥٥٣ ، ويسمى المجمع القسطنطيني الثاني .

### المجمع القسطنطيني الثاني وسبب انعقاده :

ويذكر ابن البطريق ان ذلك المجمع انعقد بسبب ان بعض الاساقفة اعتنق فكرة تناسخ الأرواح ، وسار فيها الى أقصى مداها . حتى لقد قال انه ليس هناك قيامة ، وبسبب ان بعض الاساقفة قد زعموا ان شخص المسيح لم يكن حقيقة ، بل كان خيالا ، فاجتمع لذلك هذا المجمع ، وكانت عدة الحاضرين فيه أربعين ومائة ، فقرروا حرمان هؤلاء الاساقفة ، وانعزلهم

وطردهم من زمرة المسيحيين ، ولم يكتفوا في اجتماعهم باصدار قرارهم في هذه الامور ، بل ثبتوا قرارات المجامع السابقة ، ومنها قرار مجمع خليكدونية ، وبذلك ثبتوا عقيدة كون المسيح ذا طبيعتين ، واكدوا انكار الطبيعة الواحدة التي اعتنقتها كنيسة مصر . ومن والاها من المسيحيين .

### المارونية :

٩٢ - وقد ظهر رجل اسمه يوحنا مارون في القرن السابع الميلادي سنة ٦٦٧ كان يقول ان المسيح ذو طبيعتين ، ولكنه ذو مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في اقنوم واحد ، ولكن يظهر ان هذه المقالة لم ترق في نظر البطارقة لذلك ، فاعزوا الى الامبراطور ان يجمع جمعا عاما في زعمهم ، ليقر بان المسيح ذو طبيعتين ، وذو مشيئتين ، بعد ان استوثقوا من ان الامبراطور ، واسمه يوغاقوس على رأيهم ، بمكاتبات تبادلوها معه .

فقد جاء في احد كتبه : « نحن نقر ، ونؤمن بطبيعتين ، ومشيئتين ، وفعلين لسيدنا المسيح ، واقتنوم واحد ، ونلعن من خالف هذا » .

### مجمع القسطنطينية الثالث :

اجتمع كذلك المجمع السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠ م وقد كان من عمله لعن وطرده كل من يقول بالمشيئة الواحدة . كما لعن وحرّم وكفر من قال بالطبيعة الواحدة ، وكان مؤلفا من نحو تسعة وثمانين ومائتي اسقف . وبعد ان قرروا لعن وطرده من يخالفهم كشأنهم دائما .

قالوا : « اننا نؤمن بان الواحد من الثالوث الابن الوحيد الذي هو الكلمة الازلية الدائم المستوى مع الآب الاله في اقنوم واحد ، ووجه واحد ، يعرف تماما بناسوته ، تماما بلاهوته في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في اقنوم واحد ، وشهدوا كما شهد المجمع الخلقيدوني ان الاله الابن في آخر الأزمان اتخذ من العذراء السيدة مريم القديسة جسدا انسانيا بنفس ناطقة عاقلة ، وذلك برحمة الله محب البشر ، ولم يلحقه في ذلك اختلاط ولا فساد ، ولا فرقة ولا فصل ، ولكن هو واحد يعمل ما يشبه الانسان ان يعمل في طبيعته ، وما يشبه الاله ان يعمل في طبيعته ، الذي هو الابن الوحيد ، الكلمة الازلية المتجسدة التي صارت

لحقه لهما كما يقول الانجيل المقدس من غير أن تنتقل من مجدها الأزلي وليست بمتغيرة ، ولكنها بتعلمين ، ومشييتين وطبيعتين اله وأنسان ، وبهما يكمل قول الحق ، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتهما ، فتعملان بمشييتين غير متضادتين .

هذا بعض قرار ذلك المجمع كما جاء في تاريخ ابن البطريق ، وقد أطلنا في النقل ، ليكون كلام القوم مبينا لفكرهم كما يريدون ، فنقلناه خشية أن نحرف كلامهم عن معناه ، أو نحيد به عن مرماه .

ولقد كان من آثار هذا القرار أن خرج من جماعة كنيسة روما والقسطنطينية طائفة المارونيين ، كما خرج من قبل الأقباط وكنيستهم ، ومعهم الأقباش والارمن والسريان .

### مجمع تحريم اتخاذ الصور :

٩٣ - وقد جاء مجمع غير عام بأقرار الجيوع انعقد بأمر قسطنطين الخامس سنة ٧٥٤ وفيه جمهور من الأساقفة ، وفدوا اليه من جهات مختلفة وقد قرر تحريم اتخاذ الصور (١) والتمثيل في العبادة ، وجرم طلب الشفاعة من العذراء ، ولأجل هذا انعقد المجمع السابع بأمر الملكة ايريني بمدينة نيقية ، ويسمى المجمع النيقاوى الثانى سنة ٧٨٧ وكان أعضاؤه

---

(١) يقرر الأستاذ المرحوم أمين الخولى فى رسالته « صلة الاسلام باصلاح المسيحية » أن فكرة تحريم اتخاذ الصور والتمثيل فى أماكن العبادة اسلامية ، وأن أشد من ظهر بمعاداتها ليون الثالث مكسر الأصنام الذى أطلق الكنيسة واتخذ العنف سبيلا لتنفيذ رايه له صلة وثيقة بالمسلمين وينقل عن صاحب كتاب الطرق النيقية قوله : « أن ليون فعل ذلك لأسباب سياسية إذ رغب فى التقرب الى المسلمين بذلك ، أو فعل ذلك تقليدا لحركة من هذا النوع قام بها فى ذلك العصر المسلمون فى ديارهم » ، ويقول الأستاذ أمين الخولى : « والحركة الاسلامية التى سمعت خبرها فى تحطيم التماثيل هى التى قام بها الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢ هـ - ٧٢٠ م ( وكانت حركة ليسون المسيحية سنة ٧٢٦ ) إذ كتب يزيد الى حفظة ابن صفوان ، وإلى مصر أن يكسر الأصنام والتمثيل ، فكسرت كلها ، ومحيت من ديار مصر وغيرها فى أيامه » .



٣٧٧. استقفا وأصدروا القرار بتقدّيس صور المسيح والقديسين ، لا يعبادتها ، وجاء في هذا القرار : « انا نحكم بأن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة ، والملابس الكهنوتية فقط ، بل في البيوت ، وعلى الجدران في الطرقات ، لأننا ان أطلقنا مشاهدة ربنا يسوع المسيح ووالدته القديسة والرسول ، وسائر القديسين في صورهم شعرنا بانيل الشديد الى التفكير فيهم ، والتكريم لهم ، فيجب ان تؤدي التحية والاکرام لهذه الصور ، لا العبادة التي لا تليق الا بالطبيعة الالهية . هذا هو المجمع السابع قد وافق عليه عدد كبير من الكنائس فاعتبرته علما ، وخالفته اخرى ، فلم تعتبره كذلك .

### انفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية وسببه :

٩٤ - ولنتنقل بعد ذلك الى المجمع الثامن ، وهو أساس انفصال الكنائس الشرقية التي ترأسها كنيسة القسطنطينية عن الكنائس الغربية التي ترأسها كنيسة روما .

وقد علمت ان المجمع الماضية التي انفصلت بسببها فرق مسيحية كان أساس الخلاف فيها طبيعة المسيح ، ولم يتعرض أحد للروح القدس ، ومن أي شيء انبثق ، حتى اثار بطريرك القسطنطينية كيف كان انبثاقه ، فحکم بان انبثاق الروح القدس كان من الآب وحده ، فعارضه في ذلك بطريرك روما قائلا : « ان انبثاق الروح القدس كان من الآب والابن معا » ولم يكن من أحدهما ، وكل فريق عاضد رايه بجمع قد جمعه ، وكلاهما قد اعتبر هو ومشايعوه مجعه عاما ملزما للآخر ، ومجمع الآخر خلاصا غير ملزم ، وكل لعن الآخر وطرده ، واعتبره محروما مطروبا من حظيرة المسيحية ، كشأنهم عند كل اختلاف .

اعلن بطريرك القسطنطينية رايه ، وهو ان الروح القدس ينبثق من الآب فقط ، وثوق ذلك تد تولى هذا البطريرك كرسية من غير ارادة رئيس الكنيسة بروما ، وبعد ان دس لسئلته ما ابعده من كرسية . فاجتمع في القسطنطينية مجمع بعد عزل البطريرك الذي نالها روما سنة ٨٦٩ ، وأصدر قرارا يتضمن البت في ثلاثة أمور :

أولها : كون انبثاق الروح القدس من الآب والابن .

(م ١٠ - محاضرات في النصرانية )

ثانيها : أن كل من يريد المحاكمة في أمر يتعلق بالمسيحية وعقائدها يرفع دعوى الى الكنيسة بروما .

ثالثها : أن جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسيم التي يقوم بها رئيس كنيسة روما .

وتلك القرارات كانت مع قرار آخر يعتبر عندهم سنة متبعة ، وهو لعن ذلك البطريرك المعزول واسمه فوسسيوس ، وحرمانه هو وأتباعه .

استطاع فوسسيوس هذا أن يعود الى منصبه ، فلما عاد اليه كان اول ما صنعه أن عقد مجعاً آخر في القسطنطينية سنة ٨٧٩ ، ويسمى هذا المجمع الشرقي اليوناني ، كما يسمى الاول الغربي اللاتيني ، وقد قرر فيه رفض كل ما قرره المجمع الأول ، وقرر أن انبثاق الروح القدس من الآب فقط ، وقد صار كل مجمع يعتبر عاما عند مشايخه . كما يعتبرون الآخر خاصا ، بل باطلا غير ملزم ، وكل يكفر الآخر أو يفسقه و « كل حزب بما لديهم فرحون » .

٩٥ - كان هذان المجمعان هما السبب في انقسام الكنيسة الى شرقية يونانية ، وغربية لاتينية ، ورئيس هذه الكنيسة الغربية هو البابا ، وهو مستقل بسياستها وله السلطان على كل الطوائف المنتهدة الى تعاليمها .

### الكنيسة الغربية أم الكنائس :

وتسمى الكنيسة البطرسية لكون مشايخها يعتقدون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول في زعمهم ، ويزعمون أنه كبير الحواريين ورئيسهم ، ويقولون أنه رأس هذه الكنيسة ، والبابوات خلفاؤه من بعده . وتسمى الغربية لكون سلطانها في بلاد الغرب ، ويقول صاحب كتاب سوسنة سليمان : « وهي تدعى أنها أم الكنائس ، ومعلمتهن ، وربما حق لها ذلك لجهة التفسير التي تبنى عليها أصول التعاليم التقليدية ، ونظامات الجامع ، وترتيبها ، وهي أيضا التي تأمر بها . وتمتد شوكتها على الخصوص في بلاد ايطاليا وبلجيكا ، وفرنسا ، واسبانيا ، والبرتغال ، وشعوبها منتشرة في أقطار الأرض .

وأما الكنيسة اليونانية ، ويقال لها أيضا كنيسة الروم الارثوذكسية أو الكنيسة الشرقية ، فأكثر مشايعها في الشرق وسلطانها فيه ، وهى تشترك مع الكنيسة الكاثوليكية فى كثير من التتاليد المسيحية ، ولكنها تخالفها فى انبثاق الروح القدس . فتقول انه من الآب فقط ، كما بينا ، ولا تعترف الا بالجامع السابقة على المجمع الذى أوجد الانفصال ، كما لا تعترف لبابا رومة بالسيادة أو الرياسة .

ولكن لمرور الزمن ، وما أحيط به من تقديس بين مشايعه ، وعند الملوك ، ولكثرة معتقى مذهبه ، تتساهل الكنيسة الشرقية فتعترف له بالتقدم لا بالسلطان ، ويليهِ فى الرتبة بطريرك القسطنطينية ، والمثايعون لها فى بلاد روسيا واليونان والصرب ، وكثير من جزر البحر الأبيض بغير هؤلاء .

### الجامع اللاحقة كلها غير مسكونية الا فى نظر الكنيسة الغربية :

٩٦ — قد انفصلت الكنيسة الشرقية عن الغربية كما علمت ، والجامع الآتية كلها مجامع غير عائنة فى نظر الكنيسة الشرقية ، لان الأساقفة الذين كانوا يجيبون الدعوة فيها من أتباع الكنيسة الغربية فقط ، ولذلك لا تعتبر تلك المجمع عامة الا فى نظر الغربية .

فالمجمع التاسع انعقد فى رومة سنة ١١٢٣ ، وأعظم قراراته شأننا الحكم بأن تعيين الأساقفة ، ليس من شأن الحكام ، بل من عمل البابا بوحده .

### محاولة تقريب بين الكنيستين :

والمجمع العاشر انعقد فى رومة أيضا سنة ١١٣٩ ، وكان اعضاؤه ١٠٠٠ عضو ، وقد حاول هذا المجمع ازالة الفرقة بين الكنيستين ، فلم ينجح .

والمجمع الحادى عشر الذى انعقد فى رومة سنة ١١٧٩ كان لوضع نظام التأديب الكنسى ، وفيه تقرر انتخاب البابوات بثلى عدد الكرادلة .

وكان فى هذا العصر قد شاع القول باستحالة الخبز والخمر فى العشاء الربانى الى جسد المسيح ودمه ، ولكن لم يقرر ذلك المبدأ .

حتى جاء المجمع الثاني عشر سنة ١٢١٥ وفيه تقرر ذلك المبدأ نهائياً  
ومبدأ آخر سيكون له خطر مع سابقه ، وهو مبدأ أن الكنيسة البابوية  
تملك الفرن و تمنحه لمن تشاء .

وتتوالى بعد ذلك المجمع الكاثوليكية لأغراض عامة أو اقليمية ،  
وفي بعضها تتجدد محاولة توحيد الكيستين المتصلتين ، وفي بعضها  
يقرر التنقيب عن القلوب ، ومحاربة الخارجين عن التعاليم المسيحية .

وأهم هذه المجمع وأعظمها أثراً ، وأقواها عملاً المجمع التاسع عشر  
الذي انعقد في تريندنتو والذي دام انعقاده من سنة ١٥٤٢ الى سنة ١٥٦٣ ،  
وقيه الرد على البروتستانتية .

وختام هذه المجمع هو المجمع المتم العشرين المنعقد في رومة  
سنة ١٨٦٩ وقد اثبتوا فيه العصمة للبابا .

وقد قال في ذلك صاحب سوسنة سليمان : « وقد نشأ في ذلك  
انقسام في الطوائف الكاثوليكية ببلاد أوربا والشرق ، والذين خالفوا هذه  
العقيدة من أهالي أوربا سموا انفسهم الكاثوليكين القدماء ، ونهاية ذلك  
لم تزل مجهولة » .

## الفرق المسيحية

٩٧ - من البيان الذي سقناه في المجامع ، وما انعقدت بسببه من خلافات يظهر لنا أن المسيحية قد أتت عليها حين من الزمن كان التوحيد هو السائد بين معتنقيها ، والغالب على كل نحلة سواه من نحلها . وانك لتقرى ذلك واضحا فيما بيناه من أن أريوس عندما ظهر مقاوما لفكرة الوهية المسيح ، ومنازعا كنيسة الاسكندرية في ذلك المبدأ الذي كانت تبته في النفوس وهو الوهية المسيح وتنادى به على رؤوس الأشهاد ، بينما كان أتباعه في مصر وفلسطين والقسطنطينية ، ( وهذه مواطن المسيحية في ذلك الابان ) أكثر عددا واقتوى مكانة ، فكثرت منهم أساقفة ورؤساء كنائس ، وكل ذلك مع أن قسطنطين الإمبراطور الحاكم بأمره الذي لا معقب لحكمه كان يشايح فكرة الوهية المسيح ويناصرها ، ويحييها ويؤيدها ، كما بينا عند الكلام في مجمع نيقية إذ حمى القائلين أن المسيح فيه الوهية بحمايته ، ووضعهم تحت ظله ، وأمدهم بالجاه والسلطان .

وإذا كان قد أتى حين كان فيه التوحيد هو السائد ، فيصح لنا أن نقسم عصور المسيحية الى قسمين :

عصر التوحيد : ونجعل نهايته الزمن الذي انعقد فيه مجمع نيقية .  
أوما ولى ذلك الزمن بقليل . إذ غالب التوحيد فكرة الوهية المسيح روحا غير قصر من الزمن بعد مجمع نيقية .

والعصر الثانى : عصر تأليه المسيح ، وذلك العصر يبتدىء بعد مجمع نيقية ، وبعد أن استطاع أباطرة الرومان أن يطمسوا نور التوحيد في وسط المسيحيين ، ويمنعوا الموحدين من نشر دعواتهم .

وإذن فمن الحق علينا أن نراعى هذا التقسيم عند الكلام في الفرق القديمة عند المسيحية ، فنقسم تلك الفرق الى قسمين :

فرق ظهرت في عصر التوحيد ، وربما كان وجود بعضها قبل مجمع نيقية أرهاصا لعهد التثليث .

وفرق ظهرت في عصر تأليه المسيح وعصر التثليث .

ونقصد بالفرق القديمة الفرق التي ظهرت قبل عصر النهضة في أوروبا  
أي قبل القرن الثالث عشر الميلادي ، ونقصد بالفرق الحديثة الفرق  
التي ظهرت بعد عصر النهضة ، وهي التي ظهرت في عهد الإصلاح الديني ،  
وما والاہ .

### الفرق التي ظهرت في عصر التوحيد :

٩٨ — والفرق التي ظهرت في عهد التوحيد كثيرة ، وبعضها كان  
مستمسكا بالتوحيد ، ومعه الكثرة الغالبة من المسيحيين كما استتبنا  
من السياق التاريخي وكما يستفاد من ثنايا التاريخ ، وبعضها كان قد  
انحرف عن التوحيد ، حتى كان وجوده تمهيدا للتثليث أو سيرا ببعض  
الخطوات في سبيله .

وأظهر الموحدين أريوس وأتباعه ، وقد كانوا كثيرين . فقد شرحنا  
أنه قد كان يأخذ بمذهبه بطريك القسطنطينية وغيره من البطاركة ،  
وكان رايه منتشرا في مصر والشام ومقدونية ، وهي مواطن المسيحية  
كما علمت .

### فرقة أريوس :

يقول ابن حزم في بيان فرقة أريوس : « والنصارى فرق ، منهم  
أصحاب أريوس ، وكان قسيسا بالاسكندرية ، ومن قوله التوحيد المجرد ،  
وان عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، وانه كلمة الله تعالى التي بها خلق  
السموات والأرض ، وكان في زمن قسطنطين الأول باني القسطنطينية ،  
وأول من تنصر من ملوك الروم ، وكان على مذهب أريوس .

وهذا الكلام يحتاج جزؤه الأخير الى نظر ، فهو يزعم أن قسطنطين  
كان على مذهب أريوس ، وقد بينا عند الكلام في مجمع نيقية ، انه هو الذي  
تدخل بنفوذه وسلطانه ، فعزل أنصار لاهوت المسيح ، واعتبر المجمع  
مكونا منهم دون سواهم ، وقد كان المجتمعون أول الأمر أكثر من الفين ،  
مرفض رأي الكثرة ، وعقد مجمعا مؤلفا من ثمانية عشر وثلاثمائة ،  
بينها يذكر الثقات من المؤرخين انه قد صرح بنصرة أريوس من المجتمعين  
أكثر من سبعمائة .

نعم أن الأريوسيين قد حاولوا بعد ذلك جذبهم الى رأيهم ، وضمه الى مذهبهم ليستفيدوا منه قوة وسلطانا ، فمال اليهم أخيرا ، أو اظهر الميل ، وان كان لم يعمل على نصره مذهبهم ، ولم يعتقد مجمعا ليقدر رأيهم ، كما فعل بالنسبة لغيره ، واقصى ما عمله انه رد المحرومين الى حظيرة المسيحية ، وأعاد المنفيين من مناهم ، ومكنهم من الاستمتاع بنعمة الحرية . ولعل ذلك كان كياسة منه وسياسة ، إذ رأهم كثرة المسيحيين الغالبة . واقوالهم هي الشائعة الرائجة ، فأظهر الميل اليهم حتى لا ينتصوا عليه .

### اصحاب بولس الشمشاطى :

٩٩ - ومن الموحدين الذين ظهوروا أصحاب بولس الشمشاطى ، ويقول فيه ابن حزم : « كان بطريركا بأنطاكية ، وكان قوله التوحيد المجرى الصحيح ، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر ، وأنه انسان لا الهية فيه . وكان يقول : لا ادري ما الكلمة ، ولا روح القدس .

ومن هذا يتبين أن مذهب بولس هذا كان توحيديا خالصا ، وأن عيسى ليس الا رسولا من رب العالمين . وأنه كان اذا عرض له البحث في كلمة الله ، وروح القدس أمسك عن ذلك ، ولم يخض فيه ، وتوقف واعتصم بذلك .

ويقول ابن البطريرق في بيان مذهب بولس هذا : « ان المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وان ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسى ، صحبته النعمة الالهية ، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمي ابن الله ، ويقولون ان الله جوهر واحد ، واقنوم واحد ، ويسمونه بثلاثة أسماء ، ولا يؤمنون بالكلمة . ولا بروح القدس ، وهي مقالة بولس الشمشاطى بطريرك انطاكية ، وهم البوليقيانيون » .

هذا ما قاله ابن البطريرق في معتقد بولس الشمشاطى ، وهو لا يختلف في جوهره عن كلام ابن حزم الأندلسى فيه ، وان اختلفت العبارات ، فالاصطفاء لتخليص الجوهر الانسى هو ما عبر عنه ابن حزم بالرسالة ،

والنعمة الالهية التي حلت فيه هي الوحي واختياره ليكون رسول الله الى الناس يهديهم ، والنبوة التي جاءت في عبارة ابن البطريق حكاية لقول بولس هذا كناية عن المحبة ، ولعل بولس لم يجرها على لسانه ، أو لم تجيء في بيانه ، ولكن ابن البطريق المسيحي المثلث تكلم عن الموحدين بمنطقه وتعبيره ، وان كان المراد غير موافق للمثلثين .

### دخول الوثنية على التوحيد :

١٠٠ — وكان بجوار الموحدين الذين كانت اقوالهم السائدة المنتشرة في ربوع المسيحيين ، وجدت آراء كثيرين ممن دخلوا في المسيحيين وفيهم بقايا الوثنية ، ولا تزال رؤوسهم مملوءة بما درسوه ، ففهموا المسيحية على ضوء ما عرفوه اولاً . واهتموا المسيحية متمثلة في نفوسهم بما استكن في تلك النفوس من آراء ومعتقدات سابقة ، وان ذلك ليشبه من بعض الوجوه تلك النحل المختلفة التي ظهرت في المسلمين في ابان الفرقة التي تلت مقتل الخليفة الثالث والرابع . وما ادخل من آراء ونحل في عصر يزيد ومن وليه .

ولكن الاسلام بنور القرآن الكريم وحفظه ، وهدى النبي صلى الله عليه وسلم ، وما استحفظه عليه المسلمون من كتاب وسنة ، وما كلاً الله به هذا الدين المتين — قد نفى عنه الدخل ، وذهب الزيد جفاء ، وبقي الدين ، كما بعث نبيه عليه الصلاة والسلام صافيا من غير رنق ولا تكدر .

اما في المسيحية فلأن الكتب قد عراها ما بيناه في الكلام عليها ، واختلط فيها الفث والسمن والطيب بالخبيث ، وضلت العقول ، فلم تستطع أن تميز بين الصحيح وغير الصحيح ، وذهبت الكوكب السارى الذى يضىء وسط الدجنة الحالكة ، وهو كتاب مبين لا ياتيه الباطل ، ولا يتطرق اليه الريب ، يكون فيصل التفرقة بين المسيحية الحقنة ، والأساطير الباطلة التي لسدتها .

### اتباع مرقيون :

دخلت تلك الأوهام على المسيحيين الموحدين وبرزت بينهم ، كما تبرز رعوس الشياطين وسط أرض قد كسبت بالسندس الأخضر من النزوع



وجاءت على نحل مختلفة ، واهواء متباينة ، ونزعات متضاربة ، وبأسماء كثيرة .

منهم من كان يقول ان هناك آلهة ثلاثة : صالح ، وطالح ، وعدل بينهم ، وهم اتباع مرقيون ، ولعل هذه النحلة من آثار المجوس ، لانهم هم الذين يقولون باله الخير واله الشر .

ولقد قال ابن البطريق في هذه النحلة واصحابها : « وزعموا ان مرقيون هو رئيس الحواريين ، وانكروا بطرس » فالنتحطون لهذه النحلة يزعمون ان مرقيون داعيتها والمنادى بها حوارى من حوارى عيسى عليه السلام ، بل كبير الحواريين وشيخهم ، والمقدم فيهم ورئيسهم .

### البربرانية :

ومنهم فرقة تسمى البربرانية كانت تقول ان المسيح وامه الهان ، ولعل هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالت كلماته في قوله تعالى مبينا ما يكون بينه سبحانه وتعالى وعيسى عليه السلام من قول يوم القيامة ، قال تعالت كلماته : « واذا قال الله يا عيسى ابن مريم ائت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ، قال سبحانهك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحقى ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شىء شهيد ، ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم » ولعل فريقا منهم كان موجودا عند نزول القرآن الكريم .

### نحل اخر :

ويقول ابن البطريق فى بيان بعض نرقى كانت موجودة قبل مجمع نيقية : ومنهم من كان يقول ان المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار ، فلم تنقص الاولى بانفصال الثانية ، وهى مثالة بابليدوسى وشيعته ، ومنهم من كان يقول : لم تحبل مريم تسعة اشهر ، وانما مر فى بطنها ، كما يمر الماء فى الميزاب لان الكلمة دخلت فى اذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعته وهى مقالة اليان واشياعه .

### ضياغ التوحيد بسبب تحريف الكتب :

١٠١ — هذه هي بعض المثالات والاهواء والنحل التي جاءت في عصر التوحيد رنقت صفاءه ، وكانت نكتا سوداء في وسط المسيحية الحق النضرة ولقد كان من الممكن أن تزول تلك الامور العارضة ، ويبقى الاصل سليما تقيا ، لم يتأثبه شيء من المفسد ، ولكن شرط ذلك أن يكون ثمة كتاب محفوظ لا يعتريه الشك من أى جانب ، ولا يتطرق اليه الظن والاحتمال ، ليكون ميزانا للحق والباطل ، وليكون مقياسا تتأس به الآراء ، وليكون مرجعا يرجع اليه المختلفون .

ولكن الاضطهادات التي نزلت بالمسيحيين ، ومصادرة الكتب وتحريفها بأمر الرومان ، والأيدي العابثة المفسدة ، كل هذا جعل مصادر المسيحية يعترتها الشك والريب ، ومن وراء ذلك نفذت الاهواء والأساطير الى القلوب ، وأخذت تنال من المسيحية وصميمها من غير أن يعقب معقب بنص قاطع معتد ، وكتاب ثابت السند .

نكل نحلة تدعى لا تجد ردا لها من نص ، وهي تروج لدى العامة لا بقوة الدليل أو النص ، بل بقوة الداعى ومقدار لخبه بالحجة الباطلة والصحيحة ، ومقدار نشاطه وبيانه وسعة حيلته ودهائه ، ودربته على جذب الجماهير .

ولقد كان جمهور المسيحيين يقدر المسيح ابلغ تقديس ، فكانت مهارة الدعاة وقوتهم البيانية متجهة الى هذه الناحية ، يزيدون في تقديس المسيح فيزيدون كلامهم قبولا لدى العامة ، ثم انتقلوا من التقديس المعقول الى الغلو المرذول ، فغالوا حتى عدوه لها .

وهكذا أخذت العقيدة تفسد ، وكان العامة بين حبلين قويين ، وكل حبل في يد عصبة من أولى القوة ، فحبل التوحيد ، ومعه العقل ، ومعه الاصل ومعه السيادة للتوحيد ، وحبل آخر قد أخذ يجتذب العامة اليه بقوة ، وعمل على أخذهم بعاملين : عامل الاستهواء جاء من الناحية التي يحبونها ، وأرضى شهواتهم فيها ، وهي ناحية تقديس المسيح عليه السلام ، ولأخذ يلقى تعاليمه في النفوس ، وقد وضعها في ذلك اللون الشهى ، وذلك الطعم المستساغ .

العامل الثانى : عامل السلطان والجاه بتقريب من يقول مقالة تأليه المسيح وادناؤه من زوى السلطان ، وتمكينه من الرقاب ، وتضريب من لا يقول هذه المقالة ، واضطهاده ، وابعداه عن حظيرة المسيحية ، ولعنه وطرده وتصويره للناس بصورة من لا يقدر على المسيح ، ولا يرجو له وقارا واجلالا .

كان العامة بين هذين العاملين مع فقد الكتب المسيحية القاطمة فى الاستدلال التى تقف المزالين عند حد الاعتدال . وقد كانت كفة التوحيد هى الراجحة ، حتى بعد مجمع نيقية ، ولكن جاءوا بعد ذلك ، واخفتوا صوت المنادين بالتوحيد وحييل بينهم وبين ما يدعون اليه . ولم يمكنهم من أن تصل دعوتهم الى العامة فصار العامة بعد ذلك لا يسمعون الا جانب واحد ، وخاضعين لعامل واحد ، وهو الخروج عن نطاق التوحيد ، فتم للحكام والقسيسين ما ارادوا واختمى دين المسيح عليه السلام . وقام دين البطارقة والقسيسين .

## الفرق القديمة في عهد التثليث

١٠٢ - بعد مجمع نيقية أبعث التوحيد رسميا عن الديانة المسيحية، وان كان أتباعه أكثر عددا ، وأعز نفرا ، ولم تستطع الحكومة الرومانية أن تقضى على التوحيد بذلك المجمع ، ولكنها أخذت تبعد الموحدين عن مكان الرياسة في الكنائس ، ولا تجعل صوتهم يصل إلى الشعب بالنفى والتشريد ، وكل فرائع الأذى والاضطهاد ، حتى حيل بين العامة وبين سماع صوت التوحيد ، وفعل الزمن فعله ، وتغلّبت الظلمة على النور ، وأخفى ظلام الليل نور النهار الساطع . وعندئذ كانت الفرق التي تظهر بعد ذلك في ظل الوهية المسيح في الجملة أن استثنينا مقدونيوس وفرقتة .

### فرقة مقدونيوس :

وأول فرقة ظهرت في ذلك العصر فرقة مقدونيوس هذا ، فقد انكرت أن يكون روح القدس الها ، وقاومت ما ترمى إليه الكنيسة العامة من فرض تلك الإلهية ، ودعوة الناس إليها ، وحثهم على اعتناقها ، ولعل مقدونيوس هذا كان من الموحدين الذين لا يزالون يعتقدون التوحيد ، ويتابعون في ذلك أريوس وسائر الموحدين . وإن كانت الغلبة لغيرهم ، فهال أن يبدأ الأساقفة بتأليه المسيح ويثنون بتأليه الروح القدس ، فجاهر بانكار الثاني ، لأنه لم يعد في قوس الصبر منزع .

يقول ابن البطريق : « وفي عشر سنين من ملكه ( قسطنطين ابن قسطنطين الثاني ) صير مقدونيوس بطريكا على القسطنطينية ، وكان يقول : ان روح القدس مخلوق ، وأتم عشر سنين ومات » .

لكن مقالته لم تبت بموته ، بل كان له أشياع وأتباع وخصوصا من بين الموحدين الذين لم يزولوا من المملكة الرومانية ، وان أصبحوا في الجملة لا سلطان لهم .

لأجل ذلك انعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ، وقد فكرنا بعضا من قراراته ، وكان المقرر والمناظر والمجادل في هذا المقام بطريك الاسكندرية مهد الأملاطونية الحديثة ، كما نوهنا أننا ، ويسمى المقدونيين الأبولتييريين فقد جاء في كتاب سومنة سليمان في بيان المجمع القسطنطيني :

« المجمع القسطنطينى المنعقد سنة ٣٨١ بأمر ثيونوس الملك ضد  
الابولتاريين ، وهم المقدونيون المنكرون للاهوت الروح القدس » .  
ويعتقد الكنسيون أن انكار الوهية الروح القدس وليد من مذهب  
الموحدين ، فيقول صاحب تاريخ الكنيسة ، وقد انبعث من جوف هذه  
الارطقة ( رأى اريوس ) ارطقة أخرى لم تكن اقل مناقضة للثالوث الاقدس  
فكانت تنكر الوهية الروح القدس ، وكان منشئها مقدونيوس ، وهو نصف  
اريوسى قد اختلس كرسى القسطنطينية واحتجب مدة سنين عديدة تحت  
رداء المذهب اريوسى ، ولم تكن له شهرة خصوصية في بهوة الاسجاسى  
التي احدثها اريوسيون . وهذا زعم له نصيب من الواقع ، لأن الذين  
ينكرون الوهية المسيح ، ويعتقدون التوحيد الصحيح لا يقرون بالوهية  
الروح القدس .

ولكن يجب أن يلاحظ انه في الوقت الذي انكر فيه مقدونيوس لم تكن  
عقيدة التثليث قد اعلنت في مجمع هام ، وقد يكون موضع حديث البطاركة  
وتعاليم بعضهم كون الروح القدس الها ، فتصدى مقدونيوس لانكار  
ذلك ، وتلقى الناس كلامه بالقبول ، ولذا لم ينعقد المجمع للرد عليه الا بعد  
ان مات بعدة سنين .

### النسطوريون :

١٠٣ — هذه النحلة تنسب الى نسطور ، وقد كان بطريرك  
القسطنطينية ومكث في هذا المنصب أربع سنين وشهرين ، وقد رأى أن  
مريم العذراء لم تلد الها ، بل ولدت فقط الانسان ، وهو بذلك يرى أن  
الانثوم الثانى ، وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره من المثليين ،  
بل كان يرى أن مريم ولدت الانسان فقط ، ثم اتحد ذلك الانسان بعد ولادته  
بالانثوم الثانى ، وليس ذلك الاتحاد بالمزج وجعلها شيئا واحدا ،  
أو ذلك الاتحاد ليس اتحادا حقيقيا ، بل اتحادا مجازيا . لأن الاله منحبه  
المحبة ، ووهبه النعمة ، نصار بمنزلة الابن ، وهذا التخرج لا شك يؤدى  
الى أن المسيح الذى خاطبهم وكلمهم ، وحوكم وعوقب في زعمهم ، لم يكن  
فيه عنصر الهى قط ، فلم يكن الها ولا ابن الاله .

وقد نقلنا فيما مضى عند الكلام على المجمع الثالث أن صاحبة كتاب

تاريخ الأمة القبطية تقرر أن كلام نسطور معناه ، أو يلزم منه حتما ، انكار الوهية المسيح .

ولما قال نسطور ذلك القول كاتبه كيرلس بطريرك الاسكندرية ، ويوحنا بطريرك انطاكية في ذلك الابان ، ليعمدل عن رايه ، فلم يصغ اليهما ، ولم يجب طلبهما ، فانعقد مجمع افسس سنة ٤٣١ ، وقرر لعنه وطرده ، واثبات أن مريم العذراء قد ولدت الانسلن والاله .

وقد بينا ذلك القرار ببعض التفصيل عند الكلام على ذلك المجمع . ولقد ابعد ذلك نسطور عن منصبه ونفى ، فصار الى مصر وأقام في اخميم الى أن مات .

ويقول ابن البطريق : « كانت مقالة نسطور قد اندثرت ، فأحياها من بعده بزمان بوصوما مطران نصيبين في عهد قباذ بن فيروز ملك فارس ، وثبتها في الشرق ، وخاصة أهل فارس ، ولذلك تكاثرت النسطورية في الشرق ، « في العراق والموصل والجزيرة » . ولا يزال الى الآن في الأماكن التي يذكرها ابن البطريق نسطوريون ينتحلون هذه النحلة ويأخذون بهذا المذهب .

ويقول صاحب سوسنة سليمان : « ان النسطوريين في هذا العصر يسمون الكلدان يسكنون خاصة فيما بين النهرين ، والبلاد المجاورة لهما ، ولهم تعاليم كثيرة مختصة بهم ، غير أنهم يمتازون عن باقي المذاهب باعتقادهم أن نسطوريوس حرمة مجمع افسس ظلما . اضع الى ذلك اعتقادهم بأنه لم يكن في المسيح طبيعتان بل اقنومان أيضا ، وكان يحسب هذا المعتقد في الزمن القديم ضلالا مبينا ، وأما في هذا الزمان فيحسبه العلماء ، حتى الكاثوليك الرومانيون ، غلطا لفظيا لا معنويا ، لأن هؤلاء الكلدانيين يعتقدون أن في المسيح اقنومين ، كما أن فيه طبيعتين ، ويقولون أيضا بأن هذين الاقنومين ، وهاتين الطبيعتين قد التصقتا حتى صار منهما رؤية واحدة » .

وهذا الكلام يدل على أمرين : احدهما أن الكنيسة الرومانية التي كانت تشدد في القرون الخالية في طرد كل من يخالف معتقدها ، وتعدده كافرا لا يلج الايمان قلبه قد تساهلت في هذه الاعصر ، فوسعت صدرها للمخالفين لها ، وتاولت لهم ، لتدخلهم في حظيرتها بعد سابق الحرمان والطرده واللعن والتكفير .

ثانيهما : أن النسطوريين قد انحرفوا عن مبادئ نسطور ، لأن نسطور كما قررت صاحبة كتاب تاريخ الامة القبطية ، وكما قرر ابن البطريق لا يرى أن الاقنوم الثاني مازج المسيح قط ، بل هو يرى أن بنوة المسيح بالموهبة والمحبة لا بالحقيقة ، واستنبطنا كما استنبط غيرنا أنه يرى أن المسيح خال من العنصر الالهى خلوا تاما ، وهو يصرح بأن مريم ولدت الانسان فقط ، بينما غيره يقرر أنها ولدت الاله والانسان ، وهذا اختلاف جوهري في الحقيقة والمعنى لا في الشكل واللفظ ، وإذا كان النسطوريون في هذا الزمان قد قالوا بامتزاج اللاهوت في الناسوت كما يقول غيرهم ، فقد انحرفوا عن مقالة نسطور .

والنسطوريون يقيمون كما ذكرنا في بلادهم بلاد العراق والموصل ، ومنهم طائفة تقيم في الهند ، وأخرى تقيم في بلاد العجم ، وهم جميعا يلتزمون بتقاليد وطقوس دينية مما يلتزم به عند غيرهم من الكنسيين ، وليس عندهم من تقليد الا أن أساقفتهم يلتزمون التبتل ، والامتناع عن الزواج ، وذلك منذ سنة ١٨٣٠ م وهذا كما جاء في كتاب سوسنة سليمان .

### اليقوبيون :

١٠٤ - هم أتباع يعقوب البراذعى ، وهم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الاله بعنصر الانسان وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت ، ونسبة ذلك المذهب الى يعقوب البراذعى لأنه من أنشط الدعاة اليه ، لا لأنه مبتدعه ومنشئه ، فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا ، فإن أول من أعلنه بطريرك الاسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادى .

وبسبب ذلك الاعلان انعقد مجمع خليكدونية ، وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة ، وبسبب ذلك القرار انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية . أما يعقوب فقد وجد في القرن السادس الميلادى ، ويقرر صاحب سوسنة سليمان في اطلاق اسم اليقوبيين على أصحاب هذا الراى « يطلق عليهم اسم يعقوبيين نسبة الى يعقوب البراذعى الذى اعاد هذه الشيعة ، ورتبها في القرن السادس للتاريخ المسيحى ، بعد أن كادت تتلاشى » .

وقد فصلنا الكلام في هذه النحلة والأدوار التى مرت عليها عند الكلام في مجمع انفسس الثانى الذى تسميه الكنيسة الكاثوليكية مجمع اللصوص .

في مجمع خليكونية فلا نعبد ما ذكرناه ، حتى لا نقع في التكرار  
المثل .

والذين يقولون ان المسيح ذو طبيعة واحدة ، ينقسمون الى آسيويين  
وأفريقيين ، ولكل قسم رئاسة دينية خاصة به .

مؤسس الآسيويين هو بطريرك السريان ، ومن هؤلاء الآسيويين من  
اعترفوا برياسة الكنيسة الكاثوليكية ، فقبلهم وان استهروا على رأيهم .  
ورئيس الأفريقيين هو بطريرك القبط المقيم بالقاهرة ، ويتبعه في  
هذه الرئاسة سكان الحبشة المسيحيون ، فهم خاضعون لبطريرك الكنيسة  
القبطية ، وهو يعين لهم أسقفنا يسوسهم .

ومن الذين يعتقدون ان المسيح ذو طبيعة واحدة - ويتحدون  
مع الكنيسة القبطية في ذلك الاعتقاد ، ولكن لهم تقاليد دينية وطقوس ،  
ولهم بطاركة يرأسونهم ، ولا يندمجون في كنيسة القبط ، ولا كنيسة  
السريان بآسيا - الأرمن .

### المارونية :

١٠٥ - هم أتباع يوحنا مارون ، وقد اشتهر يوحنا هذا براه  
سنة ٦٦٧ ، ودعا اليه وشايعه بعض القسيسين فيه ، ومعهم بعض  
من مسيحي آسيا ، وهو ان المسيح ذو طبيعتين ، ولكنه ذو ارادة او مشيئة  
واحدة ، ومن اجل هذه النحلة الجديدة اجتمع المجمع العام السادس بمدينة  
القسطنطينية سنة ٦٨٠ من بعد الميلاد ، وقرر حرمان مارون ، ولعنه  
وتكفيره وكل من يذهب مذهبه ، وينتجّل نحلته ، وقد اشرنا الى ذلك  
المجمع ، ونقلنا لك قراره في المذهب ، فلا نعبد نقله .

ويظهر ان المنتجلين لهذا الرأي لم يكونوا ذوى شوكة وقوة حتى  
يكونوا بنجاة من الأذى والاضطهاد ، فقد نزلت بهم اضطهادات شديدة  
لم يكن لهم من يدفعها عنهم الا الفرار ، فلم يجدوا لهم مأبنا يعتمسون به  
الا بعض البلاد في جبل لبنان ، فاعتصموا بها ، وقد استمروا على اعتصامهم  
وبعدهم ، حتى أدنتهم اليها الكنيسة الرومانية وقربتهم منها ، وأعملت  
الحيلة والسياسة ، حتى أعلنوا الطاعة للكنيسة الكاثوليكية والاتحاد  
معهما على ان يبقوا على رأيهم ، ولقد كان اتحادها مع الكنيسة الرومانية  
سنة ١١٨٢ بعد الميلاد ، وما زالت هذه الطائفة متوطنة بجبل لبنان ،  
ولها بطريرك خاص ، وان كانت تقر بالرئاسة لبطريرك روما .



## الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية

### اساس انقسام الكنيسة الى شرقية وغربية :

١٠٦ - كان فيما ذكرناه اعظم الانقسامات القديمة شأننا ،  
وابعدها اثرا ، ان استثنينا الكنيسة القبطية ، انقسام الكنيسة الى  
يونانية ولاتينية وما يتبع ذلك الانقسام من انشقاق في المسيحية كلها ،  
وما تفرع عن الأولى من فروع وفرق ، وانا نكتفى بهذا القدر من القول في  
الفرق القديمة التي ما زال منها بقايا الى أيامنا الحاضرة ، ونختم القول  
فيها بانقسام الكنيسة الى يونانية شرقية ولاتينية غربية ، وقد نوهنا الى  
الانقسام عند الكلام في الجامع ، وشرنا الى اسبابه بالاجمال .

وقد تبين من هذا ان اساس الخلاف بين كنيسة القسطنطينية التي  
ألت اليها رئاسة الكنيسة الشرقية اليونانية قاطبة ، وكنيسة رومة التي  
ألت اليها رئاسة الكنيسة الغربية اللاتينية لمران :

أحدهما - يتعلق بالاعتقاد - وهو ان كنيسة القسطنطينية ومن  
والها من بعد اعتقدوا ان الروح القدس من الاب وحده ، لا من الاب  
والابن ، وكنيسة روما ومن والها قد اعتقدوا ان الروح القدس منبثق من  
الاب والابن معا ، وعقد كل فريق مجمعا شايح اعتقاده وتابعه فيما اقتنع  
به ، وكان المجمع المشايح لرومة سنة ٨٦٩ ، والمشايح للأخرى بعده بعشر  
سنوات سنة ٨٧٩ .

ثانيها - لا يتعلق بالاعتقاد - ولكن يتعلق بالرئاسة الكهنوتية ،  
اهى لكنيسة القسطنطينية أم لكنيسة رومة ؟ لقد قرر المجمع الذي شايح  
رومة ان تكون لرومة ، فرئيس كنيستها هو الحبر الأعظم والرئيس  
الروحي للمجمع ، وقرر المجمع الذي شايح القسطنطينية رفض تلك  
الرئاسة وعدم الاعتراف بها ، ويعتبرون رئيس القسطنطينية رئيسا عاما  
للكنيسة .

ولقد تبع هذا الاختلاف في هاتين المسألتين الرئيسيتين خلاف في  
مسائل أخرى أوجدها تقابح السنين واستمرار الشقاق ، فقد كثرت أوجه  
الاختلاف في مسائل فرعية منها :

( م ١١ - محاضرات في النصرانية )

١ - استعمال الفطير في العشاء الرباني بدل الخبز ، فان ذلك اقرته الكنيسة الغربية ، ولم تعترف به الكنيسة الشرقية .

٢ - اكل الدم والمخوق ، فان الكنيسة الغربية اباحته وهو مخالف لمجمع الرسل في اورشليم الذي انعقد بعد مفارقة المسيح بنحو اثنين وعشرين سنة .

٣ - اكل الرهبان دهن الخنزير ، فهو مباح عند الكاثوليك دون الكنيسة الشرقية .

٤ - لبس الاساقفة الخواتم في اصابهم وطق الكهنة لحاهم .

وجاء في حاشية لكتاب سوسنة سليمان ما نصه : « يوجد اختلافات غير هذه بين الروم واللاتين لم يصرح بها هؤلاء البطاركة . وربما كان ذلك لكونها ما كانت تحددت وقتئذ كتعادة دينية في كنيسة رومة ، كالمطر الذي لم يثبت الا في مجمع فلورنسا المنعقد في سنة ١٤١٩ ، ثم اوجب قبوله على كل الكنائس الغربية المجمع التريدينتيني في القرن السادس عشر .

اما الفرق بينه وبين عقالات جهنم التي يقرها الروم ، فهو ان المطهر نر مطهرة يتخلص منها الخاطيء بعد ان يقاص فيها بمقدار جرم ذنوبه .

اما عقالات الجحيم ، وهي نظير حبس يقيم فيه الخطاة الى يوم الدينونة الذي به ينالون القصاص الابدى في جهنم ، والصلوات التي يقدمونها لاجل الموتى ، يعتقدون انها تطفئ نوعا احوال هذا الحبس عليهم تطينا وقتيا فقط .

وكذلك منع الشعب من الاشتراك في الكاس اذا لم تثبته كنيسة رومية الا في مجمع كسنتانس سنة ١٤١٥ .

### تقادم الزمن يوسع الخلاف :

١٠٧ - كان كلما تقادم الزمن على النقطة التي ابتداء منها الخلاف اتسعت فرجاته ، وكبرت زاوية الانفراج ، وكلتا الكنيستين ذات بأس وقوة ، وكانت في القديم لها دولة تحميها ، اذ كانت دولة الرومان منقسمة الى شرقية وغربية . فكان استقلال كل واحدة من الدولتين وانفصالها عن الاخرى مما أكد الفرقة وقوى الانقسام .

ولقد كان يأتي الفينة بعد الأخرى صوت يدمو الى الوحدة والائتلاف  
جدل الاستمرار على الفرقة والانقسام ، فتعقد لأجل هذا مجامع ، وترسل  
الوفود . ولكن ما أن يتلاقى المتخاصمان ، حتى تعاد أسباب النزاع جذعا ،  
إذ كل واحدة ترغب في أن تنزل الأخرى عن رأيها ، فتلاحي كل واحدة  
عما تعتقد ، فيشتد الجدل ، ويحى وطيس القول ، فتفترقان ، وقد زادت  
القطيعة قوة واحتداما .

### محاولة ازالة الخلاف :

حاول أحد بطارقة روما في منتصف القرن الحادى عشر أن يجمع  
الشتات ، ويلم الشمل ، وعرض مبادئ تكون أساسا للمصلحة ، رفضها  
بطربرك القسطنطينية ، وأصدر الأول قرارا بحرمان الثانى ، فأصدر هذا  
قرارا بحرمان الوفد الذى عرض عليه الشروط .

وهكذا ازدادت الفرقة بسبب ذلك التلاقى ، وأغرى الله بينهم  
العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، ويظهر أن السبب في ذلك ما تعتقده  
كل واحدة منها أن الأخرى خارجة على الدين ، ورغبة كل واحدة في أن  
تجتذب الأخرى اليها كما بينا .

### انتقاد مسيحي للكنيسة الغربية :

ويقول في ذلك صاحب سوسنة سليمان : « ان الكنيسة الرومانية  
تدعى أن كل المذاهب المسيحية على وجه الاطلاق هى شيع هرطوقية  
خارجة منها ، ومنفصلة عن شركتها . وهذه الدعوى تصح لاية كنيسة  
أمكها أن تثبت لذاتها الأقدمية في الثبات على المعتقدات الصحيحة الأصلية .  
أما كنيسة رومة ، فليس لها في هذه الدعوى الا الاستيلاء على امانة صندوق  
التقليدات .

غير أن سلامة الذوق تنتضى بأنه كلما قلت التقاليد في كنيسة  
من الكنائس دل على أقدميتها بالنسبة التى تزيد عليها فيما هو من هذا  
القيل ، لأن التقاليد على ما يستقبن من مجريات رومة قابلة للزيادة ،  
والزيادة احداث ، والاحداث في الدين لا ريب في انه بدعة ، والابداع هو  
عين ما يسميه المسيحيون هرطقة » .

ونرى من هذا أن صاحب هذا الكتاب ينتقد الكنيسة الغربية بكثرة ولعل السبب في ذلك النقد ليس مجرد الحق ، بل كونه ليس من مذهبها ، والأمر كان كل ما تقوله مقدسا لا بدعة فيه .

١٠٨ — وقد بينا البلاد التي تتبع الكنيسة الغربية ، وكانت فيها مضي كل أوروبا تقريبا ، وبعض طوائف في آسيا .

### بطاركة الكنيسة الشرقية :

أما البلاد التي تتبع الكنيسة الشرقية ، فأكثرها في الشرق كما أسلفنا من القول ، ولها بطاركة .

أولهم بطريرك القسطنطينية ، وهو كبيرهم ويضيفون إلى لقبه وصف أنه البطريرك المسكوني ، ويقول صاحب سوسنة سليمان : « أنه ليس إلا لقباً تشریفياً فقط ، فليس له تسلط على غيره من البطاركة أو الأساقفة المستقلة بوجه قانوني أصلاً » .

ويليه في الرتبة والمكانة الدينية بطريرك الإسكندرية للأروام الأرثوذكس ثم بطريرك انطاكية ، ثم بطريرك أورشليم ، ثم المجمع الرومي ، ثم عدة مجامع لأسقفيات مستقلة أخرى كآسقفية أثينا ، وآسقفية قبرص وغيرها .

وقد ظهرت في روسيا التي كانت تسودها هذه الكنيسة شيع وفرق كثيرة بلغ عددها نحو مائتي نحلة ، وتعداد أصحاب هذه الفرق الجديدة مجتمعة لا يزيد عن خمسة عشر مليوناً .

فمنهم فرقة لا ترى تعيد الأطفال ، ومنهم شيعة تخسن للنصراني أن يقتل نفسه في حب المسيح ، ومنهم شيعة يحرقون أنفسهم لتعمدهم النار ، فيتظاهروا بها ، ومنهم شيعة تنزح الختان باعتباره كان المسيحية الأولى ، وفي التوراة التي تعتبر النصرانية مجددة لها ، وهكذا تختلف التحل وتقبلين ، وكل واحدة تعتقد أن رأيها هو محض الحق المبين .

## الاسلام يظل الكنائس الشرقية بالحرية الدينية :

١٠٩ - فكرنا أن العلاقة بين الكنيستين على أشد ما يكون الخلاف ، كل تعدد الأخرى قد خرجت عن نطاق الدين ، وقد كانت الحال من قبل كذلك بين كنيسة القبط بمصر والكنائس الأوربية . ونزل بمصر أشد البلاء ، ولم ينتدھم إلا الفتح الاسلامى ، فمن وقت حكم المسلمين لمصر والشام الى الآن شعرا المصريون بحريتهم التى لم يستمتعوا بها من قبل ، حتى إهداها اليهم الاسلام السمع الكريم .

ولما اختلفت الكنيسة الغربية مع الكنيسة الشرقية كان من المنتظر أن تنزل احداهما بالأخرى أشد البلاء ، ولكن ذلك لم يتم أول الأمر لانقسام الدولة الرومانية الى شرقية وغربية ، واعتصام كل واحدة منها بدولة ، لذلك لم تتمكن واحدة منهما من رقبة الأخرى . فلم تقبض على ناصيتها .

ولكن لما أخذت الدولة الشرقية فى الانحلال ، وخلفها المسلمون على بعض املاكها ، وأخذوا يقصونها من أطرافها . أخذت ترجح إحدى الكنتين على الأخرى فقويت الغربية ، وصارت لها السيادة . واعترف بطريك القسطنطينية له بالتقدم عليه فى الجلسة ، وان لم يعترف بأنها على حق فيما يختلفان فيه ، وما اختلفا فيه من قبل ، والبلاد التى اقتطعها المسلمون كانت تنعم بالحرية الدينية كشأن المسلمين فى معاملتهم لغيرهم .

ولما جاءت الحروب الصليبية ، استولى الصليبيون على اورشليم التابعة كنيستها للكنيسة الشرقية وغيرها من المدن الاسلامية التى يعيش فى ربوعها المسيحيون آمنين مطمئنين ، لا يزعجهم اضطهاد ، ولا يرشق صناءهم ضغط ، ثم ثنى أولئك الصليبيون اتبباع الكنيسة الغربية ، فاستولوا على دولة الرومان الشرقية نفسها ، فأنزلوا باخوانهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون .

ولنترك الكلمة للمسيحى صاحب سوسنة سليمان ، فهو يقول :  
« حرك البابا أتوسنت الثالث قواد الصليبيين لنزع الملكة الشرقية من يد اليونان ، فانتحتوا القسطنطينية سنة ١٢٠٤ ، وداموا متسلطين عليها الى سنة ١٢٦١ م فاستعملوا ما أمكنهم من البربرية فى الأراضى التى

امتلكوها من بلاد سورية وفلسطين ، ليخضعوا بطارقة اورشليم ، وجميع  
الاكليس اليونانى بواسطة الحبس واقفال الكنائس الى ان احوجهم ان  
يفضلوا مودة العرب حكام البلاد الاصليين على موادتهم ويختاروا تسلط  
شعب يرضى بجزية على ان يتسلط عليهم ملك روى طبعه وطبع قصاده  
لا يشبعان .

حينئذ احس اولئك المسيحيون بنعمة الاسلام عليهم ، ونعمة حكم  
المسلمين لهم ، فقد ساءت لهم الكنيسة الغربية وملوكها الخسف والهوان ،  
ونقبوا عن قلوبهم ، وبحثوا عما تكنه الصدور ، ولكن نعمة الاسلام كانت  
تلاحقهم ، فلم ينقض زمن طويل ، حتى جاءهم الاسلام فى القسطنطينية  
واعطاهم الامن والدعة والقرار والاطمئنان ، حتى لقد قالوا كما حكى  
صاحب السوسنة : « عمامة السلطان محمد الفاتح ، ولا تاج البسابة  
المثلث » .

وهكذا كان الاسلام رحيبا تسع رحمته المخالفين .

## الفرقة الحديثة « البروتستانت » (١)

### أو الإصلاح الديني

#### حال الكنيسة قبل الإصلاح :

#### شدة الكنيسة على الناس والعلماء :

١١٠ - اشدت حفظ الكنيسة الكاثوليكية على المسيحيين ، وبالفت في مرض آرائها عليهم بمبالغة تجاوزت حد الفلو ، ولم تسلك في ذلك سبيل الموعظة الحسنة ، والدعوة الصالحة ، والارشاد القويم ، ومخاطبة الأرواح والنفوس ، وتمكينها من أن تتبعها ، وهي حرة مريدة مختارة ، بل سلكت سبيل العنف وركبت متن الشدة ، فجعلت كل رأى في العلوم الكونية يخالف رأيا كفرا ، ولا تدعو معتقيه الى الهداية ، وترشده الى الرشاد ، كما يليق برجال الدين مع من يروونه ضاللا ، بل تكفر لاوهى الأسباب ، وتحرق أو تعذب من تراه كافرا بلا رفق ولا هوادة .

لهذا المجمع الثاني عشر من مجامع الكنيسة وهو المجمع المسمى باللاتراني الرابع المنعقد سنة ١٢١٥ يقرر استئصال الهرطقة ، ويعنون بذلك كل من يرى رأيا مخالفا للكنيسة ، ولو كان رأيا في الكون أو طبائع الأشياء ، ولم تكتف الكنيسة بقتل من يجهرون بأراء تخالف آراءها ، بل أخذت تنقب على القلوب وتسنكه خبايا النفوس ، وتكشف عن سرائر الناس بما أسماه التاريخ محاكم التفتيش ، التي دنست تاريخ الأديان بما ارتكبت من آثام ، وما أزهقت من أرواح ، وما سفكت من دماء ، وما عذبت من لحياء .

---

(١) سمي الذين اعتنقوا مبدا الإصلاح الكنسي ، وخرجوا على الكنيسة الكاثوليكية بروتستانت ، لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجا يسمى بالانجليزية بروتست ، فسمى الذين أمضوا القرار بروتستانت ، لى المحتجين .

وان جهر رجل من رجال الدين بالدعوة الى الاصلاح ، داعيا رجال الكنيسة الى اخذ الناس برفق ، وحائفا رجال الدين على الأخذ بهديه كان عقابه الحرمان والقتل .

حدث في اوائل القرن الخامس عشر ان احس اساقفة فرنسا بوجوب اصلاح حال البابوات ، فانعقد لذلك مجمع مؤلف من ١٥٠ اسقفا ، و ١٨٠٠ من رجال الدين ، ولكن هذا المجمع انتهى في قراراته بالأمر باحراق يوحنا هوس مصلح كنيسة بوهيميا ورفيقه جروم .

ولقد حرق وعذب في هذا السبيل علماء استشهدوا في سبيل العلم بسبب مظالم تلك الكنيسة ، وضيق صدر القوامين عليها .

وما يذكر في هذا ان أحد العلماء واسمه ابيلارد كان له رأى في تكفير المسيح عن خطيئة آدم خالف به رأى الكنيسة فقال : ليست حياة المسيح وصلبه وما لاقى في ذلك من تعذيب سبيلا لارضاء الله وانزال عفوه عن خطيئة الانسان ، فنعفو الله ايسر من ذلك وأقرب ، وانما لاقى المسيح ما لاقى اعلانا لما يكته قلبه من حب الله ، وعسى أن يثير في الناس عاطفة الشكر وعرفان الجليل ، فيعيدهم الى طاعة الله . ولكنه ما أن قال ذلك القول حتى انعقد مجلس محاكمته ، فكان نصيب كتبه التحريق ، ونصيبه السجن الدائم ، حتى وافته منيته .

وجاليليو يرى رأيا في الكون فيسجن لذلك الرأى ، مع ان رأيه ليس من أمور الدين في شيء .

### فرض سلطانها على الملوك :

١١١ — بالفتت الكنيسة في شدتها ، كما رأيت ، ولم ينج حتى الملوك من طغيانها ، فقد كان انقسام الدولة الرومانية الغربية الى ممالك مختلفة ، واعتبار كل مملكة وحدة سياسية لا تتصل بالأخرى الا اتصال محبة وسلام ، أو حرب وخصام — كان ذلك سببا في ان صار البابا لا سلطان لأحد من ولاة الامر عليه ، وهدد تقرر هذا من بعد كما صار تعيين البابوات باختيار المجمع ، لا بتعيين ملك أو أمير ، مهما تكن قوته وسطوته وصار البابوات بعد تعيينهم غير خاضعين بأى نوع من أنواع الخضوع لأى ملك من الملوك ، وعلى النقيض من ذلك لهم هم السلطان الذى لا يرد على



كل مسيحي ، مهما تكن مكانته ، يستوى في ذلك الأمر والخير ، والرأى والرعية ، فليس لآى ملك سلطان على البابا ، والبابا له سلطان على كل ملك ، لانه مسيحي ، وله السلطان الكامل على كل المسيحيين ، ولان البابا خليفة لبطرس الرسول وبطرس الرسول اقامه المسيح رئيسا على الحواريين من بعده ، فالبابا على هذا الاساس خليفة للمسيح ينطق باسمه ، ويتكلم بخلافته ، ويتخذ بسلطانه ، ومن خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح ، وحارب دينه .

### قرارات الحرمان تنال الملوك :

وبهذا المنطق فرضوا اوامرهم على الملوك ، كما فرضوها على سائر الناس ، ولذا لم ينج بعض الملوك من قرارات المجامع بحرمانهم ، وطردهم من حظيرة المسيحية ، ولعنهم ، فقد جاء في كتاب سوسنة سليمان : « المجمع الثالث عشر انعقد في ليون من اعمال فرنسا سنة ١٢٤٥ بأمر البابا اينوسنت الرابع لأجل عزل فردريك ملك فرنسا وحرمانه ، وهذا المجمع لم تسلم كنيسة فرنسا حتى الآن بصحته أو بسلطانه مطلقا » .

لم ينج اذن الملوك من قرارات الحرمان والطرده ، وان لذلك اثره في نفوس شعوبهم ، كما أنه يحفز الملوك على العمل من جانبهم على حماية انفسهم ، وهم في ذلك لا يتمنعون عن أن يثيروا الفتالة في رجال الكهنوت ، ويكبروا صفائهم ، ويروجوا عنهم ما يحط من قداستهم ، حتى ينفردوا بالاحترام ، ولا يكون سلطان لأحد غيرهم .

١١٢ - هذه هي الكنيسة في معاملتها للناس ، عنف وزجر وقسوة ، لا ارشاد وهداية واصلاح ، وهي تضرب كل من يعترض طريقها - لاتفرق بين سائس ومسوس ، وحاكم ومحكوم ، وراع ورعية .

وقد احتكمت لهذا بذوى السلطان ، فكان لا بد من مغالبة بينهما . ولم يكن الأمر مقصورا على الأذى البدنى تنزله بمن يخالفها ، ولو فيها ليس بينه وبين الدين نسب ، ولا يتصل به بسبب . بل تجاوز ذلك الى ارهاق المسيحيين باناوات مالية يفرضونها ، وضرائب كبيرة يأخذونها ، وعلى ذلك صار المسيحيون قاطبة يثنون تحت نير ثقيل ، سواء في ذلك من خائف ومن وافق ، فالخائف بالعذاب يهرا به جسمه ، وانوافق بالمال يثقل به ، وتفرض عليه ضرائب لأسباب غير معقولة وغير مقبولة احيانا وما يجمع

من أموال الفقراء والمحدودين التي حصلوا عليها بالكد واللغوب يتوزعها رجال الدين بينهم ، وينفقونه اسرافا وبدارا في سبيل تحقيق رغبتهم ، وبذلك كانوا يجمعون المال من غير حله ، وينفقونه في غير حله أيضا ، وبذلك انغمسوا في شر ما في هذه الدنيا ، وتركوا لب الدين .

### استعداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة :

١١٣ — ولقد احتجرت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم ، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس ، ولا معقب لما تقول في هذا التفسير ، أو في رأى تبديه ، أو أمر تعلنه ، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول وافق العقل أو خالفه ، وعلى المسيحي إذا لم يستسغ عقله قولاً قالته أو مبدأ دينياً أعلنته أن يروض عقله على قبوله ، فإن لم يستطع ، فعليه أن يشك في العقل ، ولا يشك في قول البابا . لأن البابا خليفة لسلسلة الخلافة التي بينها .

ولقد كانت تعلن أمورا ما جاء بها الكتاب المقدس عندهم ، وما تعرض له المسيحيون الأولون ، لا المجامع الأولى ، وهى أمور غريبة جد الغرابة ، بعيدة عن القبول في أحكام العقل جد البعد ، وتلزم المسيحيين بها ، وتفرضها عليهم فرضاً ، ومن قال كلمة فيها فالويل له ، ينزلونه به في الدنيا ولا ينتظرون حساب الديان في الآخرة .

ونذكر القارئ على سبيل المثال مسألتين كان لهما اثر في الفكر المسيحي ، وبسببهما هما وغيرهما تقدم المصلحون في جراءة ، داعين الى اصلاح الكنيسة بالحسنى أو بغير الحسنى . هاتان المسألتان هما مسألة الاستحالة ، ومسألة الغفران .

### مسألة الاستحالة والغفران :

١١٤ — أما مسألة الاستحالة فالاساس فيها ما علمت في شرح الشعائر النصرانية ، من أن المسيحيين ياكلون يوم الفصح خبزاً ويشربون خيراً ، ويسمون ذلك العشاء الربانى ، ولقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل الى جسد المسيح ، وذلك الخمر يستحيل الى دم المسيح المسفوك فمن أكلها وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه ، وذلك أمر غريب في العقل ، لا يستطيع أن يستسيغه أحد

ببسر وسهولة ، بل لا يستطيع أن يستسيغه قط . إذ كيف يتحول الخبز  
لحما ، وكيف يصير لحم شخص معين معروف . وكيف تتحول الخمر دما ،  
وتصير دم شخص معين معروف ؟ ذلك غريب . بل مستحيل التصور والقبول  
في العقل ، ولكن الكنيسة فرضت على الناس قبوله ومنعتهم من مناقشته ،  
والا عرضوا للطرد والحرمان . وهل ورد هذا الأمر في الكتب المقدسة ،  
حتى يجب الأخذ به من غير تفسير أو تأويل . انه أمر استقلت به الكنيسة  
وأعلنته وأبدته في أحد مجملها ، غير معتمدة في ذلك على نص صريح  
من الكتب المقدسة عندهم .

ولقد خالفت في بعض شأنه الكنيسة الكاثوليكية غيرها من الكنائس ،  
فالكنيسة الشرقية ترى أن العشاء الرباني لا يكون بالفطير ، بينما تراه  
الكنيسة اللاتينية ، ووجد من أحرار الفكر من ينكرون هذه الاستحالة ،  
ويعتقدون أنها غير ممكنة في العقل ولا سائفة في الفكر .

١١٥ - أما المسألة الثانية فهي مسألة امتلاك الكنيسة حق  
الغفران للمسيء في الدنيا ، فقد قرره الكنيسة حقا لنفسها في المجمع الثاني  
عشر أيضا .

وقد جاء في كتاب تاريخ الكنيسة في بيان قرار المجمع في هذا الشأن :  
« انتهى المجمع تعليقه فيما يتعلق بأمر الغفران فقال : « ان يسوع المسيح  
ما كان قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات . وقد استعملت الكنيسة  
هذا السلطان الذي نالته من العلامة منذ الأيام الأولى ، قد أعلم المجمع  
المقدس ، وأمر بأن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية  
للشعب المسيحي ، المثبتة بسلطان المجمع » .

ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون ان الغفرانات غير مفيدة ،  
أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها ، غير انه قد رغب في أن يستعمل  
هذا السلطان باعتدال واحتراز حسب العادة المحفوظة قديما ، والمثبتة  
في الكنيسة ، لئلا يمس التهنيب الكنسي تراخ بفرض التساهل .

### أفراط الكنيسة في استعمال حق الغفران :

هذا قرار المجمع ، وفيه تمكين للكنيسة من سلطان قوى جبار ،  
وهو سلطان مسح الذنوب ، وغفرانها مهما يكن مقدارها ، ومهما تكن

قد دنست النفس ، وأركدت القلب ، ولكنه قد أوصى الكنيسة بالاعتدال والاحتراس ، حتى لا يؤدي الإفراط في منح الغفران الى ترك التهذيب الدينى ، وهجر تعاليم الكنيسة ، والعبث بهدى الدين ، فهل أخذت الكنيسة بما أعطاها المجمع ، وراعت حق الرعية ما أوصاها به من عدم الإفراط فى الاعطاء والمنح ؟ لقد أتى حين من الدهر من بعد أن أعطى رجال الدين أنفسهم ذلك الحق ، أن افراطوا فى اعطائه افراطا شديدا وأنشأوا له صكوكا تباع وتشتري ، فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا ، ومتمعة من متعتها ، وبذل العصاة فى سبيلها المال ، وما كان عليهم من حرج فى أن يرتكبوا ما شاعوا من الموبقات ، وينالوا ما تهوى الأنفس من معاص . ما دام ذلك يفندى بمال قل أو جل ، وهذا نص صك الغفران الذى يباع ببيع السلعة .

### صورة من صك الغفران :

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ، ويحك باستحقاقات آلامه الكمية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع التصاصات ، والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبته ، وأيضا من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة ومظليعة،ومن كل علة ، وان كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا ، والكرسى الرسولى ، وأحو جميع ائذار المذنب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع التصاصات التى كنت تلتزم بمكابديتها فى المطهر وأردك حديثا الى الشركة فى أسرار الكنيسة وأقرنك فى شركة القديسين ، وأردك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كانا عند معبوديتك ، حتى انه فى ساعة الموت يفتح أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة الى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدي الى فردوس الفرح ، وان لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير منغرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الآب والابن والروح القدس » .

هذه صورة من صور صك الغفران تذكر أنها تمحو الآثام ، وتغفر ذنوب العاصى ما تقدم منها وما تأخر ، تفصله من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهرا ، ثم لا يصير تابلا لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا ، ومهما ينفس فى المعاصى . كان ذلك الصك جواز المرور الى النعيم النقيم ، لا يعوق حامله عائق ، ولا يرده عن الوصول خازن أو حارس .

هذا ما يدل عليه الصك ، وهذا ما كانت تحاول الكنيسة أن تثبته في روع الناس تمكينا لسلطانها ، ورغبة في نقوذهم التي يبذلونها للكنيسة في سبيل الحصول على ذلك الصك الذي يكون سر الامان ، وطريق الوصول الى الغاية .

لقد ابتدأت الكنيسة صك الغفران بمسألة الاعتراف بالذنوب عند الموت والتوبة ، ثم تولى القسيس مسح هذه الذنوب والشخص لم يودع الدنيا . ثم انتقلت من ذلك الى أن جعلت لنفسها الحق في الغفران ، والشخص قوئى يستقبل الحياة ، ولا يودعها ويقبل على متنها ، ولا يدبر عنها ، وغالت فجعلت لنفسها غفران ما تقدم وما تأخر من الذنوب ، ثم أغرقت في المغالاة فاتخذها رجال الدين بابا من أبواب الكسب للكنيسة . ثم أنهم يفتقون ما يجمعون من مال فيما يحله الدين والأخلاق ، وما قد بحرمانه ، وبذلك طم السيل ، حتى جاوز الحزام الطبيين .

### سلوك رجال الدين الشخصي :

١١٦ - وهل كان رجال الدين في سلوكهم الشخصي ، وفي استمساكهم بعروة الأخلاق ، وهدى الدين يستحقون أن يبذل الناس في طاعتهم ما يبذلون ويروضوا أنفسهم على الخضوع لآرائهم ، وقبولها بقبول حسن ، متهين العقول أن حاولت التردد والعصيان ، لأن حال رجال الدين بعيدة عن الظنة ، منزهة عن الريبة ، قد سموا بأنفسهم ، حتى سأموا في العلو القديسين والشهداء والصالحين ، وجعلوا أنفسهم عنوان العفة ، وبخع النفس عن الشر ، وافتدوا الفضيلة بأنفسهم أو عرضوا أنفسهم للفداء كما كانوا يرون أن المسيح قد فعل من قبل ؟ لقد كانت حال رجال الدين تحوطها الريب من كل جانب ، وتأخذهم الأنظار المتعقبة من كل ناحية من نواحي الحياة . حرموا على أنفسهم الزواج إذ سادت الرهبانية وسيطرت على نفوسهم ، فجعلوا زواجهم حراما ، لينصرفوا لخدمة كنيسة الرب ، ويقوموا على سدانتها ، ويرعوها حق رعايتها ، ولكن ما إن توردت عليهم الأموال ، وكثرت أمامهم أسباب النعيم ، حتى فكها فيها بترفين وانغمسوا في الملاذ يستطيبيون أطيبها ، ويطلبون أشدها ، ولما مكوا لأنفسهم من السلطان ، اندفع بعضهم في طلبها اندفاعا ، ومنهم من استهتر في سبيلها استهتارا ، وخرجت حال بعض أولئك المنغمسين في الخطايا من

السر الى الجهر ، ومن التستر الى التفتش ، ومن الخفية الى الاعلان ،  
واتصل بعضهم بالنساء اتصال سباح ، بعد ان حرّموا على انفسهم النكاح؟  
ولم تتمتع النساء المتصلات بهم من ان يعلن ذلك مفاخرات به ، وجاء من  
ذلك الاتصال الاثم اولاد لا آباء لهم ، ولكن لهم حظوة ، لان بعض رجال  
الدين يعرفون آباءهم ، كما يعرفون ابناءهم ، فيمكنون لهم بسلطانهم الدينى  
سلطانا دنيويا .

ولقد كانت تلك الحياة اللاهية العابثة الفاسقة ميزة اختص بها بعض  
رجال الطبقة العالية الدينية انفسهم ، اما التحوت من رجال الدين ففى  
فقر مدقع ، وفى حياة هى اقرب الى الدين المسيحى من حياة كبرائهم ،  
وذوى السلطان فيهم وفى الشعب .

### ابتداء الإصلاح :

١١٧ — هذا سلطان الكنيسة ، وتلك حال رجالها ، يتدخلون  
فى كل شىء ، ينتبون عن القلوب ، وقد سترها علام الفيوب ، ويرهقون  
من يتهمونهم بأقسى أنواع العذاب ، ويفرضون سلطانهم على الراعى  
والرعية ، حتى يتميل من تحكمهم الملوك والامراء ، وذوو الفكر من الشعوب  
ويجبون الاتاوت ويفرضون الضرائب حتى كأنهم الجبّاة العشارون  
لا رجال الدين المهذبون ، ويعطون انفسهم حق مسح الخطايا بعد اعتراف  
المتنب فى آخر ايامه فى الدنيا ، واول ايامه فى الآخرة ، ثم يغالون ، فيمنحون  
انفسهم حق غفران الذنوب السابقة واللاحقة للقوى الصحيح ، ويكتبون  
فى ذلك صكوكا يبيعونها بثمن قليل او كثير ، ثم يقضون او بعضهم حياة  
كلها لهو ، وحولهم الناس ينظرون .

ولقد بلغ السيل الزبى فى العصر المشهور فى التاريخ الأوربى بعصر  
النهضة ، وفيه نهضت الارادة الانسانية ، والاعتل الانسانى يفرضون  
وجودهما ، وفيه استطاع الأوربيون ان يروا نور الله فى الاسلام ، والتدين  
الحقيقى فيما يدعوا اليه هذا الدين ، اذا اتصل الشرق بالغرب فيما قبس  
الغرب من دراسات يلقاها على اسانذة من المسلمين بشكل خاص ،  
ومن الشرقيين بشكل عام ، وفيه علم ان لا سلطان لأحد من رجال الدين  
على القلب ، وان لا وساطة بين الله والعبد ، وان الله قريب ممن يدعوه ،  
ويجب دعوة الداعى اذا دعاه .

## دعوة بعض رجال الدين الى الاصلاح :

حينئذ أخذت الأنظار المتربصة تحمى على رجال الدين ما يفعلون ، ووجد من بينهم من استنكروا حالهم ، وأخذوا يدعون زملاءهم الى اصلاح حالهم ، ليردوهم الى حكم دينهم قبل ان يفوت الوقت ، وقبل ان ينفذ الناس ، وقبل ان يحملهم العامة على الاصلاح .

ولقد جاهر بذلك جيروم وهوس ، ولكن كان نصيبهما ان أعدا معا تحريقا بالنيران ، وكان ذلك بقرار من مجمع كونستانس الذى انعقد من سنة ١٤١٤ الى سنة ١٤١٨ ، ولقد قرر ذلك المجمع قتل هذين العالمين حرقا بالنار ، لأنها دعوا الكنيسة الى عدم الأخذ بما يسمى سر الاعتراف ، مبينين ان الكنيسة ليس لها سلطان فى محو الاثم أو تقريره ، وانما التوبة مع رحمة الله هى التى تمحو الآثام ، وتطهر النفس من الخطايا ، ولقد تقدم الى المجمع يوحنا هوس ليدافع عن آرائه ، وهذا ما قاله كاتب متعصب للكاثوليك فى ذلك الدفاع :

« لدى دخوله أخذ يعلن غواياته قبل انتظاره حكم المجمع على تعليمه فخر الراى على القاء القبض عليه ، ونوض المجمع الى بعض أعضائه ان يفحصوا مؤلفاته وألحوا عليه ان يقلع عنها ، ولكنهم لم يستفيدوا شيئا ووجدوا فى مؤلفاته فصولا كثيرة تتضمن اضراليل ، وقد خولوه الحرية ليوضح اقواله فى كل منها ، وحرصوه على الخضوع لحكم المجمع ، وعرضوا عليه صورة الرجوع عن ضلاله ، فأبى ان يمضيها ، وبقى مصرا على غيه ، ولم يشأ المجمع ان يتوصل معه الى المضايقة الأخيرة ، بل حاول مرارا ان يرده عن عناده فحكموه اولا على كتبه بالتحريق رجاء ان يخيفوه بذلك ، لكنه لبث مصرا على عناده ، فحينئذ حطوه عن الدرجات المقدسة حطا احتماليا ، واسلموه لحكومته فحكمت عليه بالحرق حيا بمقتضى نواميس الملكة ثم نال جيروم تلميذه وقرينه فى العناد هذا العقاب نفسه .

اما المجمع فلم يطلب قط هذا العقاب بل ترك للقضاء المدنى ان يعمل بموجب شرائع الملكة التى كانت تعطى الملك حقا فى ان يعاقب من يفسدون النظام المدنى بينهم بتعاليم سيئة تقلق راحة الجمهور » .

هذا ما يقوله الكتاب المدافعون عن الكنيسة ، ومهما يكن قولهم في براعتها من دم أولئك الذين حاولوا من رجال الدين اصلاحا ، فمما لا شك فيه أنها لم تصغ الى اقوالهم ، بل عاقبتهم عليها بالحرمات ، فسلبتهم المنصب الدينى ، ثم عاونت بذلك على قتلهم انطع قتلة ، ان لم تكن هي الفاعلة .

### ابتداء الاصلاح من غير رجال الدين :

١١٨ - كانت ارهاصات الاصلاح تبدو الوقت بعد الآخر ، ويظهر به رجال استعدوا للقاء زمتا بعد زمن ، وكانت البلاد التى تظهر فيها آراء الاصلاح فى شمال أوروبا وانجلترا ، وفرنسا ، لان فرنسا قد ذاق بعض ملوكها اذى الحرمان من الكنيسة ، واحس الفرنسيون بشدتها ، وانجلترا رات من سلطان البابا عليها تدخلا فى شئونها ، ولان امم شمال أوروبا قد اقترنت حضارتها بالدين فكانت شديدة الغيرة عليه ، قوية الرغبة فى فهمه على وجهه ، جاعلين قبلتهم الكنيسة ورجالها ، فعثروا بما أوتوا من رغبة دينية وعقل فاحص على عيوبهم ، فأرادوا ان يصلحوها من غير ان يهدموها ، لذلك ظهرت حركات الاصلاح ووجدت آذانا مصغية فى تلك البقاع ، ولم ينبثق فجر القرن السادس عشر حتى انبثقت معه اصوات قوية جريئة تدعو الى اصلاح الكنيسة ، وتنقد حالها وتندد بأعمالها ، وتشر عيوب القوامين عليها ، وعساهم يصلحون أمرهم ، ويعودون الى آداب الدين وتهذيبه .

### الدعوة الهادئة :

وقد ظهر فى فجر القرن السادس فى ازمان متقاربة اصوات رجال مصلحين ، ومن اشدها ظهورا صوت أرزم ، وقد ظهر بالاراضى المنخفضة ، وعاش من سنة ١٤٦٥ الى سنة ١٥٣٦ . وقد أخذ يدعو الناس الى قراءة الكتاب المقدس عندهم ، والى تهذيب عقولهم ، وتنمية مداركهم ، ليستطيعوا فهمه ، والانتفاع به ، وادراك مراميهِ وغاياته ، وأخذ يدعو الى اصلاح الكنيسة ، وظهر انه لم يوجه دعوته الى الشعب ، بل وجهها الى الحكام المستقرين ، والى رجال الكنيسة انفسهم ، فقد كان البابا ليو العاشر صلبته ، وكان ممن يقدرُون آراءه ، ويعجبون بتفكيره ويوافقون بالاولى على وجهة نظره ، وقد سار فى طريق ذلك الاصلاح السلمى مجتهدا الاجتهاد



كله في أن يحافظ على مركز البابا وقداسته ، حريضا على الا ينال احد منها ، والا يخطط دعاة الاصلاح بين اصلاح الكنيسة ومراكز رجالها ، وما يستحقون من اجلال وتقديس ، فهو يرى ان الاصلاح واجب على أن تقوم به الكنيسة في داخلها ، او يعاونها الحكام على اصلاح نفسها ، ولذلك عندما رأى ثورة لوثر العنيفة ، وما أدت اليه من مس سلطان الكنيسة ونقص ما لها من قداسة ، نبذ آراءه ولم يعاونه .

وظهر كذلك في هذا الابان تومس مور من ١٤٧٨ الى ١٥٣٥ ، وقد ظهر بانجلترا ، ودعا الى اصلاح الكنيسة ايضا بالطريق السلمى ، ولذلك دعا بنفسه الى وجوب احترام سيادة البابا ، وان يكون له السلطان الدينى على الجميع .

### التقد العنيف :

١١٩ — ولكن دعوات اولئك السلمية لم تنجح فائدتها ، ولم تنتج ثمراتها ، وأن شئت فقل ان تحول الامكار وانتقال الفكرة الى الشعوب ، واصطدام الكنيسة بالمفكرين وبعض الامراء جعل نقد الكنيسة عنيفا ، وجعل خطوات الدعاة أسرع مما يريد اولئك السلميون .

وأشد من ظهر من اولئك تأثيرا واقواهم نفوذا : مارتن لوثر ، وزونجلي ، وكلفن . ولنتكلم عن كل واحد من هؤلاء بكلمة موجزة .

### لوثر :

أما مارتن لوثر ، فقد ولد سنة ١٤٨٢ من ابوين فقيرين ، ولكن أباه أجهد نفسه ، واراد أن يصل به الى أقصى درجات الثقافة ، ومكن له ليكون قانونيا ، فأرسله الى الجامعة ، ولكنه عجز عن اتمام دراسته القانونية ، وعكف على دراسة اللاهوت ، وانصرف اليها لأنه أحس بنزعة دينية قوية تدفعه الى الانتطاع لذلك ، وقد كان شديد التورع ، مبالغا في تقدير سيناته ، قد سيطرت على مشاعره نفسه اللوامة ، حتى لقد قال بنفسه انه لن ينجو من عذاب الجحيم الا برحمة الرب الرحيم ، وكان لهذا الاحساس الدينى الدقيق ، وذلك النزوع اللاهوتى موضع رعاية رجال الكنيسة ، حتى لقد أوصوا به خيرا أولى الأمر من رجال الدنيا ، فعين مدرسا للفلسفة ، وظل عاكفا على هذه الدراسة التى كان يشك ( م ١٢ — محاضرات فى النصرانية )

في صلاحيتها ، اذ كان يدرس فلسفة أرسطو ، وما كان في نظره الا من عبدة الأوثان ، ويجب أن يلاحظ أن دراسة الفلسفة في ذلك العصر كانت تحت ظل الدين ، وفي خدمته ، ويقوم بها رجال الدين أنفسهم ، ولذلك لم تكن دراسته الفلسفية مبعدة له عن دراسته الدينية ، بل كانت تكميلا لها .

ولقد دفعته نزعة الدينية الخالصة ، واجلاله للكنيسة ورجالها الى أن يحج الى روما ، ليتيمين بلقاء رجال الدين ، ولكي تحل عليه بركات روما موطن المسيحية ومقر الكنيسة المقدسة ، ولكنه ما أن وطئت قدماه ارض روما حتى رأى ما صدم حسه ، وأزعج نفسه ، لقد توقع أن يرى النسك والعبادة والزهادة ، فوجد مدينة لاهية عابثة ، ووجد رجال الدين قد دنست بعضهم المفاصد ، وحاطت بهم الريب ، وظنت بهم الظنون ، وجد جراحة على الخطايا ، واستهانة بأحكام الدين . ووجد الذين تخيلهم قديسين صالحين ، وانهم ملائكة الله تسير على الأرض ، قد انغمسوا في الرذيلة ، ورتعوا في حماها زاعمين أن سحائب الرضوان قد نزلت عليهم ، وغفر لهم سابق ذنوبهم ولاحتها ، وأن بيدهم مفاتيح الملكوت في السماوات والأرض وسر التوبة ، وأبواب الفجران ، يففرون لمن شاءوا ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

رأى لوثر كل هذا وهو المرهف الحس الديني ، ذو النفس اللوامة ، الذي يرى أن خطايا الانسان أكبر من أن يحوها هو ، وأنه لا سبيل لغفرانها الا ان تسعها رحمة الله .

لذلك شده من هول ما رأى ، وتحير بين ما تخيله في رجال الدين من زهادة ، والواقع المستقر الذي صدمه صدمة عنيفة ، ولكنه لم يلبث الا قليلا حتى انتقل من الحيرة الى الاستنكار ، لذلك عاد الى المانيا حائقا مستنكرا بعد أن ذهب راضيا مقدسا .

ولقد أخذ يعلن من ذلك الابان أن التبرك بالمقدسات ، والحج اليها وتكرار الصلاة لا يجدي العاصي ، ولا يغنيه عن توبة نصوح ، وقدم مطهر ، ورجاء رحمة الرحيم ، وأن أحدا من الخلق مهما تكن قدسيته لا يملك لاحد غفرانا ، ولا يستطيع أن يستر ذنبا قد ارتكب .

١٢٠ — كان لوثر بعد عودته مأخوذاً بهذه الأفكار ، قد استولت على نفسه ، وسوغ له كل هذا أنه قد عرا ثقته برجال الدين ضعف ، وان لم يعتزم الثورة عليهم أو على آرائهم ، ولكن الحوادث كانت تدفعه الى أن يعلن استنكار آراء رجال الدين ، والجهر بذلك . وذلك لأن البابا ليو أراد أن يعيد بناء كنيسة بطرس في روما ، وذلك يحتاج الى مقدار من المال غير يسير . فقرر أن يجمعه من صكوك الففران ببيعها ، فذهب الراهب تنزل الى ألمانيا ، ومعه تلك الصكوك التي نقلنا لك نموذجاً منها فيما أسلفنا من القول ، وأخذ يعلن من أمرها . ويبلغ في قدسها وسرها . عندئذ ثار لوثر الذي لا يعرف أن شيئاً يستر الذنب الا الندم على ما كان ، والافتلاع عنه فيما يكون ، ورجاء رحمة الدين ، والذي رأى في رجال الدين ما رأى ، ثار لوثر على تلك الصكوك وكتب في بطولاتها احتجاجاً علقه على باب الكنيسة .

ولقد كان لذلك اثره في العامة والخاصة ، ولم يكن من المعقول أن تقابل الكنيسة ذلك بالصمت أو الاغضاء ، فقد أرسلت اليه تدعوه الى الحضور لمحاكمته امام محكمة التفتيش التي كانت تدبراً اتخذته المجمع غزيرة للقضاء على مخالفيها .

### ثورة لوثر على الكنيسة :

وهنا نجد بعض الامراء يتدخل ، فيوصيه بالألا يجيب طلبها ، فلم ير البابا بدا من أن يصدر قراراً بحرمانه ، ويعدّه زائفاً ، وهنا تأخذ الحمية لوثر ، ويشتمد في دعوته ، ويجاهر بالاستهانة بأمر الحرمان ، حتى أنه ليحرق في وسط وتبرج — والجموع حاشدة — حرمان البابا وقرار زيفه ، ولم يبق الا أن تنفذ السلطة المدنية قرار الحرمان ، فتخرمه من الحقوق القانونية والمدنية ، اثرا لقرار الحرمان الديني ، فاجتمع مجمع ورمز سنة ١٥٢١ لمحاكمته ، ولكنه طالب البابا بأن يقنعه بخطئه فيما ارتأى . فلم يجب الي ما طلب ، فانفض المجمع من غير نتيجة في هذا ، ولكن الامبراطور أعلن حرمانه من الحقوق المدنية الا أن أمر سكسونية حماه .

ومن هذا الوقت أخذت تخضع دعوة لوثر لحكم الاحداث السياسية، فتجد سلماً من الدولة ، إذا كان الامبراطور مشغولاً بحرب ، ولا يريد

اثارة فتنة . وتجد حربا اذا خلا الامبراطور لهم ، وفي كلتا الحالتين تزداد الدعوة حدة ويزداد اتباعها عددا ، ويشتد ساعدتهم بموالاته امراء أعزاء في النفرة .

وفي سنة ١٥٢٩ حاول الامبراطور ان ينفذ قرار الحرمان الصادر سنة ١٥٢١ ولكن انصار لوثر يحتجون على ذلك ، ومن ذلك الحين سمو البروتستنت اي المحتجين ، ثم جرت الامور سلما فحريا متداولين ، حتى اذا مات لوثر ، وكان الامبراطور قدخلص من كل الحروب التي تشغله أنزل بالبروتستنت اقسى العذاب واشده بلاء ، ثم يعقب ذلك صلح بين الفريقين .

### لوثر لم يرد هدم الكنيسة :

١٢١ — لم يكن لوثر من الغلاة الذين يرمون الى هدم الكنيسة ، ولا الى محاربة سلطانها ، بوصف كونها مرشدة وواعظة ومبينة للناس شئون دينهم ، ولكنه كان يريد اصلاح حال الكنيسة ورجالها ، وحملهم على الجادة واعطاءهم من الحق ما اعطته الكتب المقدسة ، ووصايا رسلم ، والمآثور عنهم ، وهو لم ينظر الى البابا على انه خليفة المسيح لا يخطيء ، ولا يأتى الباطل الى قوله ، بل نظر اليه على انه كبير المرشدين الواعظين .

ولما اراد لهم الصلاح — وكان ياتسا من أن يقوموا هم بذلك — دعا الامراء الى أن يتدخلوا ، وقرر أن لهم عليهم سلطانا ، وأن لهم الحق في عزل رجل الدين اذا لم يقم بما يأمره به الدين ، ووجد أن جزءا من نساء رجال الدين يرجع الى عدم الزواج .

ورأى أن المنع منه لم يكن في المسيحية في عصورها الاولى ، فقرر حقهم في الزواج ، وتزوج هو فعلا مع انه من رجال الدين . وكان زواجه من راهبة .

ووجد أن الكنيسة تحتفظ لنفسها بحقهم الانجيل ، وذلك من اسباب غلوها وفقدتها الرقيب ، فجعل لكل مسيحي مكتف الحق في فهمه ، واشتغل بترجمته الى الالمانية ليقراه كل الماني .

وانكر ان المسيح يحل في بدن من يأكل العشاء الرباني . فقد أنكر

استحالة الخبز الى عظام المسيح المكسورة . وأنكر استحالة الخمر الى دم المسيح ، وحلولها في جسم الأكل . واكتفى بكون العشاء الرباني تفكيراً لما قام به المسيح من فداء للخليقة في زعمهم . وأن يعتقد المسيحي أن المسيح معه بجسده عند تناول هذا العشاء .

هذا كله مع انكاره حق الكنيسة في الغفران ، ذلك الحق الذي كان عود الثقب الذي اشعل ثورة لوثر ، وكانت منها تلك النيران التي لم تستطع الكنيسة لها اطفاء .

### زونجلى وأعماله :

١٢٢ — وفي الوقت الذي كان يغالب فيه لوثر الكنيسة وأنصارها من ذوى السلطان ، كان في سويسرة صوت قوى آخر ينادى بما يقارب ما نادى به لوثر ، ذلك هو زونجلى ( ١٤٨٤ — ١٥٣١ ) فقد آلمته حال الكنيسة ودعا الى مثل ما دعا اليه لوثر في مسائل الدين . وقد ابتدأت ثورته بالثورة على صكوك الغفران كما ابتداء لوثر ، وقد مات أثناء صراع وقع بين أنصاره المعتنقين لمبادئه وأنصار الكاثوليك .

وآراؤه في الحملة تتقارب من آراء لوثر ، ولقد كان يرى ان العشاء الرباني مناولة تذكارية لموت المسيح وفدائه لخطيئة الخليقة في زعمهم ، وأن المسيح يحضر ذلك العشاء بروحه فقط . ويفسر ماجاء خاصا بالعشاء الرباني في انجيل متى بمعناه المجازي . وهذا نص ما جاء في ذلك الانجيل في اصحاحه السادس والعشرين : وفيما يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك . وكسر ، وأعطى للتلاميذ ، وقال : « خذوا ، كلوا هذا هو جسدي » وأخذ الكأس وشكر ، وأعطاهم قائلاً : « اشربوا منها كلكم ، لان هذا هو نبي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » . ودعوة زونجلى هذه ، وان كانت تتلأت في مبادئها في الجملة مع مبادئ

لوثر كانت منفصلة عنها ، فلم تتوحد الدعوتان ، بل كانت كلتاهما تعمل في محيط اقليمها ، بيد أن حركة لوثر كانت أوسع دائرة وأسرع انتشاراً ، لسعة الاقليم الذي نشأت فيه ، ولرعاية بعض الامراء لها ، بل لاعتنائهم بمبادئها ، ولأن الاحوال السياسية في ألمانيا كانت تسمح لمثل هذه الدعوة بالذبوع والانتشار .

### كلفن وآثره في الإصلاح :

١٢٣ - في الوقت الذي كان فيه هذان الرجلان يعملان ويجاهدان كل بطريقته ، فلوثر بطريقته السلمية التي خالطها العنف ، وزنجلى بطريقة الصراع والمنازلة ، حتى مات فيه .

في هذا الوقت كان رجل آخر ظهر في فرنسا وهو كلفن ( ١٥٠٩ - ١٥٦٤ ) قد ولد بفرنسا ، ونشأ بها ، وتثقف ثقافة قانونية ، ولكنه مال بعد تخرجه في القانون الى الدراسات الدينية ، وقد كانت حركة لوثر قد داعت وشاعت في ربوع أوروبا ، وما أن أعلن كلفن آراءه حتى اضطر الى الفرار بعقيدته الى جنيف في سويسرا ، وهناك ألف وكتب ، وأخذ يعمل على نشر مبادئ المذهب البروتستنتي ، وينظمها بعد موت لوثر ، فتنظيمها على الشكل الاخير يرجع الى كلفن اكثر مما يرجع الى أى رجل آخر ، وان كان باذر البذرة سواء ، بل ان بذور ذلك المذهب قدكانت أقدم تاريخيا من لوثر نفسه ، وقد نوهنا الى بعض هذا الكلام في الجامع .

ويرى كلفن ان الكنيسة يجب أن تحكم نفسها بنفسها ، وعلى الحاكم المدني مساعدتها ومعاونتها وحماتها ، وذلك ليكون السلطان الديني غير خاضع لحكم الحكام ، وهو يرى ان المسيح لا يحضر لا بشخصه ولا بروحه في العشاء الرباني ، ويعتبر تناول العناصر المادية رمزا للايمان . ويقول كما يقرر صاحب كتاب الاصول والفروع في العشاء الرباني : « يشير العشاء الرباني أيضا الى مجيء المسيح ، كما يشير الى موته ، فيكون تذكارا للماضي والمستقبل ، فالعبرة في العشاء الرباني للذكرى ، لا حضور المسيح ماديا أروحيا » .

### انشاء كنائس للمصلحين :

١٢٤ - كانت جهود هؤلاء القادة وأتباعهم ، وعيوب الكنيسة ، وسوء حالها وحال التوامين عليها ، وشدة ضغطهم سببا في ذبوع الآراء التي تخالف رأى الكنيسة ، وقد ابتدأت الحركة بطلب اصلاح الكنيسة على أن يقوم بالاصلاح رجال الكنيسة أنفسهم ولكنهم أنفضوا رعوسهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا ، ورفضوا كل دعوة للإصلاح ، وقابلوا أصحابها بقرارات الحرمان أحيانا كثيرة ، والاهمال أحيانا قليلة . فلم

استفأس مريدو الاصلاح من أن يقوم الكنسيون باصلاح حالهم، وأن يرعوا الديانة حق رعايتها اتجهوا الى الحكام طالبين أن يتدخلوا لاصلاح الكنيسة، كما حاول لوثر ، فقد أعطى الحكام حق الهيمنة على الكنيسة ليصلحوها ، ولكن الحكام تقاعسوا ، ومنهم من لم يحاول اصلاح الكنيسة ، بل حاول القضاء على طلاب اصلاحها ، وأنزل بهم اضطهادات وبلايا وشدائد ومذابح ، كما حدث لبروتستنت فرنسا ، وكان ذلك اما تعصبا للكنيسة ، واما ماجلة ، واما كراهة للمصلحين ، لأن منهم من كانت لهم آراء اصلاح نظم الحكم بجوار آرائهم في اصلاح الكنيسة ، وقد كان الحكم استبداديا مطلقا ، بلا نظام يقيد الحاكم ، ويلزم المحكوم .

فلما يئس طلاب الاصلاح من الحكام ويئسوا من رجال الكنيسة اتجهوا الى أن يجعلوا لآرائهم جماعة ، ووحدة دينية منفصلة عن الكنيسة وآراؤها غير خاضعة للكنيسة . ورائضة كل ما لها من سلطان ، وأنشأوا لهم كنائس ليست معترفة لروما بأى سلطان ، وسلطة رجال الدين فيها محدودة ، ولرجال الدين من الحقوق ماقرروا من مبادئ، وسميت كنائسهم كنائس انجيلية (١) أى أنها لاتخضع الا لحكم الكتاب المقدس، ويقيد بأحكامه رجل الدين أمام رجل الشعب ، وجميعهم مسئول أمام ذلك الكتاب ، وليس لرئيس الكنيسة خلافة تجعل كلامه مقدسا ، مساويا لاحكام الكتاب المقدس في الرتبة والاعتبار .

وقد انتشر المذهب الجديد في ألمانيا والدانمرك والنرويج وهولندا وانجلترا وأمريكا الشمالية وسويسرا ، وان لم تصر كلها على المذهب .

### اهم مبادئ الاصلاح :

١٢٥ — والآن نلخص المبادئ التى أتى بها ذلك المذهب الجديد ، نكتفى بذكر أصولها التى يرجع اليها غيرها من الفروع ، واعظم تلك الاصول شأننا :

(١) وتسمى الكنائس الاخرى التى تجمل لرئيس الكنيسة سلطانا يعتبر فيه خليفة المسيح الكنىس التقليدية وهى كنيسة الكاثوليك ، والكنيسة الارثوذكسية اليونانية والكنيسة الارثوذكسية المرقسية ، وهى كنيسة القبط وغير ذلك .

(١) جعل الخضوع التام الواجب على المسيحي لنصوص الكتاب المقدس وحدها (١) وجعله الحكم وحده الذى لا ترد حكومته ، ولا ترفض اوامره ، وقياس كل اوامر الكنيسة القديمة وقرارات المجامع على ما نص عليه فى ذلك الكتاب فما وافقه قبل على أن الكتاب قد ورد به ، وما خالفه رفض، ولو كان قد صدر عن أكبر رجال الكنيسة شأننا فى الماضى أو الحاضر.

ولذلك يقول صاحب كتاب سوسنة سليمان فى ذلك : « انهم جميعا متفقون فى المعتقدات على مجرد ما فى الكتاب المقدس فقط ، فلا يخضعون لشيء من التقاليد التى لا يوجد لها فيه رسم أصلا ، ولا الى أقوال أحد من الآباء أو المجامع الا اذا كان موافقا لنصوصه لفظا ومعنى ، أما تفسير الآيات الغامضة والتى لم يوضحها الوحي الالهى ، فلا يمارون أحدا فيها الا اذا كان التفسير ينافى ما كان معناه واضحا فى غيرها من تعاليم الكتاب» .

فهم لا يعترفون بسطان لغير الكتاب وقد كان تحكيم الكتاب وحده سببا فى جعل رجل الدين غير مطاوع الا فيما ورد فى الكتاب .

(١) الكنيسة الكاثوليكية ، والكنيسة الشرقية وغيرهما من الكنائس التقليدية لا يعتبرون الكتاب المقدس وحده هو المصدر للدين المسيحى ، بل يعتبرون معه الرسائل غير المسطورة فى ذلك الكتاب وتعاليم المسيح التى نقلت الى البابوات خلفا عن سلف مصدرها أيضا . ويسمونها ذلك المصادر التقليدية .

ويقول فى ذلك صاحب كتاب تاريخ الكنيسة الذى ترجمه يوسف البستاني فى ذكر قرارات المجمع الترنديتى: «ان المجمع الترنديتى المقدس الملتزم بتدبير الروح القدس والمصدر فيه صفات الكرسى الرسولى لاعتباره أن حقائق الايمان ورسوم الآب متضمنة فى الصحف المكتوبة وفى التقليديات المكتوبة ، وهى المنقولة عن فم يسوع بواسطة الرسل ، أو المنزلة على الرسل أنفسهم بالروح القدس ، وقد اتصلت لينا تسليما اقتفاء بأثر الآباء الارثوذكسيين قد قبل جميع أسفار المهددين القديم والجديد ، ثم التقليديات أيضا المتعلقة بالايمان والآداب بما انها بارزة من فم يسوع المسيح ، أو ملقنة من الروح القدس ، ومحفوظة فى الكنيسة بالخلافة المتواصلة ويعتقها بنفس الاحكام والاحترام الذى تعتق به الكتب المقدسة» .



وقد كان جعل سلطان الكتاب شاملا لرجل الدين ، ولرجل الشعب سببا في أن حق التفسير والفهم لم يعد مقصورا على رجال الدين ، فأزيل ذلك الحجاب الذي أقيم بين المسيحي وبين كتابه . إذ أقامه رجال الدين ليحتجزوا حق تفسير الكتاب لانفسهم . وبذلك يكون الدين ما تنطق به أفواههم وليس لأحد أن يعقب على قولهم ، لأن باب التفسير قد انقل دون غيرهم فلا يستطيعون ازالة رتاجه ، ولا فتح اغلاقه، فالغى المذهب الجديد ذلك الحجاب وفتح باب التفسير لكل مثقف ذى فهم ، واذا كان ثمة نص لم يفهم توقفوا عن فهمه ، فان ابدى رجل الدين رأيا في فهمه قبلوه الا اذا خالف نصا ظاهرا لا مجال للتأويل فيه .

### عدم الرياسة في الدين :

(ب) ليس لكنائسهم من يترأس عليها رياسة عامة ، بل لكل كنيسة رياسة خاصة بها، والرياسة الكنسية التي تستمد الخلافة من أحد الحواريين أو من المسيح نفسه لا وجود لها عندهم ، بل ان الكنيسة في كل مكان ليس لها الا سلطان الوعظ والارشاد، والقيام على تأدية الفروض والتكاليف الدينية وبيان الدين لمن لا يستطيع معرفته من تلقاء نفسه ، ولم يكن عنده من الثقافة ما يمكنه من ذلك .

### ليس لرجل الدين الففران :

(ج) واذا كانت الكنيسة لها سلطان الا البيان لمن لا يستطيع بياننا والارشاد لمن لا يستطيع معرفة أوامر الدين من تلقاء نفسه ، فليس لها سلطان في محو الذنب أو ستره . أو تلقي الاعتراف بالذنوب ومسحها سواء اكانت تلك هي المسحة الاخيرة عند الاحتضار . أم كانت قبل ذلك . فكل ذلك ليس لها فيه سلطان . لانه من عمل الديان . وقد علمت أن صكوك الففران وحق الكنيسة فيه كانت الثقاب الذي اندلعت منه الثورة على الكنيسة ، وتبعها تقصى عيوبها ، وتتبع نقائصها . وقد ذكرنا ببعض التفاصيل ما كانت تفعله الكنيسة ، وبيننا أنها غالت فيما زعمته لنفسها في ذلك من حق ، والاساس في رفض الكنيسة في هذا : كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

وكما أن ذلك الأساس أدى الى سلب الكنيسة ما زعمته لنفسها من حق الغفران أدى الى أمر آخر. وهو منع الصلاة لاجل الموتى، واعتبار أن ذلك لا يفيدهم لانه ليس للانسان الا ما سعى . وأن سعيه سيحاسب عليه أن خيرا فخير ، وان شرا فشر ، وأدى أيضا الى أن طلب شفاعة القديسين لا قيمة له ، لانه لا يغير عمل الشخص من صالح الى طالح .

وفي الجملة انهم اعتبروا غفران الذنوب يرجع الى عمل الشخص وعفو الاله، وتوبة العاصي وندمه على ما فات ولومه نفسه على ما كان وكل قول يجعل غفران الذنب أساسه غير ذلك رفضوه ، ولم يلتفتوا اليه .

### عدم الصلاة بلفه غير مفهومة :

( د ) ولقد كان ذلك المبدأ الذى يجعل الانسان يدين بعمله وحده ، ومبدأ أن لا سلطان للكنيسة على القلب والعبادة، كان هذان المبدأن سببا في أن رفض أولئك المسيحيون الصلاة بلفه غير مفهومة للمتعبدين، لان الصلاة دعاء من العابد للمعبود وانصراف القلب اليه ، والقيام بالخضوع الكامل له ، والنطق بما يدل على الخضوع والالتجاء الى المعبود ، فوجب أن تكون بالفاظ يفهمها العابد ليردد معانيها ويقصد مراميها ، وقد كانت صلاة القسيس بلفه لا يفهمها المصلون مقبولة لدى الكاثوليك . لان أساس ذلك أن عبادة القسيس عبادة لمن هم تحت سلطانه .

### رأيهم في العشاء الرباني :

( هـ ) انتهى البروتستنت بالنسبة للعشاء الرباني الى أنه تذكار بفداء المسيح للخطيئة التى ارتكبها آدم ، وتحملت الخليقة من بعد وزرها ، وتذكار لحيته ليدين الناس، فهو تذكار للماضى والمستقبل كما جاء في بعض الرسائل، وهم ينكرون أن يتحول الخبز الى جسد المسيح . والخمر الى دمه .

والكنيسة قد أصرت على ذلك اصرارا . وهذا قرارها في المجمع الترنديتى في ذلك الشأن، فهى تقول بلسان أعضائه . « قد اعتقدت كنيسة الله دائما بأنه بعد التقديس يوجد جسد ربنا الحقيقى ودمه الحقيقى مع نفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر، وان كلامن الشكلين يحتوى ما يحتوى كلاهما ، لان يسوع المسيح هو بكماله تحت شكل الخبز ، وتحت أصغر أجزاء هذا الشكل ، كما أنه هو كله أيضا تحت شكل الخمر وجميع أجزائه »

وقد اعتقدت الكنيسة أيضا اعتقادا ثابتا بأنه بتقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز الى جوهر جسد ربنا . وكامل جوهر الخمر الى جوهر دمه تعالى ، وهذا التعبير قد دعى بكل صواب . فليتزم أن جميع المؤمنين بأن يعدوا هذا السر المقدس العبادة المستوجبة للاله الحقيقي . لأننا نعتقد بأنه يوجد فيه الله نفسه الذى عبته الملائكة على أمره تعالى . حينما أتى على العالم ، وهو نفسه الذى سجدت له المجوس خارين على أقدامه ، وله نفسه سجدت الرسل فى الجليل . » .

هذه عقيدة الكنيسة فى العشاء الربانى ، لم يستسغها لوثر وأثياعه ، وخلفاؤه من بعده ، وانتهى أمرهم الى أن رفضوا ذلك التحول الذى تفرضه الكنيسة ، وتلتزم به ، وان كان بعيدا عن المعروف المألوف ، وبعد أن رفضوا ذلك قر قرارهم الأخير على اعتبار العشاء الربانى تذكارا بالفداء وتذكارا للمجىء وفى ذلك عظة واستبصار .

### انكار الرهينة :

( و ) أنكروا أولئك المصلحون لزوم الرهينة التى يأخذ رجال الدين أنفسهم بها ويعتبرونها شريعة لازمة . يفقد رجل الدين صفته الكهنوتية أن تخلى عنها ، ولقد رأوا ما أدى اليه ذلك الحظر من كبت للجسد الانسانى ، وتعذيب له من غير ضرورة ، ولا نص من الكتب قديمها وجديدها يفيد ذلك ، بل لقد رأوا ما أدى اليه ذلك الكبت من انفجار غريزة الانسان فى رجل الدين فانطلق يكرع اللذة من شقتها الحرام بعد أن حرم على نفسه الحلال ، وطفق يفترق من ورد معتكر بالأثم ، مرنق بالمفاسد ، وترك المنهل العذب الذى حطته الشرائع ، ويتفق مع ناموس الاجتماع الانسانى .

### عدم اتخاذ الصور والتماثيل :

( ز ) منع البروتستنت اتخاذ الصور والتماثيل فى الكنائس والسجود لها ، معتقدين أن ذلك قد نهى عنه فى التوراة ، فقد جاء فى سفر التثنية : « لا تصنع لك تماثلا منحوتا ، ولا صورة مما فى السماء من فوق ، وما فى الأرض من أسفل ، وما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهم ولا تعبدن لأنى أنا الرب الهك غيور أمتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى ، وأصنع احسانا الى الوفاء من محبى ، وحافظى وصاياى » .

ولا شك ان ما نهت عنه التوراة يجب الاخذ به ما دام الجميع يؤمنون بالتوراة ، وكتب العهد الجديد ، وما دام لم يرد عن المسيح أو عن الرسل ما يبطل ما جاء في التوراة .

ولقد اثبت الاستاذ امين الخولى بالسند التاريخى ان ذلك التحريم قد قبسه النصرى المصلحون من نور الاسلام .

### المسيحيون لم يسيروا في منطقتهم الى اقصى مداه :

١٢٦ - هذه اعظم المسائل التى خالف بها المصلحون فى المسيحية ما عليه الكنيسة ، وهى لا شك خلع لسلطان الكنيسة على النفوس وقضاء على سلطان الجامع ، واذا كان للحوادث منطق تسير عليه ، فهل لنا ان نستنبط منطق تلك الحوادث ، وما كان عساه يكشف عنه لو سار فى طريقه الى اقصى مداه ؟ لقد علمت فى سياقتنا التاريخى الذى بيناه عن ادوار المسيحية ان ذلك السياق يعلن فى عباراته وفى فحواها ان تلك الديانة كانت ديانة توحيد ، حتى جاءت المجامع ، فقررت الوهية غير الله ، وطردت من حظيرة المسيحية المستمسكين بهروة التوحيد الذين رفضوا دعوى الوهية المسيح ، وناصرتهم الشعوب المسيحية فى الابان .

فاذا كان المصلحون قد قرروا ان يأخذوا مذهبهم الدينى من الكتب الصحيحة ، وقرروا ان يرفضوا سلطان المجامع والكنيسة معا ، فإن المنطق الذى يسرون عليه كان يوجب عليهم ان يرفضوا أقوال المجامع القديمة ، ومنها الوهية المسيح ، والوهية الروح القدس .

وقد كنا نود ان يدرسوا قرارات هذه المجامع ، وينظروا الى سندها وقوتها فان لم يروا السند قويا رفضوا ذلك القرار ، ولكنهم لم يسيروا فى منطقتهم الى اقصى مداه ، فرفضوا آراء الكنيسة فى امور ، اعظمها شأننا ما بيناه ، ولم يتجهوا الى لب العقيدة ، وهو لم يتجاوز انه قرار مجمع فيدرسوه من جديد على ضوء ما فتحوه لأنفسهم من نور مبصر ، وهو ان يكون لكل شخص له قدرة على فهم الكتاب حق فى تفسيره ، واستخراج الاوامر والنواهي منه من غير ان يتخذوا الاحبار والتفسيريين وسائط فى فهمه ، ويحكموا بذلك فى ضمائرهم واعتقاداتهم .

## عقول مسيحية تنكر الوهية المسيح :

١٢٧ - ولكننا وقد يئسنا من أن يسير البروتستنت في طريقهم الى اقصى مدها وجدنا العقول المسيحية قد تثبتت ، والدراسة العلمية والفلسفية قد سارت ونور الاسلام قد انبلج ، فوجدنا علماء كثيرين قد صرحوا في قوة بأن المسيح لم يكن الا رسولا ، وأنه لم يكن أكثر من بشر ، قد قيسوا ذلك من الأناجيل نفسها ، فهذا رينان قد جهر بذلك في قوة وجراحة ولم يمنعه حرمان الكنيسة له من الأصرار على رأيه والذود عنه ، وهذا تولسهاوى ينكر على المسيحيين الوهية المسيح ، وتنتهى نتائج بحثه الى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح ، بل طمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للاعتقاد غموضا واخفاء .

ولنترك الآن الكلمة لذلك الفيلسوف ، فهو يقول : « انه ينبغي لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقي ، كما كان يفهمه هو أن نبحت في تلك التفسير والشروح الطويلة التي شوهدت وجه التعليم المسيحي ، حتى اخفته عن الابصار تحت طبقة كثيفة من الظلام ، ويرجع بحثنا الى أيام بولس الذى لم يفهم تعليم المسيح ، بل حمله على محمل آخر ، ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين ، وتعاليم العهد القديم ، وبولس كما لا يخفى كان رسولا للأمم ، أو رسول الجدل والمنازعات الدينية ، وكان يميل الى المظاهر الخارجية الدينية ، كالختان وغيره فأدخل امياله هذه على الدين المسيحي فأفسده ، ومن عهده ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس ، وأما تعليم المسيح الأصيل الحقيقى فمخر صفته الالهية الكمالية ، بل اصبح احدى حلقات سلسلة الوحي التي اولها منذ ابتداء العالم ، وآخرها في عصرنا الحالى ، والمستمسكة بها جميع الكنائس ، وأن اولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع الها دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون في دعواهم على أقوال وردت في خمسة أسفار : موسى ، والزبور ، وأعمال الرسل ، ورسائلهم ، وتأليف آباء الكنيسة ، مع أن تلك الأقوال لا تدل اقل دلالة على أن المسيح هو الله .

هو اذن ينكر الوهية المسيح ، وينكر الوهية روح القدس ، ويعتقد بأن الله واحد احد فرد صمد ، وينكر أن تكون كتب النصارى كتبت بالهام ،

ويعلن في جراءة انها حرفت وعراها التغير والتبديل ، فيقول في صراحة المستمسك بالعروة الوثقى : « ان المسيحيين واليهود والمسلمين يعتقدون جميعهم بالوحى الالهى ، فالمسلمون يعتقدون بنبوته موسى وعيسى ولكنهم يعتقدون كما اعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانة النصرانية ، وهم يعتقدون بأن محمدا خاتم الأنبياء ، وانه قد اوضح في قرآنه تعاليم موسى وعيسى الحقيقية ، كما تلاها دون زيادة ولا نقص ، وأن كل مسلم امامه القرآن يقرؤه ، ويتمسك به ويسير بموجب أحكامه ، ولا يعترف بغيره من الكتب مهما اشتهر واضعوها بالتقوى والصلاح ، ويسمى المسلمون ديانتهم بالمحمدية ، لأن محمدا وضعها بخلاف الكنيسة المسيحية التى تسير الآن بموجب تأليف الآباء الذين يدعون بأن ما كتبوه هو من روح القدس ، فكان الأحرى بالمسيحيين ان يسموا كنيستهم بالروحانية القدسية أولى من تسميتها بالمسيحية » .

## خاتمة

١٢٨ — قد ظهر ان مسيحيون يدعون الى التوحيد ، وانك لترى طريق الاسلام يلمح بين السطور التي دونوها والأموال التي نشروها ، ولكن قد طردتهم المسيحية الحاضرة من حظيرتهم كما فعلت الجامع من قبل ، ولقد كان الامر لا يسترعى النظر لو كان مقصوراً على العلماء . بل انك لترى المسيحيين الذين تجادلهم او تخالطهم بالمودة — ان استثنيت رجال الدين منهم — يصرحون في بهرة المجالس وفي جهر من غير اسرار بأنهم لا يستطيعون ان يتصوروا المسيح الا رجلاً عظيماً رسولاً من عند الله ، وليس هو الله ، ولا ابن الله وليس ذا صلة بالالوهية الا صلة الرسول بمن أرسله .

فهل لنا ان نعتقد ان شيوع هذا على السنة اولئك المنقذين يؤدي الى اصلاح كامل للعقيدة ، يكون شاملاً للأصل ، ولا يكون مقتصرًا على الفرع كما فعل الاصلاح السابق واقتصر عليه ؟ .

ان الاجدر لهذا ان يتجه اولئك المنقذون الى دراسة دينهم ، وأن يتجه الذين يحاولون ارشادهم — الى بيان الادوار التاريخية التي مرت بدينهم ، والى ما أحدثته الجامع من احداث ، وكل حدث في الدين هو بدعة فيه ، فان دراسة تلك الادوار تربهم الحقائق عارية ، وتكشفها لهم غير مستورة برسوم وطقوس كنسية او غير كنسية ، وقد حاولنا في أثناء بحثنا ان نبين ان الوهية المسيح والوهية الروح القدس فكرتان عرضتا على العقل المسيحي ، ولم تكونا في المسيحية الاولى ، وذكرنا السند التاريخي في ذلك وانه لمسيحي خالص ، وانه بهذه المحاولة نريد ان ندعو الذين يهمهم رد العالم المسيحي الى التوحيد — الى العناية بدراسة تاريخ المسيحية واعلانه لأهلها ، ونريد ان ندعو الذين يريدون نشر الاسلام بين ربوع المسيحيين الى اعلان ذلك التاريخ ، فانهم ان دخلوا في التوحيد ، دخلوا في الاسلام بايسر مجهود ، لان الخطوة التالية لا تحتاج الى اكثر من الإعلام ، والحمد لله رب العالمين .

( تم بحمد الله وتوثيقه )

## ما يشتمل عليه الكتاب

- ٣ - افتتاحية الطبعة الثالثة ٦ - افتتاحية الطبعة الثانية  
٨ - افتتاحية الطبعة الأولى ١٠ - تمهيد .

## ١٢ - المسيحية كما جاء بها المسيح عليه السلام

- ١٢ - المسيحية في القرآن الكريم ١٣ - دعوة المسيح ١٤ - مريم  
والمسيح في القرآن الكريم ١٦ - الحمل بالمسيح وولادته ١٧ - الحكمة  
في كون المسيح ولد من غير أب ١٨ - بعثة عيسى عليه السلام ومعجزاته  
٢٠ - الحكمة في كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع ٢١ - مانراه  
حكمة صحيحة ٢٢ - تلقى اليهود لدعوته ٢٣ - مناواة اليهود له  
٢٤ - نهاية المسيح في الدنيا - المسيح بعد نجاته ٢٥ - موازنة  
بين المسيح في القرآن الكريم والمسيح في المسيحية الحاضرة .

## ٢٩ - المسيحية بعد المسيح

- ٢٩ - ما نزل بالمسيحيين من اضطهاد ٣٢ - اثر الاضطهادات  
في الديانة ٣٣ - الفلسفة الرومانية والمسيحية ٣٥ - الاملاطونية  
الحديثة واثرها في النصرانية .

## ٤٠ - مصادر المسيحية بعد عيسى عليه السلام

- ٤٠ - الانجيل ٤٢ - الانجيل لم يملها المسيح ولم تنزل عليه  
٣٢ - انجيل متى ٤٣ - انجيل متى كتب بالعبرية ولم يعرف الا باليونانية  
وجعل المترجم ٤٥ - اثر جهل تاريخ التدوين والمترجم ٤٦ - انجيل  
مرقس - اللغة التي كتب بها انجيل مرقس وتاريخ تدوينه  
والاختلاف فيه وفي الكنائس ٤٧ - انجيل لوقا ٤٨ - من كتب لهم  
انجيل لوقا ، ولفته ، واختلافهم حوله ٤٩ - انجيل يوحنا  
٥٢ - تاريخ تدوين هذا الانجيل وسبب تدوينه ٥٣ - ما يستتبط  
من سبب كتابته ٥٤ - هذه الانجيل لم تنزل على عيسى عليه السلام  
- انجيل عيسى ٥٦ - اقوال علماء النصرانية في انجيل عيسى  
- انجيل برنابا ٥٧ - برنابا ٥٩ - هل برنابا من الحوارين الاثنى



عشر ٦٠ - الكلام في صحة تسمية هذا الانجيل ٦٢ - ترجيح صدق التسمية في هذا الانجيل ٦٤ - قيمة انجيل برنابا من حيث ما اشتمل عليه - مخالفة انجيل برنابا لما عليه المسيحيون .

### ٦٨ - رسائل رسالهم

٦٨ - عدد الرسائل وكتابتها ٧٠ - ترجمة يعقوب صاحب الرسالة - ترجمة يهوذا - ترجمة بولس ٧٤ - صفات بولس ٧٦ - كتب العهد القديم والانجيل والرسائل كتبت بالهام في اعتقادهم .

### ٧٧ - نظرة فاحصة في الكتب

٧٧ - ما يجب أن يكون في الكتاب الديني من صفات ليكون حجة ٧٨ - تطبيق هذه الشروط على كتب النصارى ٧٩ - مناقشة ادعاء الالهام في سفر الأعمال ٨٠ - الرسل غير معروفين ٨١ - لوقا صاحب سفر الأعمال لم يكن ملهما ٨٢ - دعوى الالهام ليست محل اجماع المسيحيين ٨٣ - دعوى الالهام باطلة ممن يدعيها ٨٤ - التضارب بين كتب العهد الجديد ٨٩ - التناقض بينها مبطل لادعاء الالهام وبيان انكارهم لبعضها ثم اعترافهم به ٩٠ - انقطاع السند في نسبتها لكتابتها ٩١ - موازنة قس بين احاديث الرسول وكتبهم من حيث الرواية ٩٢ - بيان ما في كلامه من زيف ٩٦ - نظرة في الوحي في الاسلام والوحي في المسيحية - معنى الوحي .

### ٩٩ - النصرانية كما هي عند النصارى وفي كتبهم

٩٩ - العقيدة ١٠٠ - عقيدة التثليث - التوراة والتثليث ١٠١ - الابن لا يعنى به الولادة البشرية في زعمهم ١٠٢ - الثالوث أشخاص منفائرة ، وان كان وجودها متلازما ١٠٣ - لماذا يحاولون الجمع بين الوجدانية والتثليث ١٠٦ - صلب المسيح فداء عن الخليقة ١٠٩ - المسيح يدين ويحاسب ١١٠ - تقديس الصليب ومقامه في المسيحية ١١١ - عبادتهم ١١٤ - من شعائر المسيحية - التعميد والعشاء الرباني ١١٥ - من تنظيم الأسرة ١١٧ - منزلة شرائع التوراة في المسيحية ١١٩ - تطليل لحم الخنزير مع تحريمه في التوراة .

( م ١٣ - محاضرات في النصرانية )

## ١٢٠ — المجمع المسيدية

تاريخها — وأسبابها — وقراراتها

١٢٠ — كيف وجدت فكرة جمع المجمع ١٢١ — المجمع العامة والمجمع الخاصة .

## ١٢٢ — مجمع نيقية : ٣٢٥

١٢٢ — سبب انعقاده العام ، الاختلاف بينهم في شخص المسيح

١٢٢ — الاختلاف الخاص الذى انعقد المجمع بعده — كلام أريوس —

انتشار رأى أريوس وطرق محاربته ١٢٤ — تدخل قسطنطين وجمع

مجمع نيقيا ١٢٥ — موقف قسطنطين من المتناظرين — انحيازه لرأى

مؤلهى المسيح مع أنهم ليسوا الكثرة — العقيدة التى فرضها المجمع

١٢٦ — قراءاته تؤيد رهبة السلطان — النقد الموجه الى المجمع

١٢٧ — الرغبة والرهبية من السلطان لهما دخل فى القرارات — المجمع

فرض لنفسه سلطانا كهنوتيا على الناس — امره بتحريق ما يخالفه

١٢٨ — قسطنطين يتدخل ذلك التدخل وهو لم يتنصر ١٢٩ — تلقى

المسيحيين لقرارات المجمع — مجمع صور يرفض بالأجماع قرار مجمع

نيقية ١٣٠ — ما يستنبط من هذا — نشاط الموحدين .

## ١٢٢ — المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١

١٢٢ — سبب انعقاده — عدد المجمع والطقن فى كونه عاما

١٢٣ — بطريك الاسكندرية هو الذى يقرر ألوهية روح القدس — قرار

المجمع يوافق رأى بطريك الاسكندرية — نظرة فاحصة .

## ١٢٥ — مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١

١٢٥ — سبب انعقاده — النسطوريون ينكرون ألوهية المسيح

١٢٦ — قرار المجمع والاحتجاج عليه — انتشار النسطورية فى الشرق .

## ١٢٧ — مجمع خليكونية سنة ٤٥١

١٢٧ — كنيسة الاسكندرية تعلن أن المسيح اله قد اتحد فيه اللاهوت

والناسوت وصارا طبيعة واحدة — طلب انسحاب بطريك الاسكندرية

ورفض الطلب ١٢٨ — الشغب فى المجمع — قرار المجمع أن المسيح

له طبيعتان — الانشقاق ومداه ١٣٩ — عدم اعتراف المصريين بقرار  
المجمع ١٤٠ — المصريون يرفضون تعيين بطريرك على غير مذهبهم —  
يعتوب البرازعى ونسبة المذهب المصرى اليه ١٤١ — انفصال الكنيسة  
المصرية نهائيا .

### ١٤٢ — المجمع الباقية

١٤٢ — المجمع السابقة تقرر المسيحية الحاضرة — المجمع  
القسطنطينى الثانى وسبب انعقاده ١٤٣ — المارونية — مجمع  
القسطنطينية الثالث ١٤٤ — مجمع تحريم اتخاذ الصور ١٤٥ — انفصال  
الكنيسة الشرقية عن الغربية وسببه ١٤٦ — الكنيسة الغربية  
أم الكنائس ١٤٧ — المجمع اللاحقة كلها غير مسكونية الا فى نظر  
الكنيسة الغربية — محاولة تقريب بين الكنيستين .

### ١٤٩ — الفرق المسيحية

١٥٠ — الفرق التى ظهرت فى عصر التوحيد — فرقة أريوس  
١٥١ — أصحاب بولس الشمشاطى ١٥٢ — دخول الوثنية على التوحيد  
— اتباع مرقيون ١٥٣ — البربرانية — نحل آخر ١٥٤ — ضياع  
التوحيد سبب تحريق الكتب .

### ١٥٦ — الفرق القديمة فى عهد التثليث

١٥٦ — فرقة مقدونيوس ١٥٧ — النسطوريون ١٥٩ —  
اليعثوبيون ١٦٠ — المارونية .

### ١٦١ — الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية

١٦١ — أساس انقسام الكنيسة الى شرقية وغربية ١٦٢ — تقادم  
الزمن يوسع الخلاف ١٦٣ — محاولة ازالة الخلاف — انتقاد مسيحي  
للكنيسة الغربية ١٦٤ — بطارقة الكنيسة الشرقية — الاسلام يظل  
الكنائس الشرقية بالحرية الدينية .

### ١٦٧ — الفرقة الحديثة « البروتستانت »

أو الاصلاح الدينى

١٦٧ — حالة الكنيسة قبل الاصلاح .

- ١٦٧ - شدة الكنيسة على الناس والعلماء ١٦٨ - فرض سلطاتها على الملوك ١٦٩ - قرارات الحرمان تنال الملوك ١٧٠ - استبداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة - مسائلنا الاستحالة والغفران ١٧١ - افراط الكنيسة في استعمال حق الغفران ١٧٢ - صورة من صك الغفران ١٧٣ - سلوك رجال الدين الشخصي ١٧٤ - ابتداء الاصلاح ١٧٥ - دعوة بعض رجال الدين الى الاصلاح ١٧٦ - ابتداء الاصلاح من غير رجال الدين - الدعوة الهادئة ١٧٧ - النقد العنيف - لوثر ١٧٩ - ثورة لوثر على الكنيسة ١٨٠ - لوثر لم يرد هدم الكنيسة ١٨١ - زونجلى وأعماله ١٨٢ - كلفن وأثره في الاصلاح - انشاء كنائس للمصلحين ١٨٣ - اهم مبادئ الاصلاح ١٨٥ - عدم الرياسة في الدين - ليس لرجل الدين الغفران ١٨٦ - عدم الصلاة بلغة غير مفهومة - رأيهم في العشاء الرباني ١٨٧ - انكار الرهبنة - عدم اتخاذ الصور والتماثيل ١٨٨ - المسيحيون لم يسيروا في منطقتهم الى اقصى مداه .

١٨٩ - عقول مسيحية تنكر الوهية المسيح .

١٩١ - خاتمة .

١٩٢ - ما يشتمل عليه الكتاب .

## مؤلفات فضيلة الامام الشيخ

محمد ابو زهرة

---

- خاتم النبيين ( ٣ اجزاء ) .
- المعجزة الكبرى - القرآن الكريم .
- تاريخ المذاهب الاسلامية - جزعان .
- العقوبة في الفقه الاسلامى .
- الجريمة في الفقه الاسلامى .
- الاحوال الشخصية .
- ابو حنيفة - حياته وعصره - آراؤه وفقهه .
- مالك - حياته وعصره - آراؤه وفقهه .
- الشافعى - حياته وعصره - آراؤه وفقهه .
- ابن حنبل - حياته وعصره - آراؤه وفقهه .
- الامام زيد - حياته وعصره - آراؤه وفقهه .
- ابن تيمية - حياته وعصره - آراؤه وفقهه .
- ابن حزم - حياته وعصره - آراؤه وفقهه .
- الامام الصانق - حياته وعصره - آراؤه وفقهه .
- أحكام التركات والمواريث .
- علم اصول الفقه .
- محاضرات في الوقف .
- محاضرات في عقد الزواج وآثاره .
- الدعوة الى الاسلام .

- مقارنات الأديان .
- محاضرات في النصرانية .
- تنظيم الإسلام للمجتمع .
- في المجتمع الإسلامي .
- الولاية على النفس .
- الملكية ونظرية العقد .
- الخطابة « أصولها . تاريخها في أزهر عصورها عند العرب » .
- تاريخ الجدل .
- تنظيم الأسرة وتنظيم النسل .
- شرح قانون الوصية .
- الوحدة الإسلامية .

وتطلب جميعها من ملتمز طبعها ونشرها وتوزيعها

### دار الفكر العربي

١١ شارع جواد حسنى بالقاهرة

ومن فروع البيع :

ص . ب . ١٢٠ ت ٧٦.٥٢٣ — ٧٥.١٦٧

١ — الفرع الرئيسى : ١٦ شارع جواد حسنى القاهرة ت ٧٥.١٦٧

٢ — فرع الدقى : ٢٧ شارع عبد العظيم راشد بمتفرع من شمسارح  
شاهين — الدقى ت ٧١٧٤٩٨ .

٣ — فرع مدينة نصر : ٩٤ شارع عباس العقاد المنطقة السادسة  
مدينة نصر .



رقم الإيداع ٨٧/٨٧٥١

---

مطبعة عقل

٢. شارع المطار - جرابلس  
٩٤٢.٨١